السنة الثانية - العدد السادس عشر - شباط (فبراير) ١٩٨١

رية مصورة تبحث في التا

الكويت



فرسان شارلمان في المعركة (ص

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثانية
العدد السادس عشر
شباط (فبراير) ١٩٨٠م.
ربيع الأول ١٤٠٠هـ.

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص. ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلان
ص. ب : ١١/٦٨٨ - بيروت، لبنان

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش. م. ل.

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل.	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الاردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	المغرب :	٥ درهم
مسقط :	٨٠٠ بيزة	بريطانيا :	جنيه استرليني

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

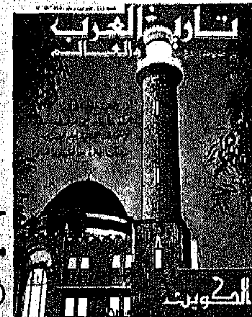
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
Tel.800783
BEIRUT, LEBANON

VOL. 11
No. 16, Feb 1980
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION
$ 75 IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزَّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع	الصفحة



جامع الأحمدي.
من روائع الكويت الحضارية.
(راجع المقالة ص ٤٤).

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص. ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر.

بواكير الصليبيات الغربية

في حملة شارلمان على سرقسطة

د. ابراهيم بيضون



النقلة الخطيرة في تاريخ الاندلس :



اتخذت العلاقات العربية - الفرنجية في أوروبا بعد موت هشام بن عبد الملك مساراً جديداً، يختلف في مجمل نواحيه عن الحقبة السابقة ذات البعد التوسعي الواضح. فهذا الخليفة مثّل آخر الكبار الذين عرفتهم دولة الأمويين وارتبطت بهم شخصيتها السياسية والعسكرية إلى حد كبير. وكانت لهشام جهوده المخلصة في محاولة انقاذ الدولة وترميم مؤسساتها المنهارة، واطفاء نار الخلافات الحزبية المستعرة في مختلف الأقاليم. غير أن ذلك لم يؤد إلى أكثر من تجميد الأوضاع وتأخير عملية السقوط المرتقبة لبضعة أعوام فقط.

ولقد نالت الولاية العربية في اسبانيا نصيبها من اهتمام هذا الخليفة، سواء في معالجة النزاعات الداخلية، أم في احياء خطة الفتح في أوروبا. ولكن حال اسبانيا كان عائقاً في وجه أية فكرة توسعية، فهي تشبه إلى حدّ كبير آنذاك الولاية الشرقية النائية خراسان التي كانت أيضاً مسرحاً لمشاحنات حزبية خطيرة، ومركزاً لنشاط الدعاة الذين يبثون أفكارهم المعادية للدولة في السرّ والجهر. ولم تكن اسبانيا بعيدة عن هذا المناخ السياسي، مع فارق واحد هو أن خلافاتها كانت محلية ومحدودة الآفاق، بينما كان تقويض الخلافة في خراسان الهدف الرئيسي للتحركات الحزبية هناك.

وهنا يظهر العامل الجغرافي ليلعب دوراً خاصاً في أحداث الولايتين، حيث كان لبعدهما عن مركز الحكم أثر كبير في أضعاف سلطة الدولة ومراقبتها، بل

وغيابها تماماً في بعض الأحيان .

وبعد موت هشام (١٢٥/٧٤٣) ساءت الأحوال كثيراً بعد أن تسلّم الحكم في دمشق خلفاء غير اكفياء ، انعكست ممارساتهم اللامسؤولة على مجريات الأمور في الدولة ،والتي وصلت إلى حد دخولهم اطرافاً في المشاحنات الحزبية القائمة ، وكانت الاندلس ربما أكثر من غيرها عرضة لهذا الواقع المرير. لقد هوت في خضم التنازع القبلي والحزبي على نحو صرفها تماماً عن الاهتمام بغير ذلك . فكلما غاب أمير وجاء آخر ، كان شبح الحرب الأهلية حاضراً بصورة دائمة على المسرح السياسي . وليس أدلّ على ما وصلت اليه هيبة الحكم من تعثر وانهيار، من ذلك التجزيء لمنصب الامارة ، حيث صار يتقاسمها اثنان بعد موت هشام ، أحدهما له السلطة الفعلية والآخر يمتلك منها الاسم والجاه فقط[1] .

وليست الغاية هنا الدخول في سرد التفصيلات التي جرت في تلك الفترة ورافقت سقوط دولة الأمويين . وإنما هي محاولة للاجتياز إلى تلك النقلة الخطيرة في تاريخ الاندلس التي اسفرت عن ظهور شخصيتها الحضارية المميزة في العالم الوسيط . فالدولة الأموية صاحبة السيادة على الاندلس زالت نهائياً من الوجود (٧٥٠م) بعد نجاح ثورة العباسيين ، التي انطلقت من خراسان تحت شعار تصحيح الأوضاع السائدة والمساواة وانصاف المظلومين . غير ان هذه الشعارات ظلت رموزاً فارغة من أي محتوى ، واقتصرت الثورة الجديدة على اسقاط اسرة والاتيان بأسرة ثانية لا تختلف عن سابقتها إلا من حيث الطابع الاسلامي العام والنظرة المختلفة في التعامل مع الفئات غير العربية التي نفذت لأول مرة إلى واجهة السلطة .

وكان للعامل الجغرافي اثره مرة أخرى في بقاء الأندلس خارج اطار الدولة العباسية التي ورثت كل ممتلكات الدولة السابقة بإستثناء هذا الاقليم الذي قدر له أن يخرج من دائرة النفوذ العباسي في قبضة الأمويين .

وفي تلك الأثناء كان الحزب الأموي وانصاره يتعرضون لهجمة انتقامية شرسة على يد العباسيين الذين أرادوا اجتثاث الأسرة الأموية من الوجود . فكانت تلك المجزرة الشهيرة عند (أبي فطرس)[2] التي توجت احقادهم . فقضت على ما تبقى من هذه الأسرة من الناجين من معركة الزاب الفاصلة . ولكن واحداً كان على موعد مع الحظ ، استطاع أن ينجو بنفسه ومعه ابنه الصغير وخادم أمين (بدر) ، متخذاً طريق الشمال الأفريقي حيث وصل بعد مطاردة صعبة من جانب العباسيين ، واستراح هناك بين اقاربه واخواله من البربر ، ملتقطاً أنفاسه إلى حين ليقرر بعدها أي طريق يفضي إليه .

كان ذلك هو عبد الرحمن بن معاوية . حفيد الخليفة الأسبق هشام . وكان في الحادية والعشرين من العمر ، مشعاً بالذكاء والفطنة ، ممتلئاً بالحماسة والشجاعة والطموح ، وتلك صفات تؤهل حاملها للحكم والسلطان . وهذا ما حصل فعلاً ، لأن هذا الرجل الذي نجا من الموت باعجوبة ، لم يفرّ من أجل السلامة والإستقرار كأي رجل عادي ، وإنما تحركت فيه احلام السلطة وعلو الشأن . وما كانت افريقية على بعدها عن مركز الحكم العباسي تملأ طموحه الكبير.. وحتى لو اراد ذلك لحالت دون ارادته صعوبات وعراقيل ، لأن هذه الولاية التي نالت شيئاً من الاستقلال في ذلك الحين لم تكن مؤهلة للقبول بهذا المغامر الشاب ليكون حاكماً عليها . لذلك كان عليه أن يأتي بتفكيره إلى مكان آخر غير افريقية .

وكانت الأندلس تمزقها الحرب الأهلية في ذلك الوقت كما اسلفنا ، وكان من العسير جداً الاتفاق على زعيم هناك ، فتوجه بطموحه إلى هذا الاقليم — وكانت اخباره المثيرة تصل إليه تباعاً — وأرسل مساعده للإتصال بزعماء الحزب الشامي الموالين للبيت الأموي . ولم تلبث الأنباء السارة أن جاءته وهو على الطرف الآخر من المضيق ، فأبحر مع عدد من مؤيديه إلى البرّ الاسباني (٧٥٥م) . وفي مدى عام واحد فقط كان عبد الرحمن الذي سيعرف بـ (الداخل) الحاكم المطلق في اسبانيا . وكان «دخوله» المفاجئ قد أذهل الناس الذين أخذوا بجرأته ووجدوا في شخصيته طرازاً جديداً في الزعامة السياسية سيطبع الأندلس بسمات جديدة وسيتيح للأمويين أن لا يغيبوا عن الحكم لمدة ثلاثة قرون لاحقة .

بين شارلمان والداخل :

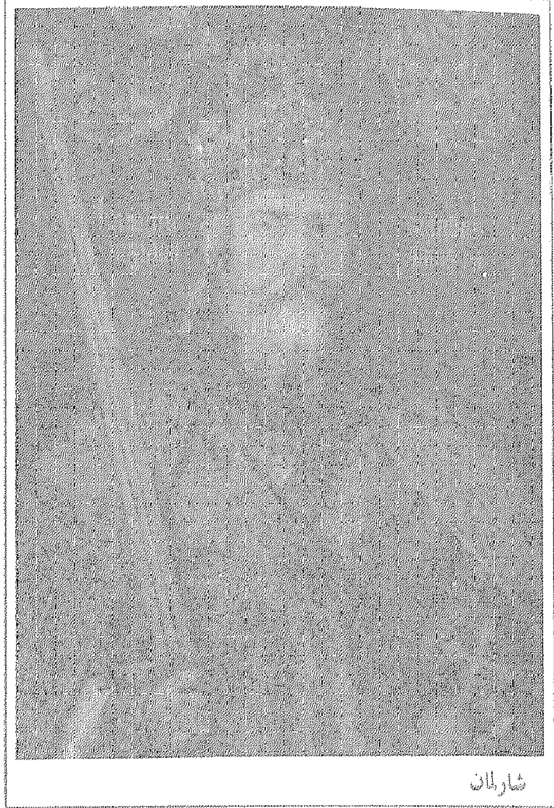
من المصادفات المثيرة في تاريخ العلاقات بين اسبانيا العربية ومملكة الفرنجة ان يتقلد الحكم في كل منها وبصورة متكررة تقريباً ، رجلان تجمع بينهما كل

ولا بد من الاعتراف أن دولة الفرنجة في عهد شارلمان أصبحت القوة الرئيسية للمسيحية آنذاك وكان في وسعها الأدعاء بأنها وريثة الرومان وحامية المسيحية خصوصاً بعد تردي العلاقة بين البابوية وبين الدولة البيزنطية التي ابتعدت كثيراً في ذلك الحين عن الخط البابوي . وهذا الموقع الذي اكسبه شارلمان لدولته اقترن بالتزامات كان لا بد أن يؤديها للبابوية التي كان أشدّ ما يثيرها نمو القوة الإسلامية في الأندلس ونجاح عبد الرحمن الداخل في توطيد حكمه ، بعد أن تخلص من كافة الخصوم والمنافسين من زعماء القبائل هناك ، باستثناء جيوب ظلت تقاوم الشكل الجديد والموحد للاندلس الذي فرضه عبد الرحمن .

واتيحت الفرصة لشارلمان للاستفادة من تمرد هذه الجيوب ، لشن هجوم على العرب المسلمين وطردهم من اسبانيا ، وهو قرار لم يغب عن زعماء العرب هناك ، ولكنهم شغلوا بخلافاتهم عن مواجهة هذا الخطر الذي تجسد بصورة خاصة في عهد شارلمان . حتى أن الأمر ، وصل ببعض الذين تمردوا على الأمير الأموي إلى الاتصال بالملك الفرنجي ودعوته إلى دخول البلاد لطرد الأمير المغتصب للحكم على حد تعبيرهم .

فبعد عام واحد من سيطرة عبد الرحمن على السلطة في الاندلس خاض ثورة في الشمال على يد زعيمي برشلونه وسرقسطة[٣] ضد الأمير الأموي المنهمك حينذاك في اخماد ثورة أخرى في الجنوب[٤] . فأرسل أحد قواده لاخضاع ثورة الشمال ولكنه هزم أمام حاكم برشلونة . فأدى ذلك إلى تعقيد الأمور خاصة وأن المتمردين قد وصلوا إلى نقطة اللارجوع في مخاصمتهم لعبد الرحمن ، وكانوا على معرفة تامة بشخصيته التي لا تغفر مثل هذه المواقف مهما طال الزمن . وليقينهم ان هذا الأخير سيقضي عليهم عند أقرب فرصة ، سارعوا إلى الاتصال بشارلمان وطلب المساعدة منه . ومن المرجح ان حاكم سرقسطة (Zaragoza) هو الذي وجّه هذه الدعوة[٥] حيث كان على اتصال قديم مع الفرنجة بحكم الموقع الجغرافي لولايته ، ولا ريب ان نوازع الاستقلال والسلطة وربما العصبية اليمنية دفعت إلى التهافت أمام الفرنجة وارتكاب هذا الموقف الخياني .

وهذا ما كان ينتظره شارلمان فعلاً ويخطط له ،



شارلمان

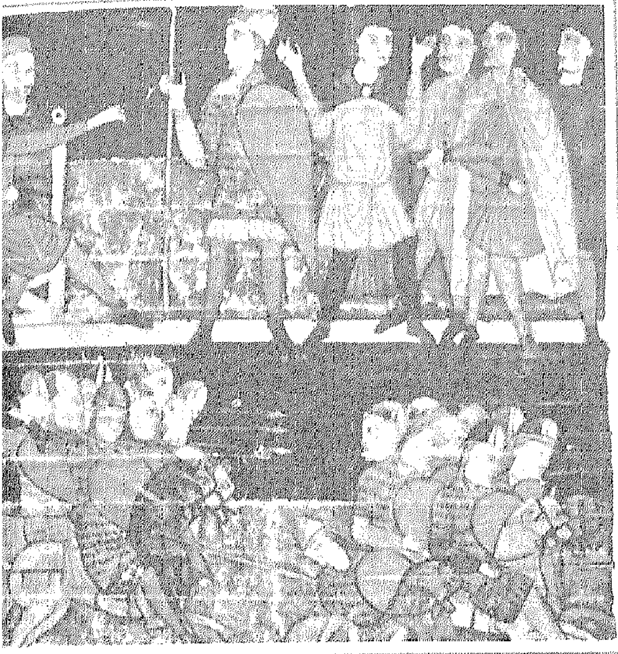
مواصفات الزعامة السياسية والعسكرية .. وذلك الحماس الملتهب في الدفاع عن الوجود .. وعن العقيدة . فكما أحبط (مارتل) مشاريع الغافقي في أوروبا ووقف كالجدار الحديدي أمام اكتساح العرب لفرنسا ، قدر لعبد الرحمن الداخل مناجزة شارلمان — حفيد شارل مارتل وأعظم شخصيات الأسرة الكارولنجية ، فقد تولى هذا الملك الحكم بعد والده (بيان) وورث عنه تلك العلاقة الودية مع الكنيسة ، التي قدرت بإعجاب مواقف الكارولنجيين في انقاذ المسيحية من خطر الاسلام ، وفي التبشير لها بين القبائل الوثنية الأوروبية بحد السيف . وقد أفادت هذه العلاقة شارلمان كثيراً ، فاستغلها لتحقيق طموحاته في السيطرة على أوروبا ومحاولة بعث الامبراطورية الرومانية القديمة من جديد في اطار المسيحية ، ومن هنا كانت تحركاته العسكرية في ايطاليا وقضاؤه على اللمبارديين . وعلاقات العداوة التي اشهرها ضد العرب في اسبانيا والعمل على طردهم منها . وهي جهود وظفها أخيراً في سبيل بلوغ الهدف الذي تطلع إليه ، بأنه حامي البابوية في روما التي اعترفت به أمبراطوراً رومانياً مقدساً في وقت لاحق .

وهو جرّ الأندلس إلى الحال الذي كانت عليه قبل مجيء (الداخل) ومن ثم الانقضاض عليها . ولم يلبث أن قام بهجومه المرتقب مجتازاً (البيرينيه) في صيف (٧٧٨م)[٦] ، وفي اعتقاده أن المدن الثائرة ستبادر إلى فتح أبوابها أمام جيوشه . ولكن شيئاً من هذا لم يتم ، فسرعان ما تطورت الأحداث بشكل مفاجئ ورفض المتآمرون المضي بعيداً في هذا الدور الخياني واعتصموا داخل المدن رافضين التخلي عنها . ومن بينهم ابنا االحاكم المتواطئ . ورغم التزام هذا الأخير بموقفه التآمري مع شارلمان إلا انه لم يستطع تقديم أي شيء يذكر له . وانتهى الأمر بتراجع الملك الفرنجي في اعقاب هجوم مضاد عن اسوار سرقسطة ، ولم يجد أمامه سوى الأمير الخائن (سليمان ابن يقظان) فألقى القبض عليه[٧] .

وساعدت الظروف الأمير الأموي عبد الرحمن للتخلص من هذه المحنة بدون خسائر تذكر ، ذلك أن شارلمان اضطر إلى الإنسحاب نهائياً من اسبانيا بعد ابلاغه عن تمرد القبائل السكسونية وسيطرتهم على (كولون) ، وبعد أن أذهله ما رآه من تحول في مواقف المدن الثائرة على نحو لم يكن يتوقعه . فعاد أدراجه يحمل الفشل ويصب غضبه على مدينة (بنبلونه) عاصمة البشكنس[٨] فيدمرها شرّ تدمير[٩] . ولعله أراد من وراء ذلك كشف ممر الرونسيسفال Roncesvalles وتجريده من قوته الدفاعية تمهيداً للعودة من جديد إلى اسبانيا . وتشاء هذه الحادثة أن تلقي عليه فشلاً آخر على يد هؤلاء البشكنس الذين اعدوا له كميناً عند ممر الرونسيسفال في الطرف الغربي من (البيرينيه). وهو من الممرات القديمة في هذه الجبال التي يعود استعمالها إلى أيام الرومان .

انشودة رولان :

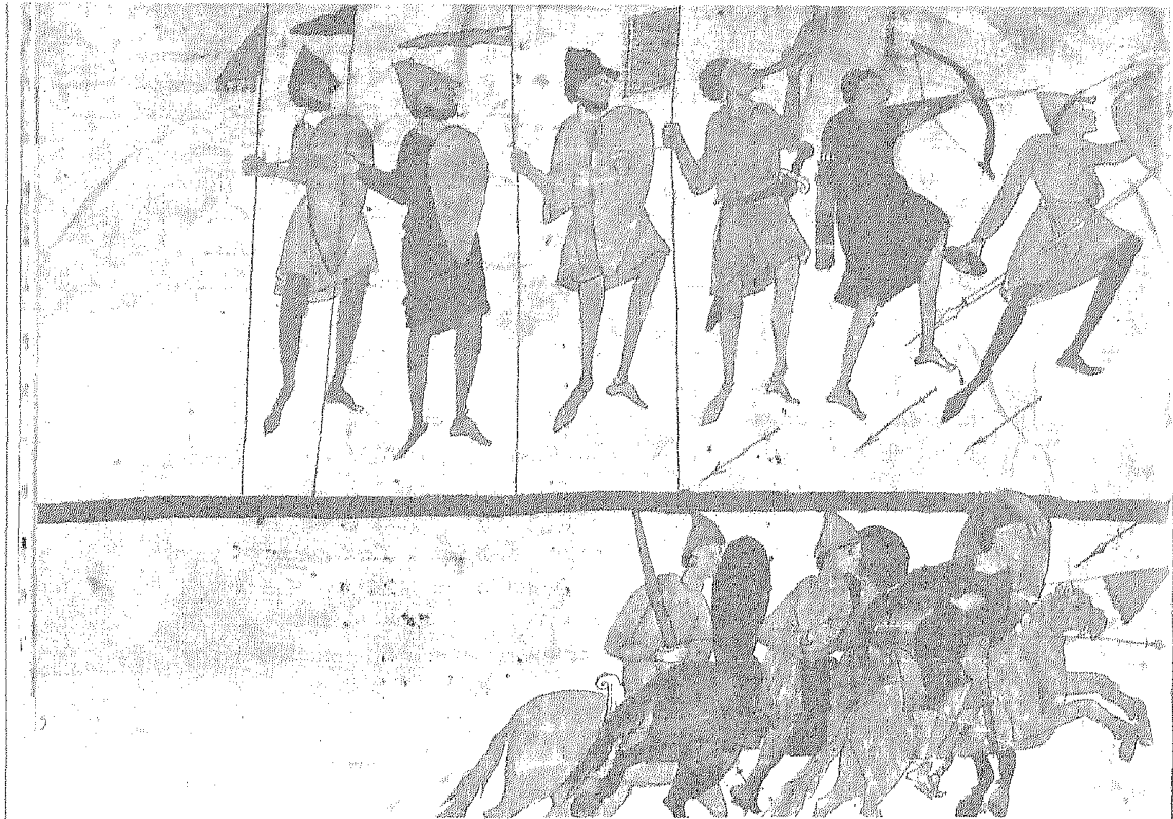
وفي أثناء اجتياز شارلمان مع جنده الشعاب الضيقة ، شنّ البشكنس هجوماً مفاجئاً على مؤخرة الجيش ، وكانت تسير ببطء ملحوظ بسبب طبيعة الأرض الوعرة ، فقضوا عليها تماماً بحيث لم يكد يفلت منها أحد . على أن هنالك من يشكك في انفراد قبائل البشكنس المسيحية بهذا العمل الحربي ، ويعتقد أن وراءه تدبيراً عربياً اعده الأمير الأموي ، معتمدين بذلك على إيحاءات انشودة رولان الشهيرة ، التي المحت إلى الدور العربي البارز في هذا



« سيد » فرنسي يصدر أوامره إلى قائد مجموعة عسكرية .

الهجوم[١٠] ، والذي أدى إلى مصرع أحد أفضل قواد الحملة الشارلمانية . وقد راجت هذه الفكرة خلال القرون التالية ، حيث ظهرت الانشودة لاعطاء مصرع رولان خلفية صليبية وتعبئة الأوروبيين ضد العرب والحث على طردهم من اسبانيا . وسواء كانت للعرب الأندلسيين يد في كمين الرونسيسفال ، أم أن البشكنس وحدهم الذين دبروه بدافع الإنتقام والعداوة التقليدية ضد الفرنجة ، فقد كان ذلك ضربة اليمة على شارلمان وكان أشدها إيلاماً انها أول هزيمة عسكرية في حياته ، ولم يكن مستطاعاً محو آثارها بالسهولة الممكنة .

وبعبارة أخرى فإن هذه الحادثة أصابت كبرياءه العسكري بطعنة قوية واضرت كثيراً بمشاريعه الامبراطورية التي كان يعمل لها بكل تصميم ، وكانت أقصر الطرق اليها بنظره عبر اسبانيا ، فإنصرف منذ ذلك الحين إلى الاكتفاء بإقامة شريط دفاعي ومراكز محصّنة على الحدود لمراقبة تحركات العرب المسلمين . وبذلك انطوى حلمه التوسعي نحو الغرب بصورة نهائية . ذلك ان شارلمان وجد نفسه غارقاً في تسوية مشاكله مع السكسون ومضطراً إلى موادعة الأمير الأموي . ونسمع في هذا المجال عن اتصالات بين الملك والأمير ربما وصلت إلى حد المصاهرة[١١] إلا انها غير مؤكدة . ومن الثابت أن الرجلين شعرا بالحاجة



جنود فرنسيون مع اسلحتهم.



موت رولان
(متحف كوندة - شانتللي)



بقايا جنود شارلمان

للإنصراف عن الحرب إلى أمور داخلية .. فكما تمردت القبائل السكسونية على شارلمان وأجبرته على التراجع عن اسوار سرقسطة لإنقاذ عرشه . كذلك تعرض عبد الرحمن الداخل لمؤمرات من جانب اقاربه من البيت الأموي استهدفت امارته في قرطبة[١٢] . وكان هذا في مصلحة الحكم العربي في اسبانيا الذي قدّر له أن يستمر مطمئناً نحو ثلاثة قرون من الزمن[١٣]

وبهذا المصير الذي آلت اليه حملة شارلمان . تكون أول محاولة منظمة لطرد العرب من اسبانيا قد كتب عليها الفشل . دون أن تحدث أي نوع من التغيير في خارطة المنطقة وبأقل تكاليف من جانب النظام الأموي هناك . ولكن هذه الحملة استغلت فيما بعد لتحريك الشعور الصليبي الأوروبي على أوسع نطاق . مجسداً في انشودة رولان (La chanson de Roland) القائد الذي سقط في الرونسيفسال

فأصبحت على كل لسان يتغني بها الشعراء الجوّالون ويضيفون إليها أخباراً تدخل في عالم الأساطير. ومع الزمن ظهر رولان للأوروبيين كأحد الرموز المقدسة في تاريخ العلاقات بين الفرنجة والعرب تتمثل فيها بنظرهم أسمى مراحل التضحية والاستشهاد من أجل العقيدة .

المراجع

(١) د . ماجد : العلاقات بين الشرق – والعرب .

(٢) نهر قرب الرملة في فلسطين .

(٣) تحالف سليمان بن يقظان الكلبي والحسين بن يحيى الانصاري ضد عبد الرحمن الداخل .

(٤) قامت هذه الثورة بزعامة رجل من البربر سمى نفسه بالفاطمي وكان مركزها (Santa Maria) .

(٥) ستانلي لين بول : العرب في اسبانيا صفحة ٢٩ .

(٦) Levi — provencal : Histoire de l'Espagne Musulmane I/118

(٧) وايفز : شارلمان ص ١٠١ .

(٨) الباسك

(٩) عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١٧٦/١ .

(١٠) أخبار مجموعة ١٩٣

(١١) نفح الطيب ١٢٥/١ .

(١٢) عنان : م س .

(١٣) ستانلي لين بول : م . س .

أسرة بني أبي عقيل في مدينة صور خلال القرن ٥ هـ - ١١م.

د. عمر عبد السلام تدمري



شهد لبنان في تاريخه الوسيط قيام بعض الأسرات الحاكمة في عددٍ من مدنه ، منها أسرة بني عمّار في طرابلس ، وأسرة ابن الشيخ في صيدا ، وأسرة بني أبي عقيل في صور ، وأسرة بني مرداس التي حكمت بعلبك لفترة من الوقت..

وفي هذه الدراسة نؤرّخ لأسرة بني أبي عقيل التي تولّى أبناؤها منصب القضاء في مدينة صور من قِبَل الخليفة الفاطمي ، في العشرينات من القرن الخامس الهجري ، وبالتقريب حول سنة ٤٢٥ هـ ./١٠٣٤ م . إن لم يكن قبل ذلك . ثم استقلّوا بحكمها عن الدولة الفاطمية سنة ٤٥٥ هـ . ، وأقاموا بها إمارة كان نفوذها يشمل ، في بعض الأحيان ، مدينة صيدا في الشمال . أما في الشرق والجنوب فنجهل حدود نفوذها ، إذ أن المصادر التاريخية التي بين أيدينا لم تسعفنا بشيءٍ من ذلك . وامتدّ حكم بني أبي عقيل ، المستقل ، ما ينيف على ربع قرن ، حتى سقط في سنة ٤٨٢ هـ ./١٠٨٩ م . وعادت صور إلى الدولة الفاطمية من جديد .

* * *



إن أقدم تاريخ محدّد لوجود أبناء هذه الأسرة في قضاء صور هو سنة ٤٢٩ هـ ./١٠٣٨ م . فقد جاء في « تاريخ دمشق » (المخطوط) لابن عساكر ، إن أبا مسعود صالح بن أحمد الميانجي قاضي صيدا ، توفي في ١٩ من شهر ربيع الأول سنة ٤٢٩ هـ . فسار القاضي « أبو محمد عبدالله بن علي بن عياض بن أبي عقيل » قاضي صور وأهلها إلى صيدا للصلاة عليه[1] .

ولكن وجود أبناء أبي عقيل في لبنان ، على وجه العموم ، يرقى إلى نحو منتصف القرن الرابع الهجري (حول ٣٥٠ هـ.) ، لأن أبا محمد عبد الله ابن علي أخذ الحديث عن شيخ المحدّثين في مدينة صيدا ومُسْنِدِها الكبير أبي الحسين محمد بن أحمد ابن جُمَيع الصيداوي المتوفي سنة ٤٠٢ هـ[2] .

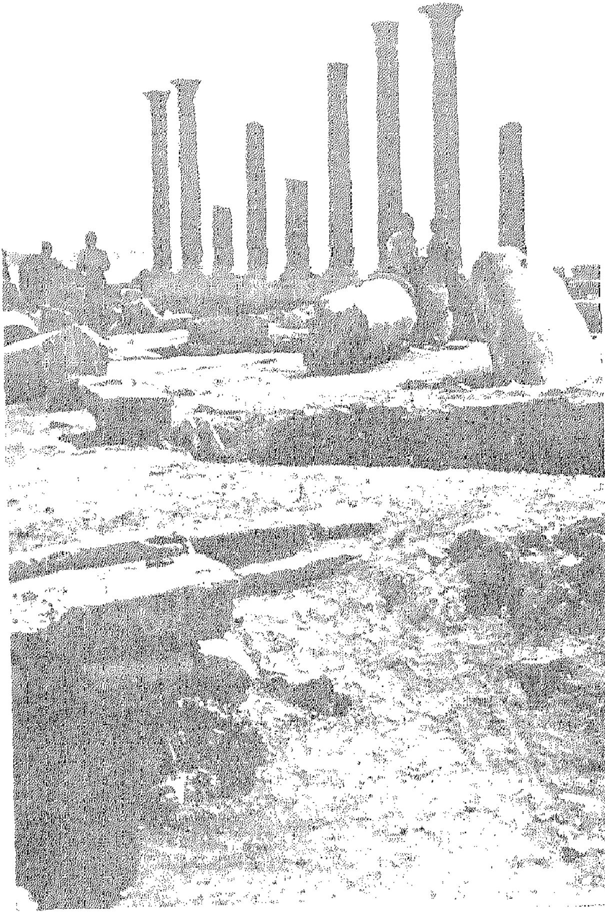
فعلى افتراض أن ابن أبي عقيل أخذ الحديث في السنة التي توفى فيها ابن جُمَيع ، فإن عمره – على

الأقل – كان بحدود العشر سنوات ، وهو سنّ الطلب المتوسط ، إن لم يكن أكثر من ذلك . وبهذا يمكننا أن نُرجِع ولادة عبدالله إلى العشر الأخير من القرن الرابع الهجري . فإذا عرفنا أنه توفي سنة ٤٥٠ هـ . فإنه يكون قد ناهز الستين سنة . وهو على الأرجح من مواليد صور ، وأغلب الظن أن والده علياً – حاكم صور وقاضيها – وُلد فيها أيضاً ، لأنه يروى عن « أحمد بن عطاء الروذباري » الصوفي نزيل صور والمتوفي بها أواخر سنة ٣٦٩ هـ . ولكن من غير المعروف لدينا تاريخ تولّيه قضاء صور وحكمها . فالذي نعرفه من وُلاة صور قبل بني أبي عقيل هو « الحسين ابن ناصر الدولة بن حمدان » الذي تولى عليها وأقام بها سنة ٣٨٧ هـ .(٣) .

● أما النص التاريخي الثاني الذي أفادنا عن وجود بني أبي عقيل في صور ، فهو النص الفارسي الذي ذكره « ناصر خسرو » في رحلته إلى ساحل لبنان سنة ٤٣٨ هـ ./١٠٤٧ م . حيث يذكر أن قاضي صور كان رجلاً سُنّياً « اسمه ابن أبي عقيل ، وهو رجل طيب وثري .. » .

ولا بأس في ذكر النص كاملاً لأنه يساعد في توضيح الصورة التي كانت عليها مدينة صور في عهد بني أبي عقيل ، وفي القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي :

« .. بلغنا مدينة صور ، وهي ساحلية أيضاً . وقد بُنيت على صخرة امتدّت في الماء ، بحيث أن الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع ، والباقي في ماء البحر . والقلعة مبنيّة بالحجر المنحوت الذي سُدّت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلله . وقد قدّرت المدينة بألف ذراع مربّع . وأربطتها من خمس أو ست طبقات ، وكلها متلاصقة ، وفي كثير منها نافورات . وأسواقها جميلة كثيرة الخيرات . وتُعرف مدينة صور ، بين مدن ساحل الشام ، بالثراء . ومعظم سكانها شيعة . والقاضي هناك رجل سنّي اسمه ابن أبي عقيل ، وهو رجل طيب ثري . وقد بُني على باب المدينة مشهد به كثير من السجاجيد والحصير والقناديل والثريّات المذهّبة والمفضّضة . وصور مشيّدة على مرتفع ، وتأتيها المياه من الجبل . وقد شيد على بابها عقود حجرية ، يمرُّ



آثار من مدينة صور : أعمدة غرانيتية .

من فوقها إلى المدينة . وفي الجبل وادٍ مقابل لها ، إذا سار السائر فيه ثمانية عشر فرسخاً ناحية المشرق بلغ دمشق »(٤) .

وكما هو واضح فإن ناصرخسرو لم يفصح عن إسم القاضي بل قال إن اسمه « ابن أبي عقيل » . وفي أثناء رحلته كان بصور القاضيان : « علي بن عياض » وابنه « عبدالله بن علي » فأيّهما حاكم المدينة الذي عناه ناصر خسرو ؟

– الأرجح أن حاكم صور هو القاضي : « علي بن عياض بن أحمد بن أيوب ابن أبي عقيل » ، فقد ورد ذكره في حوادث سنة ٤٤٢ هـ ./١٠٥٠ م . وهو يسعى في الصفح عن « ثمال بن صالح بن مرداس » صاحب حلب لدى الخليفة القاطمي المستنصر بالله الذي أنعم عليه بلقب « عين الدولة » مكافأة له على ما بذله في خدمة الخلافة(٥) . ونراه يخلص في النُصح للمؤيَّد في الدين ، داعي الدعاة ، « هبة الله بن موسى الشيرازي » الذي كان يقصد قتال « ثمال » ومؤازرة « ارسلان البساسيري » التركي ، حيث أقنعه بالعدول عن

ذلك[٦]. غير أن «اليازوري» وزير مصر كان يرى ضرورة التخلص من «ثَمَال بن صالح»، ولذلك لجأ إلى «عين الدولة علي بن عياض» قاضي صور، في تنفيذ هذا الأمر.

ولما كان يعزّ على القاضي عين الدولة أن يغدر بصاحبه، فقد نجح في إيجاد حلّ وسطٍ، أخرج به «ثَمَال» من حلب سالماً، ليسير إلى القاهرة، ويقيم هناك في سنة ٤٤٩ هـ./١٠٥٧م.، وتسلّم حلب والٍ من قِبَل الخليفة المستنصر. وفي ذلك يقول «المقريزي» إن اليازوري «رأى أن الحيلة أبلغ فيما يُؤْثِره، لأنه إن رام صرفه لم يُطِق ذلك، وإن نابذه أُلزِم كُلَفاً كثيرة. فاستعمل السياسة والتدبير الخفي، وندب لذلك رجلاً من أهل صور، له بها رئاسة ووجاهة، يقال به: عين الدولة علي ابن عياض، قاضي صور، فساس الأمر، وأحكم التدبير فيما قرّره مع كاتب ثَمَال بن صالح وما وعده به، حتى نزل من قلعة حلب وسلّمها إلى مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم، والي الخليفة المستنصر. وسار من حلب يريد مصر للقاء الحضرة، فلما بلغ رفح اتصل بـه خبر القبض على اليـازوري، فقال: والله إني أموت بحسرة ونظرة إلى مَن استلبني من ذلك المُلك وأخرجني بلا رغبة ولا رهبة إلا بحسن السياسة، وإنْ رام ذلك مني فليس يتعذّر عليه»[٧].

* * *

ومما سبق يمكن أن نقرر ما يلي: –

١ – إن عين الدولة علي بن عياض كان الحاكم والقاضي على صور للدولة الفاطمية رغم سنّيته ومخالفته لمذهب الخليفة. وهذه ملحوظة يجدر التوقف عندها، ولها أهمّيتها لدى الباحثين ومؤرّخي الفِرق الدينية.

٢ – إن عبدالله بن علي كان قاضياً ومحدّثاً، وكان يخلفه على الحكم في القضاء أبو محمد عطية الله ابن الحسين الصوري الخطيب المتوفي سنة ٤٤٥ هـ[٨].

٣ – إن علي بن عياض كان على علاقة طيبة مع الخلافة الفاطمية، كما كان شخصية مرموقة ومسموعة الكلمة لدى أمراء الشام.

٤ – إن أسرة بني أبي عقيل كانت أسرة علم وحديث، مُدح أفرادها من شعراء عصرهم.

٥ – إن بين بني أبي عقيل، وبني عمّار في طرابلس عدة قواسم مشتركة تتشابه بها وتتفق معها، سوى أن قُضاة صور كانوا سُنّة، بينما كان قضاة طرابلس شيعة.

● وقد حدث أن تعرّضت طرابلس لحملة بحرية قام بها أسطول بيزنطي مكوّن من ٨٠ قطعة في سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦م. وكان جُنْد طرابلس قد خرجوا لقتال البيزنطيين في نواحي أنطاكية، ولم يبق في المدينة سوى عدد قليل من المقاتلة وأهلها، مما دعاهم إلى الاستنجاد بإخوانهم في صور، فأنجدهم قاضيها بإرسال قوات كثيرة، براً وبحراً، أجبرت البيزنطيين على الانسحاب من مياه طرابلس دون تحقيق أهدافهم[٩].

وينفرد «سبط ابن الجوزي» بذكر هذه الحملة، وهو يسمّي قاضي صور «محمد بن عقيل»! وهو – فيما يُحتمل – يقصد «أبا الحسن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي عقيل». ولكن هذا لا يتفق مع رواية «المقريزي» السابقة، التي تسمّي «عين الدولة علي بن عياض» رئيساً لصور في سنة ٤٤٩ هـ. أي في السنة التالية للحملة البيزنطية. وهذا قاسم مشترك، آخر، يجمع بين أسرة بني أبي عقيل وبني عمار، في اضطراب وتشويش المصادر التاريخية حول تسلسل أفراد الأسرتين. (أنظر شجرة أنساب بني أبي عقيل).

ومن المصادر التاريخية التي وصلتنا نجد أن عين الدولة علي بن عياض ينتهي ذكره في حوادث سنة ٤٤٩ هـ. فلا نعرف عنه شيئاً بعد ذلك.

أما ابنه، عبد الله، فقد توفي فجأة في الزيب بين عكا وصور في شهر شوال سنة ٤٥٠ هـ. وكان صَدوقاً ثقةً، يلقّب أيضاً عين الدولة. إتصل به المؤرخ الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد، وخرّج له فوائد في أربعة أجزاء، وقرأها عليه بصور. وقيل إنه وضع مصنّفاتٍ أخذها الخطيب وادّعاها لنفسه[١٠].

وخلّف عبد الله ولدين هما:

١ – أبو الفرج أحمد، ويعرف بالقاضي. تتلمذ على المؤرّخ الخطيب البغدادي في جامع صور سنة ٤٥٩ هـ[١١].

٢ – أبو الحسن محمد الملقب أيضاً بـ «عين الدولة». تولّى قضاء صور وحكمها بعد وفاة أبيه سنة ٤٥٠ هـ. واستقل بها عن الدولة الفاطمية في سنة

٤٥٥ هـ.[١٢] وامتدّ نفوذه إلى مدينة صيدا حيث أناب على قضائها «ابن أبي العيش الجمحي الأطرابلسي» المتوفي سنة ٤٦٠ هـ.[١٣] وصفه «ابن الفوطي» بـ: «الأمير صاحب الساحل. كان له الحكم المطاع في جميع بلاد الساحل، وقد خدمه كل رئيس فاضل، وأديب كامل. أنشد في اغتنام الشباب:

أمـا الشبيبـة والنعيم فـإنني
لم ادر أيهمـا ألـذّ وأقصر
حتى انقضي عمر الشباب فبان لي
أن الشبـاب هو النعيم الأكبر
لا تُخدَعَنّ عنـه، فبائع ساعةٍ
منـه بـدنيـاه جميعـاً يخسر

وذكر «ابن النجار» في تاريخه أن عين الدولة أنشد يوماً بيتي أبي إسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي، اللذين يقول فيهما:

فاشرب على وجه الحبيب..

ثم قال لغلامه: أحضِرْ هذا الشأن، يعني الشراب، فقد أفتانا به الإمام أبو اسحاق. ولما بلغ ذلك الإمام أبا إسحاق بكى ودعا على نفسه، وقال: ليتني لم أقل هذين البيتين قط»[١٤].

وذكر «المقريزي» ألقـابـه على هـذا النحو: «صمصام الدولة، القاضي الأعزّ الأجلّ، سند الحكّام، جلال الدولة وعمادها، ذو المعالي، صفي أمير المؤمنين، القاضي الناصح، ثقة الثقات، عين الدولة، أبو الحسن..»[١٥]. وهو الذي مدحه «ابن السرّاج أبو محمد جعفر بن أحمد» في «مصارع العشاق» بقصيدة مطلعها:

عرّج بنـا عن الحمى يمينـا
فقـد تولى الحيرة الغـادونـا[١٦]

وهو الذي اشتكى إليه الشاعر المعروف بـ «ابن حيّوس» في ديوانه، وعاتبه على تصرّف أحد سماسرة دار الوكالة في صور من وقوف بعض تجارته، فقال من قصيدة:

تعمّـدني بـالجَوْر كي يستفزّني
فلا كان ما يرجو لديّ ولا اشتفا
وسَوَّفَني حيفـاً إلى أنْ شكوتـه
على أنني لم ألق إلاّ مسوِّفـا[١٧]

وقال له في مطلع قصيدة أخرى:

ظُلامـة مَن أعـدَّك لليـالي
ومَن أثنى بفضلك غير آلِ
أيـا ثقـة الثقـات أَصِخْ فُواقـاً
لتسمـع مـا يشقُ على المعـالي[١٨]

* * *

كان استقلال محمد بن أبي عقيل في حكم صور سنة ٤٥٥ هـ. فاتحة حركات استقلالية وانفصالية أخرى عن الدولة الفاطمية، فقد استولى القاضي أمين الدولة ابن عمار على طرابلس واستقل بها بُعَيْد سنة ٤٥٧ هـ.[١٩]. وفي سنة ٤٦١ هـ. ثار أهل دمشق على واليها الفاطمي «بدر الجمالي» فأخرج أهله الى صيدا، ثم لحق بهم، وقام بمحاصرة صور أياماً حتى قصده «حيدرة بن منزو الكتامي»، وما أن اقترب منه حتى سار «بدر» الى عكا، وما لبث ابن منزو أن مات وهو عند صور[٢٠].

وتقلبت دمشق في تلك السنة بين «بدر الجمالي» وخصومه عدة مرات، حتى استولى عليها «القفّي مختص بن أبي الجنّ» في سنة ٤٦٢ هـ. وطرد منها نائب أمير الجيوش «بدر الجمالي»، ثم خرج «ناصر الدولة الحسن بن حمدان» في جماعة من قوّاد الأتراك وأمراء مصر على «المستنصر بالله»، وملك الرملة وساحل فلسطين في السنة نفسها. ولم يبق لأمير الجيوش في الشام وفلسطين غير عكا صيدا[٢١].

وإزاء هذا الخطر المحدق بالنفوذ الفاطمي في الشام، قام «بدر الجمالي» على رأس الجيش الفاطمي القادم من مصر بمحاصرة مدينة صور ومضايقتها حتى أضر بأهلها، مما دفع قاضيها أبا الحسن محمد الى مكاتبة الأمير «قرلو» مقدّم الأتراك الواردين من العراق، والمقيمين في بعض نواحي الشام، مستصرخاً له ومستنجداً به، فأجابه الى طلبه، وسار في ستة آلاف فارس –حسب رواية ابن القلانسي– واثني عشر الف فارس –حسب رواية ابن الأثير– فضرب الحصار على مدينة صيدا التابعة لنفوذ «بدر الجمالي» حتى ضيّق على أهلها، ويظهر أن الأتراك نجحوا في دخولها ووضعوا عليها والياً تركياً من قبلهم. وترامت الأخبار الى «بدر الجمالي» وهو لا يزال منازلاً لصور، فخاف أن يحيط به الأتراك، ولذا رفع حصاره ورحل عن صور، بعد أن كان على

قاب قوسين من الأستيلاء عليها ، إذا كان قد نجح في تأليب الكثير من أهلها وعساكرها ، وقويت شوكته بهم ، فقد كان «هرون بن خان التركماني» يقيم في صور ، في ذلك الوقت ، ويعيش في كنف صاحبها عين الدولة محمد بن عبد الله ، الذي أحسن اليه ووصله وأعطى أصحابه الأتراك الغُزّ ، بعد أن تخلّى عنه «محمود المرداسي» صاحب حلب . ولكن ، عندما جاء «بدر الجمالي» يحاصر صور خرج اليه «ابن خان» منحازاً اليه ، ونافق على القاضي عين الدولة ، ولم يحفظ له صنيعه واستضافته عنده ، مما جعل القاضي يُغري اثنين من «الغُزّ» بالمال لقتله ، فقتلاه وحملا رأسه اليه ، فطيف به في أسواق صور في تلك السنة (٤٦٢ هـ) . ونتيجة لهذا الموقف المضطرب ، فارق جماعة من «الغُزّ» مدينة صور ، بعد أن كانوا بخدمة قاضيها ، ولحقوا بـ «بدر الجمالي» .

وما أن انسحب «بدر» من أمام صور ، حتى رحل أصحاب «قرلو» عن صيدا الى داخل الشام ، فعاد «بدر» ونازل صور من جديد وحاصرها براً وبحراً ، وضايقها سنة كاملة ، حتى اشترى اهلها رطل الخبز بنصف دينار ، ورغم ذلك لم يظفر بالاستيلاء عليها[٢٢] . إذ وقع الخلاف بين العناصر التركية في الشام ، فخسر «بدر» حلفاءه «الغُزّ» لانفضاضهم من حوله .

وهكذا انحسر النفوذ الفاطمي عن ساحل لبنان كله لبضع سنين . واستطاع عين الدولة محمد أن يحتفظ بإمارته في صور ، وأن يحافظ على استقلالها عن الدولة الفاطمية ، الى أن توفي بها سنة ٤٦٥ هـ[٢٣] . مخلفاً ثلاثة أبناء وصلتنا أسماؤهم ، وهم :

١ — الحسن

٢ — ابو البركات عبد الرحمن ، المعروف بالقاضي ، وهو الذي صلّى على محمد بن عتيق الصقلّي المقرئ المالكي المتوفى في مستهل رجب ٤٦٨ هـ . ودفن بجوار الجامع المعروف بـ «عتيق» في صور(٢٤) نسبة اليه ، كما نرجح .

٣ — النفيس . وهو الذي استولى على حكم صور بعد وفاة أبيه ، وتصرف في شؤونها مع أخويه . وقد مدحه «ابن السراج» بقصيدة مطلعها :

يـــا هنـــد هـــل وَصْلٌ فيُرتقب
إن كـــان يحفظ في الهوى سبب

ومنها :

فوردت بغـــداد وطـــال بهـــا
عهـــدي وحَرك نحوهـــا سبب
وطلبت مثلك يـــا «نفيس» بهـــا
رجلاً ، فـــأعيا عبـــدك الطلب[٢٥]

* * *

وفي عهد «النفيس» تعرّضت صور لحملة قام بها «أتسز بن أوق الخوارزمي التركماني» أحد أمراء السلطان «ملكشاه» السلجوقي ، وكان قد ملك الرملة والقدس ، وحاصر يافا ، فهرب صاحبها «رزين الدولة» ومن كان فيها من أهلها الى صور ، فهدم سورها . (٢٦) وحاصر دمشق في سنة ٤٦٣ هـ . ثم دخلها في أواخر سنة ٤٦٨ هـ . وقطع الخطبة للمستنصر بأمر الله[٢٧] . وبعد أن استقر له الأمر بدمشق خرج منها في جمع عظيم قاصداً الساحل ، فنازل طرابلس في أوائل سنة ٤٦٩ هـ . ولكن صاحبها جلال الملك ابن عمار صدّه عنها ، فتحول الى صور ونازلها ، ولما لم يتمكن من دخولها عقد مع صاحبها «النفيس» هدنة مشروطة بأن يُسمح للغُزّ بدخول صور فيبيعون ويشترون ، ولا يقيمون فيها . (٢٨) وجاء هذا الشرط الذي ينظم العلاقة بين قاضي صور والغُزّ بسبب ما ظهر من خيانتهم في عهد أبيه عين الدولة محمد .

ومن المعتقد أن «أتسز» ركزّ هجومه على طرابلس وصور بالذات مستغلاً قطع العلاقات بين المدينتين ومصر للتضييق عليهما دون عكا التي كانت تتبع لبدر الجمالي وزير مصر مباشرة ، فهو مطمئن إلى أن صاحبي طرابلس وصور لن يتلقيّا مساعدة من مصر أثناء منازلتهما .

ولا شك أن «أتسز» حققّ بعض أهدافه بأن أخذ من طرابلس وصور خفارة ، فاشتريتا منه بالمال بمنح الغُزّ ميزات تجارية حيث تم له فتح أبوابهما للتجارة مع الداخل ، «فكانت الخطبة المصرية بهما لم تتغير ، والغُزّ يدخلون الى صور فيبيعون ويشترون ولا يقيمون فيها . وعلى هذا كانت الهدنة» . (٢٩)

ويرجع عهد دخول الأتراك الغُزّ صور إلى سنة ٤٥٠ هـ . فقد التقى المؤيد هبة الله الشيرازي بكتيبة منهم هناك قادمة من بغداد ، مقاطعة للبساسيري ، وهي بقصد التوجه الى مصر ، في عدة تشتمل على



طرابلس.

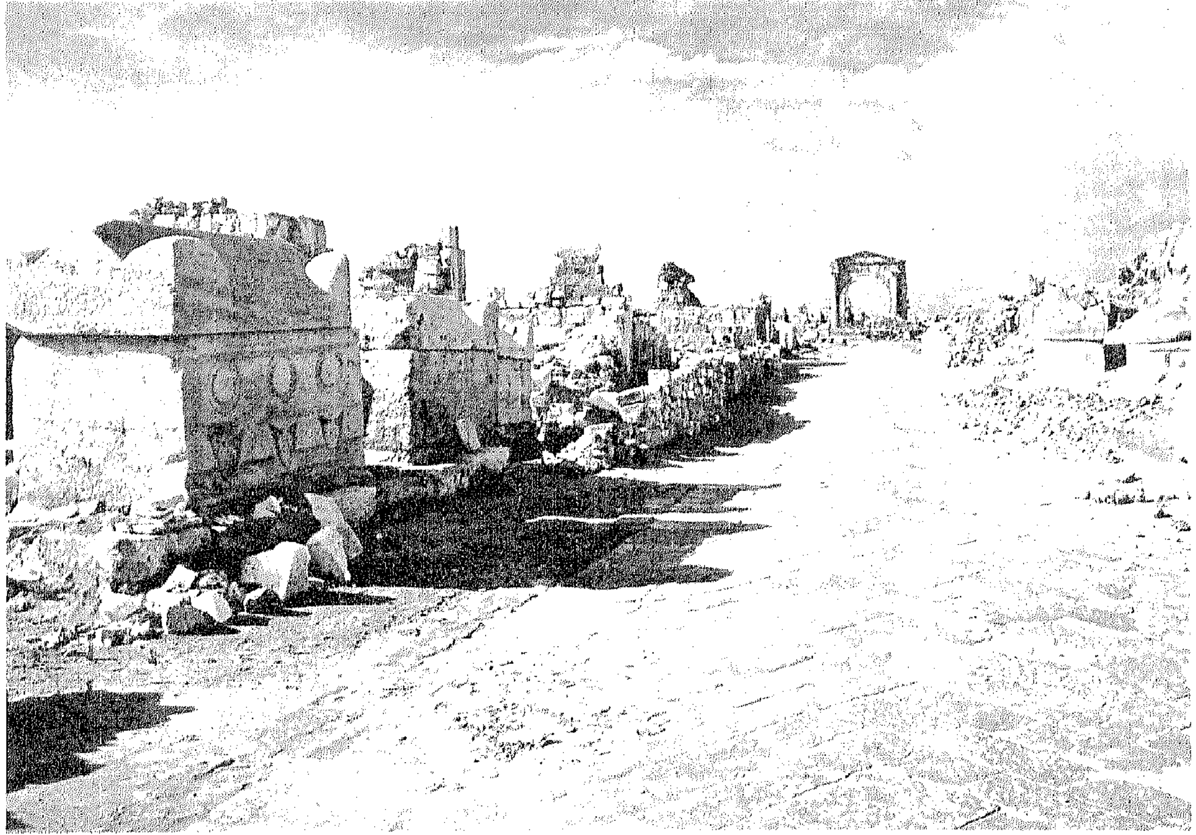
١٣٠ غلاماً، وكان بصحبة المؤيد رجل محتشم من الأتراك أرسله البساسيري رسولاً إلى الخليفة الفاطمي، فبذل المؤيد جهده مع الكتيبة حتى أقنعها بالعودة الى حلب حتى لا يكون أفرادها كلاً على الخلافة في مصر. (٣٠)

وكان على قاضيي صور وطرابلس أن يتقربا بين الحين والآخر من الأتراك السلاجقة، بعد استفحال خطرهم في بلاد الشام، وليتخذا منهم خلفاء ينصرونهما إذا تعرّضا للحملات الفاطمية، فعمدا إلى مصانعتهم بالهدايا والملاطفات. (٣١) وآتى هذا التقرّب ثماره حيث حافظ القاضيان على استقلال امارتيهما، ونجحا في حماية عاصمتيهما عندما جاء «نصر الدولة الجيوشي» في سنة ٤٧١ هـ. فحاصر دمشق واستولى على أعمالها وأعمال فلسطين، ثم قصد الساحل فامتنعت عليه طرابلس وصور.

وفي سنة ٤٧٥ هـ. قام «شرف الدولة مسلم بن قريش» أحد أمراء السلطان السلجوقي «ملكشاه» بمناورة عند صور أظهر فيها أنه يريد حصارها، ولم يكن ذلك الا ليصرف عنه «تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان» أخو ملكشاه، الذي خرج يريد الإيقاع به لأمرٍ بدا منه. ولكنه لم يلحق به عندما علم أنه يريد صور. فلما رجع «تتش» الى دمشق عاد «ابن قريش» الى حمص[٣٢]». وكان من الواضح أن صور لم تغب عن أطماع السلاجقة الأتراك، رغم العلاقات الودية التي كانت تربطهم بقضاتها بني أبي عقيل.

ولبثت صور في يد بني أبي عقيل الى سنة ٤٨٢ هـ. حيث خرج العسكر الفاطمي من مصر مع عدد من المقدّمين، وقصد ساحل لبنان ففتح ثغور صيدا وجبيل، وفي ذلك يقول «ابن القلانسي»:

«وفيها (٤٨٢ هـ. ١٠٨٩ م.) خرج عسكر مصر منها مع مقدميه وقصد الساحل وفتح ثغري صور وصيدا، وكان في صور أولاد القاضي عين الدولة ابن أبي عقيل بعد موته، ولم يكن قوة لهم تدفع ولا هيبة تمنع، فسلموها، وكذلك صيدا، وقرّروا أمرهما، ثم رحل العسكر عنهما ونزل على ثغري جبيل وعكا فافتتحهما»[٣٣]. كما دخل العسكر المصري بعلبك. (٣٤)



على طريق رومانية .. في صور القديمة.

وكان بصور عند فتح الفاطميين لها الوزير «سديد الملك الحسين بن الماسكي» وهو مقيم بها منذ سنين طويلة، فحمل في جملة من حُمل الى مصر وأُوكل إليه مشارفة الاسكندرية[٣٥]. ووضعوا على صور والياً يُعرف بالأمير منير الدولة الجيوشي[٣٦].

وكانت جبيل حين فتحها الفاطميون تابعة لبني عمار أمراء طرابلس، أما صيدا فكان واليها يدعى «ثقة الملك ابن الطهماني» وكان عليها من قبل الأتراك، حيث يقول «ابن أيبك» ان المصريين تسلموا صيدا من الأتراك[٣٧]. وقد هرب «ثقة الملك» منها في البحر الى طرابلس مستجيراً بصاحبها «جلال الملك ابن عمار» ومات فيها.

ولابن الخياط الدمشقي الشاعر قصيدة يرثيه فيها ويعزي بها «جلال الملك»، ومنها:

أبى ثقة الملك إلا حماك
حمى والزمان به طائح
طوى البحر ينشد بحر السماح
الى العذب يقتحم المالح
فبادرت تخسأ عنه الخطوب
دفاعاً كما يُخسأ النابح[٣٨].

* * *

وتنقطع أخبار «النفيس» وأخويه: الحسن، وعبد الرحمن، منذ فتح الفاطميين صور، ويبدو أن بعضهم مات إبان الفتح أو بعد ذلك بقليل، ولذا نرى «ابن السراج» المتوفى سنة ٥٠٠ هـ يقول في «مصارع العشاق»: «ولي من ابتداء قصيدة نظمتها بالشام في بني أبي عقيل، رحمهم الله»:

ألا هل لمن أضناه حبك إفراق
وهل للديغ البين عندك درياق
وهل لأسير سامه قتل نفسه
هواك وقد زمّت ركابك اطلاق
أيا جارة الحيّ الذين ترحّلوا
فللعيس وخد بالحمول واعتناق
أما تخافي الله في قتل عاشق
هجرته حتى في الكرى وهو مشتاق
فقالت وروعات النوى تستحثها

ودمع مـــآقيهـا على النحر مهراق :
هـو البين فـــالبس جنـــة أو فمت
بداء الهوى قد مات قبلك عشاق[٣٩]

ويخبرنا الأمير «أسامة بن منقذ» المتوفي سنة ٥٨٤ هـ.١١٢٤ م . فنزل في دار محمد ابن أبي عقيل ، فرآها وقد تهدمت وتغيرت زخرفها ، فكتب على لوح من رخام هذه الأبيات :

إحـــذر مـن الـــدنيـــا ، ولا
تغترّ بـــــــالعمر القصير
عمروا وشادوا مـــــــا ترا
ه مـن المنـــــازل والقصور
وتحـولـوا من بعـــــد سُكْ
ـنـــاهـــا الى سُكنى القبور[٤٠]

وكتب أيضاً :

دار سكنت بهـا كُرهاً ومـا سَكَنَتْ
نفسي الى سكـن فيهـا ولا شجن
والقبر أرفق لي منهـا وأجمـل بـي
إن صدّني الدهر عن عودٍ الى وطني[٤١]

* * *

وقد وصلنا اسم اثنين من بني أبي عقيل خرجا سالمين من صور هما :

١ - أبو المكارم أحمد
٢ - البهجة ابو طالب علي

والاثنان من أبناء «أبي البركات عبد الرحمن بن محمد» شقيق النفيس . وقد وصل الأمر بأولهما «أحمد» إلى ولاية منصب قاضي القضاة في القاهرة في سنة ٥٣١ هـ . بعد وفاة «سناء الملك ابن ميسر» المؤرخ صاحب «تاريخ مصر» . وكتب إليه القاضي الحسن ابن علي بن صمدون الصوري - وكان قاضياً بصور قبـل سقـوطهـا بيد الصليبيين ، ثم ولي قضاء الاسكندرية ، وبها توفي - :

يـا من أمنت بـه الـذي أتخوف
وغـدوت في أنعـامـه أتصرف[٤٢] .

واستمر أبي عقيل في منصبه حتى توفي في شعبان سنة ٥٣٣ هـ . فأقام الناس في القاهرة بلا قاضٍ ثلاثة أشهر من بعده . وكان يعرف بـ «الأغر ، قاضي القضاة أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عقيل » [٤٣]

أما ثانيهما : « البهجة أبو طالب علي » فقد انتقل الى دمشق وسكنها وعقد بها مجالس الحديث واشتهر هناك بثقته في الرواية ، وقصده الأعلام من رجال الحديث والمؤرخين ، فسمعوا روايته وحدثوا عنه ، ومن أولئك الأعلام :

١ - السمعاني ، صاحب كتاب « الأنساب » وغيره من المصنفات ، والمتوفي سنة ٥٦٢ هـ . الذي قال : «أخبرنا أبو طالب علي بن عبد الرحمن بن عياض القاضي من أهل صور .. بقراءتي عليه في منزله (بدمشق) »[٤٤] . «وبيت أبي عقيل بيت الفضل والقضاء والتقدم . لقيته بدمشق وكتبت عنه ، وقرأت عليه عدة كتب » .[٤٥]

٢ - ابن عساكر الدمشقي ، المؤرخ الكبير صاحب «تاريخ دمشق» وغيره من المصنفات ، والمتوفي سنة ٥٧١ هـ . وروى عنه في تاريخه .[٤٦] وكذلك ابنه الامام الحافظ علي المعروف بابن عساكر أيضاً ، والمتوفي سنة ٦٠٠ هـ .[٤٧]

٣ - أبـو طاهر السلفي الحافظ ، صاحب «معجم السفر» ، المتوفي سنة ٥٧٦ هـ . وقد قال عنه : « أبو طالب هذا ثقة في الرواية ، وبيتهم من أجلّ بيت الشام رياسة وعلماً وإكراماً لمن ينزل بهم من العملاء . وهو : علي بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن علي بن عياض بن احمد بن أيوب بن أبي عقيل . سمع الخُلعي بمصر ، وابن أبي داود » .[٤٨]

٤ - زمرد الخاتون . أخت الملك «دقاق» ، وزوج «تـاج الملوك بوري بن طغتكين» صاحب دمشق ، وأم الملك اسماعيل . ثم صارت زوجة الأتابك «قسيم الدولة آقسنقر» . وكانت قد استحصت الكتب ، وسمعت الحديث من القاضي الفقيه البهجة أبي طالب . وتوفيت سنة ٥٥٧ هـ .[٤٩]

٥ - سرايا بن هبة الله الحرّاني ، وهو تاجر مشهور جوّال ، دخل بلاد الشام ، ومصر ، واليمن ، والهند ، وخراسان ، وسكن دمياط ، وكان راغباً في العلم وسماع الحديث ، سمع القاضي أبا طالب بدمشق ، وكان قد ولد سنة ٤٦٤ هـ . وتوفي بعيد سنة ٥٤٤ هـ .[٥٠]

٦ - الشيخ الصالح محمد بن سيدهم المعروف بابن الهراس المتوفي سنة ٥٩٣ هـ .[٥١]

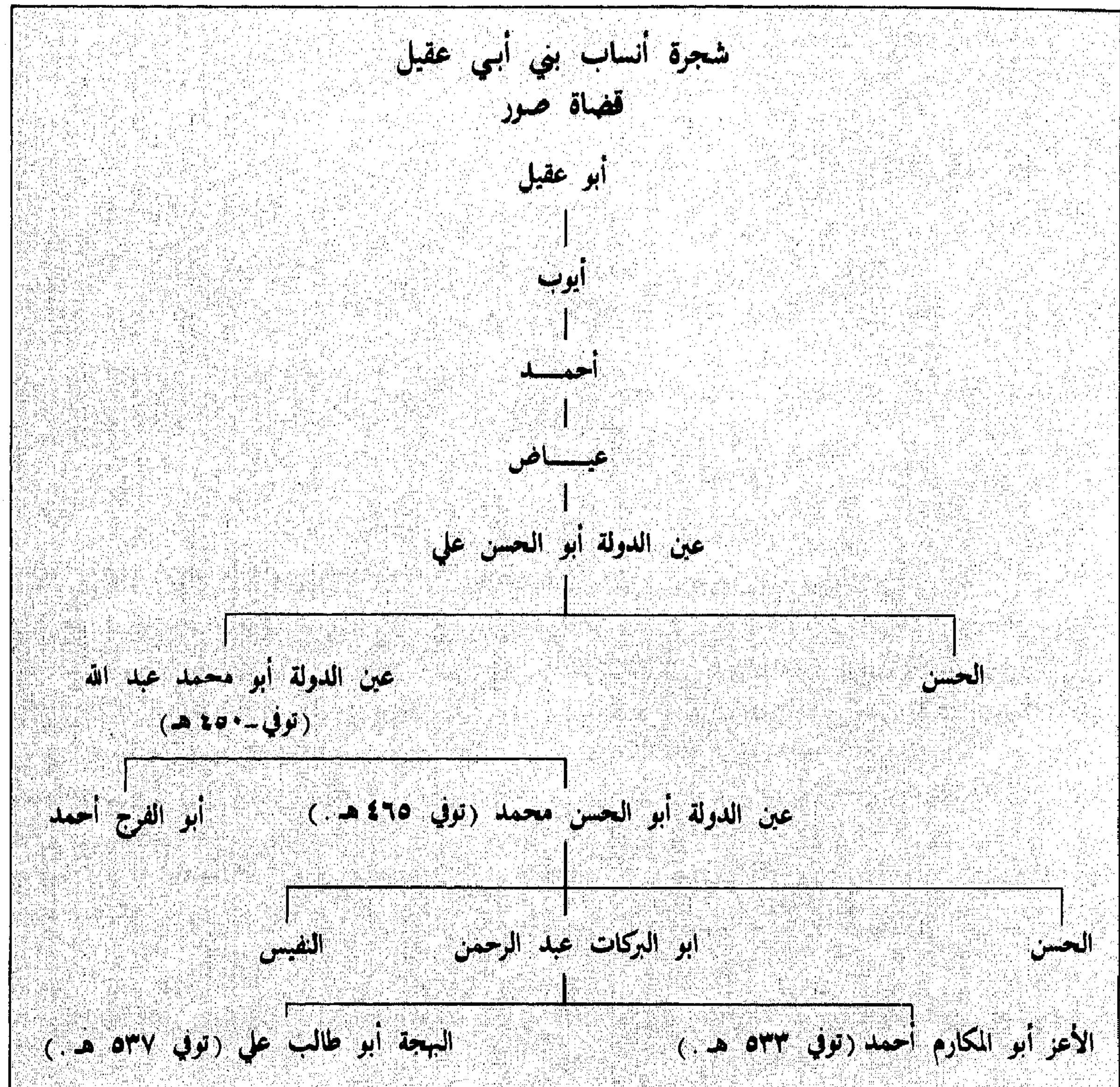
٧ – ابو نصر عبد الصمد بن ظفر الحلبي . كان يحضر مع السمعاني عند القاضي أبي طالب . وكان لا يزال حياً بدمشق سنة ٥٣٦ هـ . (٥٢)

٨ – ابن الخصيب أبو المفضل القرشي المتوفي سنة ٦٠١ هـ . (٥٣)

٩ – ابراهيم بن نصر النهاوندي . (٥٤)

وكانت وفاة القاضي أبي طالب بن أبي عقيل بدمشق سنة ٥٣٧ هـ. ومقبرته في مقبرة ابن المصيصي التي دفن فيها « خلف بن تميم الدارمي » الذي نزل جبيل والتقى بها « ابراهيم بن أدهم » . (٥٥)

■



المصادر والحواشي

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) – ابن عساكر – ج ٣٤٧/١٧

(٢) ابن عساكر ٤٠٠/٣٦ وانظر مقالة لنا عن «ابن جميع الصيداوي» في مجلة «الفكر الإسلامي» – بيروت – العدد ٥ – سنة ١٩٧٩ – ص ١٨-٢٥ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق – ابن القلانسي – ص ٥١ .

(٤) سفر نامه – ناصر خسرو – ص ٥٠ .

(٥) إتعاظ الحنفاء .. – المقريزي – ج ٢١٣/٢ .

(٦) السيرة المؤيدية – الشيرازي – ص ١٠٠

(٧) إتعاظ الحنفاء .. – ج ٢٣٥/٢ و٢٥٩ .

(٨) إبن عساكر ١١١/٢٨ .

(٩) مرآة الزمان – سبط ابن الجوزي – (المخطوط) – ج ١٢ ق/١٦، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري – د. عمر تدمري – ج ٢٣٢/١.
(١٠) موضح أوهام الجمع والتفريق – الخطيب البغدادي ١٩١/١، تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي – ج ٤٤٤/٣ معجم الآداب .. – ابن الفوطي – ج ٤ ق ١١٢٧/٢، معجم السفر – السلفي – (المصور) ق/٢٠٣ . النجوم الزاهرة.. – ابن تغري بردي ٦٣/٥.
(١١) الفقيه والمتفقه – الخطيب البغدادي ٣٩/١ وما بعدها.
(١٢) الأعلاق الخطيرة .. ابن شداد – ١٦٥/٢ .
(١٣) ابن عساكر ١١/٣٩ ، ملخص تاريخ الاسلام – الذهبي ٥٤/٧أ (المخطوط).
(١٤) ابن الفوطي – ج٤ ق ١٤٤/٢، ديوان ابن حيوس (بالحاشية) ٣٩٦/٢.
(١٥) إتعاظ الحنفاء ٤٧/٢.
(١٦) مصارع العشاق – ابن السراج ٣٤٨.
(١٧) ديوان ابن حيوس ٣٩٦/٢.
(١٨) المصدر نفسه ٤٦٥/٢.
(١٩) تاريخ طرابلس ٢٤٨/١.
(٢٠) ابن القلانسي. نقلاً عن سبط ابن الجوزي – ج١٢ ق ١٢/١٢، ابن القلانسي ٩٥ – ٩٨.
(٢٢) ابن القلانسي ٩٨. الكامل في التاريخ – ابن الأثير ٦٠/١٠، دول الاسلام – الذهبي ٢٧٠/١، إتعاظ الحنفاء ٢٠٣/٢
(٢٣) كتاب الروضتين... – أبو شامة – ج ١ ق ٣١٨/١.
(٢٤) انظر مقالة لنا بعنوان «المساجد القديمة في تاريخ لبنان» بمجلة الفكر الإسلامي – العدد ٢ – سنة ١٩٧٩ ص ٢٥ – ٣٦ ابن عساكر ٤٣٠/٣٨.
(٢٥) ابن عساكر ٣٥٨/٤٠.
(٢٦) ابن القلانسي ١٩١.
(٢٧) ابن القلانسي ١٠٨ و ١٠٩ . ابن الأثير ٦٨/١٠ و ١٠٠.
(٢٨) سبط ابن الجوزي – ج ١٢ ق ١٦٠/٢ب.
(٢٩) المصدر نفسه. دخول الترك الغز الى الشام – د. شاكر مصطفى (المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام) – ص ٣٦٩.
(٣٠) السيرة المؤيدية ١٧٦.
(٣١) ابن القلانسي ١١٢.
(٣٢) سبط ابن الجوزي. ابن القلانسي ١١٦
(٣٣) ابن القلانسي ١٢٠ تاريخ مصر – ابن ميسر ٢٨/٢، ابن الأثير ١٧٦/١٠، ابن شداد ١٦٥/٢، دول الإسلام ١١/٢، إتعاظ الحنفاء ٣٢٦/٢.
(٣٤) إتعاظ الحنفاء ٣٢٦/٢.
(٣٥) الإشارة الى من نال الوزارة – ابن منجب الصيرفي، إتعاظ الحنفاء ٢٠٩/٢ و ١٣/٣، اللباب – ابن الأثير ٨٣/٤، الدرة المضية ... ابن أيبك ٤٣٨/٦.
(٣٦) ابن القلانسي ١٢٤، ابن الأثير ٢٢٣/١٠، ابن أيبك ٤٣٨/٦.
(٣٧) ابن أيبك ٤٣٥/٦.
(٣٨) ديوان ابن الخياط ٥٢.
(٣٩) مصارع العشاق ١٣٥.
(٤٠) ديوان أسامة بن منقذ ٢٨١. الروضتين ٣١٧. خطط الشام – محمد كرد علي ٢٧٣/٥.
(٤١) المنازل والديار – أسامة بن منقذ ٢٣٦.
(٤٢) السلفي (المصور) ق ٣٣٩/٢.
(٤٣) اخبار الدول المنقطعة – ابن ظافر ١٠١، إتعاظ الحنفاء ١٦٣/٣ و١٧٢.
(٤٤) أدب الإملاء والإستملاء – السمعاني ٥٢.
(٤٥) الأنساب – السمعاني ٣٥٧أ (المصورة)
(٤٦) ابن عساكر ٣٤٢/٤٠.
(٤٧) التكملة لوفيات النقلة – المنذري ٦/٣.
(٤٨) السلفي ق ٢٠٣/١ و٢٠٤.
(٤٩) ابن عساكر ٢٣٨/٤٨.
(٥٠) بغية الطلب في تاريخ حلب – ابن العديم – (المصور) ٢٢٤/٧ و٢٢٥ و٢٢٦.
(٥١) المنذري ١٠٧/٢، المسجد المسبوك – الجزرجي ١٠١.
(٥٢) الأنساب ٤٤١أ.
(٥٣) تاريخ الاسلام – الذهبي ٧٨١/٨، سير أعلام النبلاء – الذهبي (المخطوط) ١١/١٣، المنذري ٧٧/٣، النجوم الزاهرة ١٨٨/٦، شذرات الذهب – ابن العماد الحنبلي ٦/٥، العبر في خبر من غبر – الذهبي ٢/٥.
(٥٤) ابن عساكر ٥٥٦/٣١.
(٥٥) ابن عساكر ٥٢٨/١٢.





عَصْرُ النَّهضَة في أُوروبَا

د. محمد مخزوم



يمثل عصر النهضة الأوروبية في عملية التطور الانساني امتداداً طبيعياً لما سبقه من تيارات فلسفية واقتصادية وعلمية وأدبية عرفتها أوروبا في العصور الوسطى. فمن الناحية الزمنية يبدأ عصر النهضة بتراجع مؤسسات القرون الوسطى وانحلالها منذ القرن الرابع عشر ليمتد حتى يشمل القرن السادس عشر. وقد تفاوتت النهضة بين دول أوروبا باختلاف مقوماتها الأساسية. فحيث عرفت بعض دول ومدن غرب أوروبا النهضة منذ القرن الرابع عشر، كإيطاليا مثلاً، فإن مجتمعات أخرى في شمال وشرق أوروبا ظهرت فيها النهضة متأخرة عن هذه الفترة بمدة طويلة. ولما كان التعريف السائد لقيام نهضة معينة في عصر ما يقتصر على وضع مؤلفات علمية وأدبية وفلسفية وما يحيط بهذا العمل من نشاط اجتماعي، أفقي، يقتصر على فئة معينة تشتمل على حاشية البلاط وفئة المتعلمين؛ فقد أطلق بعضهم اسم «نهضة» على ما قام به شارلمان من نشاط ثقافي لم يتعد فئة قليلة من الناس بهدف تحقيق مآربه السياسية والدينية. ان النهضة الأوروبية التي بدأت في القرن الرابع عشر، أو قبل هذا التاريخ بزمن قصير أو بعيد لم تؤت ثمارها الحقيقية إلا بعد القرن السادس عشر عندما بدأت تتحطم الحواجز الثقافية والعلمية بين طبقات المجتمع الأوروبي. وقد تجلت هذه الاستفادة عبر الثورات الدينية، والمصالح القومية، وفي الثورات التي قامت ضد استبدادية الملوك والأمراء وضد التفاوت الاجتماعي. لهذا تعتبر الثورة الفرنسية اعلاناً عن خاتمة عصر النهضة أكثر مما تعتبر اعلاناً عن بداية عصر جديد. ونجد المؤرخ الانكليزي فيشر[1] يذكر بهذا الصدد قائلاً: «قد لا يوجد بلد في أوروبا كان أكثر اطراحاً للعصور الوسطى من بريطانيا، ومع ذلك فقد بقيت نظم العصور الوسطى في المدن الانجليزية دون أي تغيير حتى عام ١٨٣٥ بما تحمله من مثالب بهيجة خلابة، لتفسح المجال للنموذج الديمقراطي المألوف الذي يتمشى والانقلاب الصناعي والتسوية بين الناس». إذن فالنهضة التي ولدت في أحضان البورجوازية وبفضلها، لم تمتد إلى جميع الطبقات

الاجتماعية فقد اقتصرت على بطانة الأمراء والملوك وعلى الأرستقراطيين والمثقفين وهم قلة. أما الانسان العادي فاستمر يقوم بالأعمال الزراعية واعباء العيش المرهق بعيداً عن مظاهر النهضة، تسيطر عليه أوهام العصور الوسطى وخرافاتها حتى ما بعد القرن السابع عشر.

استقلالية الفكر الاقتصادي

على الصعيد الاقتصادي شهدت النهضة تحولاً وتبدلاً جذرياً بين ما كان سائداً في أوروبا في العصور الوسطى من اقتصاد «عيني» إلى اقتصاد «نقدي» الأمر الذي ساعد على انهيار الاقطاعية التي كان يتعارض وجودها مع تشكل البورجوازية النامية. ونتيجة للثراء الفاحش الذي أصاب طبقة البورجوازية التجارية المرابطة في المدن، فقد أخذ الفكر الاقتصادي يشهد استقلالاً عن المفاهيم الدينية التي كانت سائدة قبلاً. فأقيمت المصارف وظهر الرأسمال الربوي وانتشر التعامل بالصكوك والعقود المكتوبة ووضعت قوانين اقتصادية تحدد علاقة المواطن بالدولة، وتتوافق مع متطلبات الطبقة الوسطى. وأضحت التحالفات والمنازعات الدولية تقوم على أساس المصلحة الاقتصادية دون مراعاة للمذهب الديني كما حدث في حروب الثلاثين عاماً الدينية عندما وقفت «فرنسا الكاثوليكية» إلى جانب التحالف البروتستانتي. أما الكشوف الجغرافية فقد ساهمت في تنشيط الحركة التجارية الاستعمارية، بعد أن شلها التوسع العثماني، بإقامة محطات ثابتة في الأماكن المكتشفة كما حدث في الشرق الأوسط أثناء الحركة الصليبية. كما ساهمت حركة الكشوف هذه في عملية التوسع التجاري ففتحت أمام الأوروبيين أسواقاً جديدة تدفقت منها الأموال على أوروبا فامتلكت بفضلها دول أوروبا كميات وافرة من الذهب والفضة مما كان له أثر كبير على نمو البورجوازية التي كان لها الفضل الأول في قيام النهضة.

ولما كان الانتاج الحرفي في العهد الاقطاعي ملازماً لأعمال الفلاحة فقد شهد عصر النهضة تطوراً عظيماً للحرفة على أثر تزايد الحاجة إلى الانتاج السلعي. فازدهر نظام المشاغل **Manufacture** بعد أن انفصلت الحرفة عن العمل الزراعي وظهرت ورشات العمل الكبيرة التي قامت البورجوازية بدفعها وتنظيمها بتقديم الرأسمال مقابل العمل الذي يقوم به العامل. وهكذا ساعد ظهور المشاغل في تسريع عملية التوسع الصناعي وازدهاره. فظهرت صناعة الكتب، وازدهرت صناعة التعدين وازداد الاعتماد على القوى المائية. فانتشر استعمال المحراث الحديدي المتطور في الأعمال الزراعية ونشطت الدول في استثمار مناجم الفحم الحجري والفضة وحجر الشب كما تطورت صناعة المنسوجات بمختلف أنواعها.

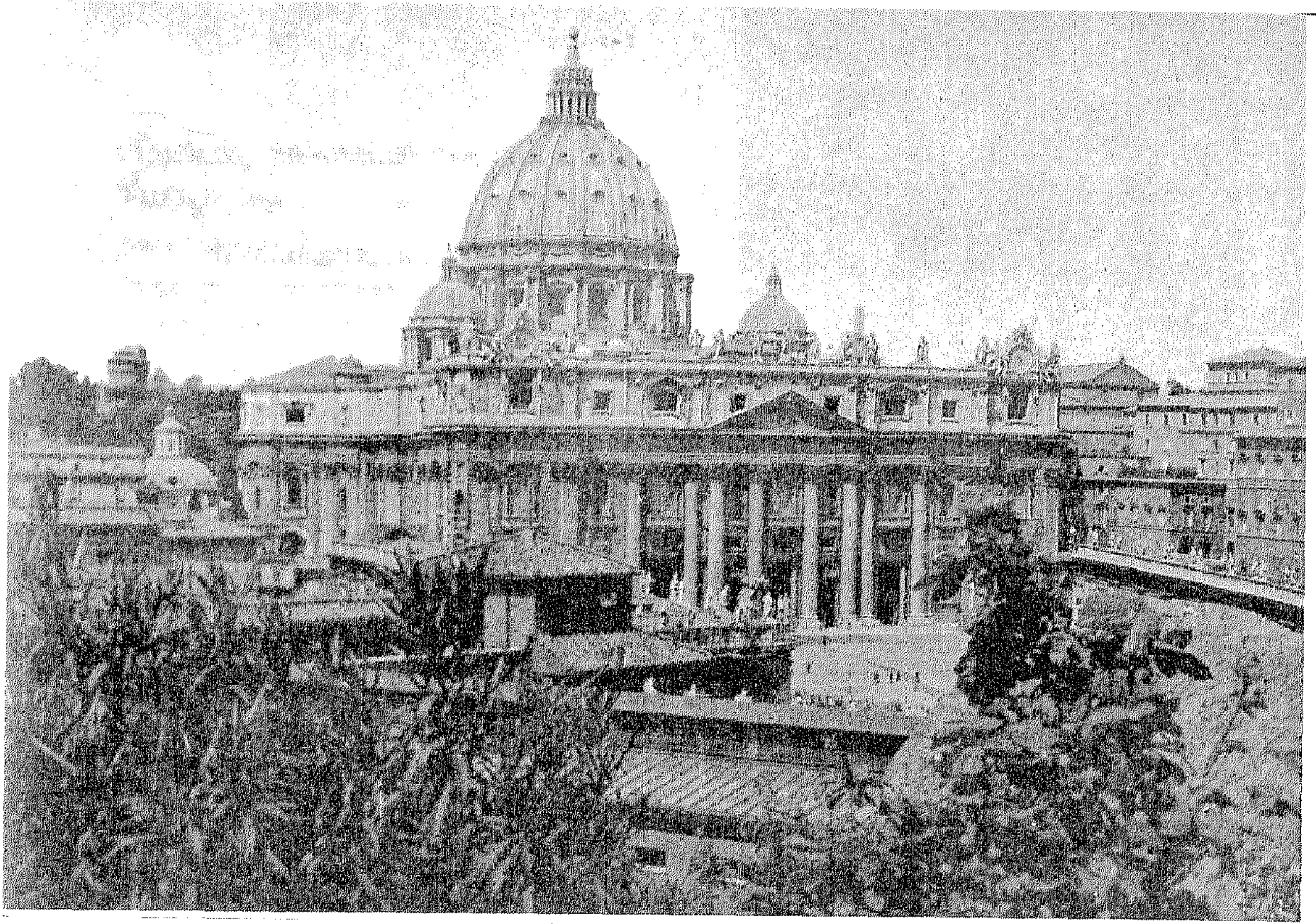
النهضة تساعد على خلق تبدلات فكرية

أما على الصعيد الفكري فقد ظهرت في عصر النهضة تبدلات فكرية تختلف عن مفاهيم العصور الوسطى. وإن هذه التبدلات قامت أساساً على أنقاض المفاهيم الاقطاعية التي كانت سائدة. فامتلك الفرد شخصية مستقلة مشكلاً الخليّة الأساسية في المجتمع بعد ان كانت الضيعة أو القومون أو النقابة هي التي تمثل أساس تكوين وبناء المجتمعات. كما تمتع انسان النهضة بالفردية والجرأة الفكرية واحتقار الضعف والوهن والأعراف والتقاليد والخرافات كما تميز بالتحلل من سيطرة رجال الدين وديكتاتورية الكنيسة الروحية، وبتوجيه النقد للباباوات أنفسهم حتى شهد القرن الرابع عشر هبوطاً للسلطة الروحية وامتاز القرن السادس عشر بقيام حركة الإصلاح الديني وقيام الكنائس القومية الموجهة ضد السلطة البابوية والقوى الاقطاعية المتحالفة معها.

وشهد عصر النهضة أيضاً قيام الحكومات المركزية ونمو الاتجاهات القومية للأمة الأمر الذي ساعد على تقوية الحكومات الملكية ورسوخ الاعتقاد الشائع بسلطة الملوك المستمدة من الحق الالهي. ولما كانت البورجوازية وما زالت في عصر النهضة في نضال مستمر مع الأرستقراطية فقد وقفت إلى جانب الملوك في فرض سيطرة الدولة على جميع طبقات المجتمع وبالأخص على النبلاء والأكليروس. فوجدت الحدود القومية للدولة ونظمت الواردات والضرائب ووُحّدت التشريعات القضائية والقوانين وزاد في توطيد سلطة الملكية واستبداديتها خاصة في فرنسا واسبانيا الحروب التي أشعلها الملوك داخل أوروبا وخارجها بسبب التنافس على المستعمرات عبر المحيطات في الهند وفي القارة الأميركية.

البورجوازيون يتصدّرون النضال الشعبي ويوجهون العملية الاقتصادية

لقد كانت البورجوازية أكثر الفئات استفادة من



كنيسة القديس بطرس في روما.

تبدل الأوضاع الاقتصادية التي حصلت في عصر النهضة. فازدادت ثرواتها الاقتصادية مع الزمن حتى تمّ لها منذ القرن السادس عشر السيطرة التامة على الطبقة الثالثة التي تنتمي إليها عرفاً وقانوناً. فاستغلت تمثيل هذه الطبقة لمصلحتها إلى أبعد الحدود ضد امتيازات النبلاء في مساندة الثورات الدينية وضد استبدادية الملوك بعد القرن السابع عشر في إعلان ثوراتها السياسية التي تتوافق ومصالحها. وهكذا تمّ للبورجوازية خلال عصر النهضة القضاء على امتيازات النبلاء والأكليروس بتقوية ومساندة السلطة الملكية من جهة وتشييد الكنيسة القومية من جهة ثانية. كما تم لها أيضاً تحطيم الاستبداد الملكي المرتكز على نظرية الحق الالهي للملوك في الحكم بواسطة الفئات الشعبية حتى أصبحت أواخر القرن التاسع عشر سيدة الموقف في جميع دول أوروبا دون استثناء.

أما الغنى والثراء الفاحش الذي تمتعت به البورجوازية خلال عصر النهضة فقد أدى إلى الاسهام في عملية الانفاق المادي التي تمثلت في الاقبال على مباهج الحياة. فصرفت الأموال الطائلة على تشجيع الفنون واقامة المدارس والأكاديميات واقتناء المخطوطات والمكتبات وتشييد القصور والكنائس الضخمة واقامة الجنائن والتماثيل واغواء الشعراء والأدباء والعلماء والفنانين للإقامة في بلاطات الأمراء ليضفي هؤلاء على حكمهم الصفة الشرعية بعد ان ساهمت النهضة في إحلال الالجاركيات التجارية والدكتاتوريات العسكرية - خاصة في إيطالية - محل حكومات المدن الجمهورية المستقلة[٢]. ففي فلورنسا مثلاً ازدهرت حركة النهضة حول أسرة مدتشي التي كانت تسيطر على الاقتصاد وتوجهه. وفي البندقية تمركزت حول الطبقة التجارية وفي ميلانو عند أدواق آل سفورزا وفيسكونتي وفي فيرونا نمت النهضة برعاية أسرة سكاليجر وفي بدوا قامت بتشجيع آل كراريسي وفي روما قامت النهضة أيضاً في بلاطات بابوات عصر النهضة الذين اشتهر منهم نقولا الخامس (١٤٤٧-١٤٥٥) وليو العاشر (١٥١٣-١٥٢١). أما في فرنسا وانكلترا فقد نمت النهضة في المدارس والكاتدرائيات والجامعات. وهكذا قامت النهضة الأوروبية بمساعدة سكان الحواضر من الطبقة البورجوازية وازدهرت بتشجيع الملوك والأمراء

والأذواق حتى عمت فيما بعد جميع طبقات المجتمع الأوروبي.

الاتجاهات السياسية الجديدة

على الرغم من نمو الشعور القومي الذي ساد أوروبا في عصر النهضة. فقد واجهت إيطاليا تفككاً سياسياً نتيجة لظهور قوة الامارات التي أسسها الأمراء ورجال الدين ثم للتنافس الاستعماري الذي نشأ بين اسبانيا وفرنسا وأدى إلى قيام الحروب الايطالية. كما أدت النهضة أيضاً إلى ظهور عدة نظريات سياسية واتجاهات في الحكم كان لها أثر بعيد في الحياة السياسية التي عرفتها أوروبا في العصور الحديثة. وقد ظهرت هذه النظريات في كتاب «الأمير» لمكيافللي الذي أباح للحاكم جميع الوسائل لتحقيق أهدافه في فرض سيطرته وفي كتاب «رجل البلاط» لكاستليوني الذي رسم فيه انموذجاً لرجل البلاط وما عليه أن يتمتع به من الثقافة والأدب والالمام بجميع الفنون. ثم في كتاب «عالم الكمال» للسياسي الانجليزي توماس مور الذي يبين فيه أهداف الحكومة المثالية وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهي حكومة تخيلها المؤلف لتقوم في جمهورية حرة ديموقراطية.

وهكذا طبعت النهضة المجتمع الأوروبي الذي قامت فيه بطابع خاص ومميز. قادت إلى خلق مجتمع جديد انصرف أفراده إلى الانغماس في حياة المجون والتمتع بملذات الحياة وتقديس الجمال واباحة المحرمات. فتحطمت قيود الأخلاق والتقاليد والاعراف. وأقبل انسان النهضة على التلذذ بالأطعمة الشهية المختلفة واقتناء الألبسة الفاخرة، ولازمه حب جارف نحو سماع الموسيقى وقراءة الشعر والأدب الرفيع والاطلاع على مجادلات الفلاسفة وأعمال النحاتين والمصورين والمهندسين. هذه الرغبة الزاخرة بحب الحياة ميزت انسان النهضة عن انسان العصول الوسطى المتزمت الزاهد المتمسك بالفضيلة والمكبل بأغلال الكنيسة والعادات والتقاليد المختلفة. وأخيراً فالنهضة الأوروبية حسب تعبير ديورانت[3]: «قامت من الناحية المادية على الاستغلال الاقتصادي للكثرة الساذجة على أيدي القلة البارعة. ذلك ان ثروة روما البابوية قد جاءت من النقود الصغيرة التي تبعث بها آلاف الآلاف من بيوت الصالحين الأتقياء في أوروبا.



قيصر بورجيا

وان بهاء فلورنس كان مصدره عرق الدهماء المغمورين الذين كانوا يكدحون الساعات الطوال، وليس لهم حقوق سياسية، ولم يكونوا يمتازون عن رقيق الأرض في العصور الوسطى إلا باشتراكهم في زهو وخيلاء في مجد الفن المدني ولألائه، وفي حياة المدنية الثائرة وما فيها من دوافع ومغريات».

النهضة الايطالية

شهدت المدن الايطالية أواخر العصور الوسطى بزوغ نهضة شاملة في جميع الميادين الأدبية والفنية والعلمية والاجتماعية لم يشهدها العالم منذ قيام الحضارة الكلاسيكية في أثينا. ومن هذه المدن انتقلت النهضة إلى أوروبا الغربية (فرنسا - انكلترا - اسبانيا - المانيا) أما دول أوروبا الشرقية فقد بقيت حتى وقت متأخر تعاني من الضغط العثماني على حدودها مما أدى إلى تأخر قيام النهضة بين ربوعها.

ومما ساعد على قيام هذه النهضة في إيطاليا قبل غيرها من دول أوروبا ان شبه الجزيرة هذه كانت

ما تزال تزخر بتراث الرومان العمراني المتمثل في المباني العظيمة والتماثيل والنقوش والقنوات والسدود المائية كما كانت تزخر بالمخطوطات المتعددة التي حفظت تراثهم القانوني والأدبي والعلمي والسياسي على الرغم من كون إيطاليا قد تعرضت خلال العصور الوسطى لهجمات القبائل البربرية المتعددة وتدميرهم الشديد. كما ان الرخاء الاقتصادي الذي تمتعت به بعض المدن الايطالية نتيجة لازدهار تجارتها واحتكارها للتجارة بين الشرق والغرب منذ القرن الحادي عشر الميلادي قد أدى بدوره إلى استقرار ملموس في هذه المدن التي خضعت لحكومات مستبدة ومستنيرة مما أدى إلى احتدام التنافس بينها على تشجيع الآداب والفنون وانشاء المكتبات الزاخرة بالكتب والمجلدات والمخطوطات واستهواء العلماء والأدباء والفنانين وتشجيعهم على التأليف والخلق والابداع. كما ان الأسر الحاكمة في هذه المدن أقامت الأكاديميات التي ساهمت بدورها في نشر الدراسات القديمة في الفلسفة والآداب والفنون. فقامت في فلورنسا الأكاديمية الأفلاطونية، وفي روما أكاديمية اهتمت بالدراسات التاريخية والآثار وفي نابولي أكاديمية لدراسات الآداب وفي البندقية أكاديمية للدراسات الاغريقية.

وعلى الرغم مما اتسمت به البابوية خلال العصور الوسطى من التزمّت والجمود وتقييد حرية الفكر، فانها ما لبثت ان أخذت تهتم منذ أواخر العصور الوسطى بتشجيع العلماء ورعاية الفنون والآداب. وغدا البلاط البابوي في هذا الوقت مشابهاً لبلاطات الأمراء العلمانيين يعج بالدسائس وحياة المجون. فتهافت إليه العلماء والأدباء يبغون الشهرة والاستقرار والكسب المادي. ولم يكن موقف البابوية هذا نابعاً من الظروف السياسية التي أحاطت بإيطالية في تلك الحقبة فقط، بل لتخوفها من اتجاه النزعة الانسانية نحو وثنية جديدة تتعارض ومفاهيم المسيحية. فحاولت احتضانها والتوفيق بينها وبين المسيحية حتى لا تخسر الفئات المثقفة التي عظم شأنها في هذه الفترة. وهكذا برز بعض البابوات أطلق عليهم «بابوات النهضة» عملوا على نشر العلم والمعرفة وانشاء المكتبات واقتناء المخطوطات واقامة الاكاديميات للتوفيق بين الكنيسة والنهضة. فكان منهم نقولا الخامس (١٤٤٧ – ١٤٥٥) الذي كان يتمتع بثقافة عالية ومن مؤيدي النزعة الانسانية. فأرسل البعثات العلمية إلى أثينا والقسطنطينية لجمع المخطوطات التي بلغت ٨٢٤ مخطوطاً لاتينياً و ٣٥٢ مخطوطاً يونانياً. ومما ينسب إلى هذا البابا ولعه الشديد باقتناء الكتب حيث احتوت الفاتيكان في عهده على أكثر من اثني عشر ألف مجلد. وكذلك سار البابا بيوس الثاني (١٤٥٨ – ١٤٦٤) على خطى نقولا الخامس. فكان مولعاً بحبه للأدب وكتابة القصص والشعر والمقالات. أما ليو العاشر (١٥١٣ – ١٥٢١) فقد مثل بحق عصر النهضة وكان بلاطه نموذجاً لبلاطات الأمراء بما ضم من العلماء والأدباء والموظفين. كما انه أسس جامعة روما وضم إليها معهداً لتعليم اللغات السامية وانشأ مجمعاً لدراسة العلوم اليونانية. كما أقر في بولونيا تدريس اللغتين السريانية والكلدانية. ولكن نفقات البلاط الباهظة وأعطيات الأقارب والأصدقاء وما تطلبته الحروب التي خاضها لضم بعض الولايات من أموال قد أفقرت الخزانة البابوية وجعلته يلجأ إلى تشجيع بيع صكوك الغفران مما فجّر الصراع داخل الكنيسة وأدى إلى ظهور الحركة البروتستانتية.

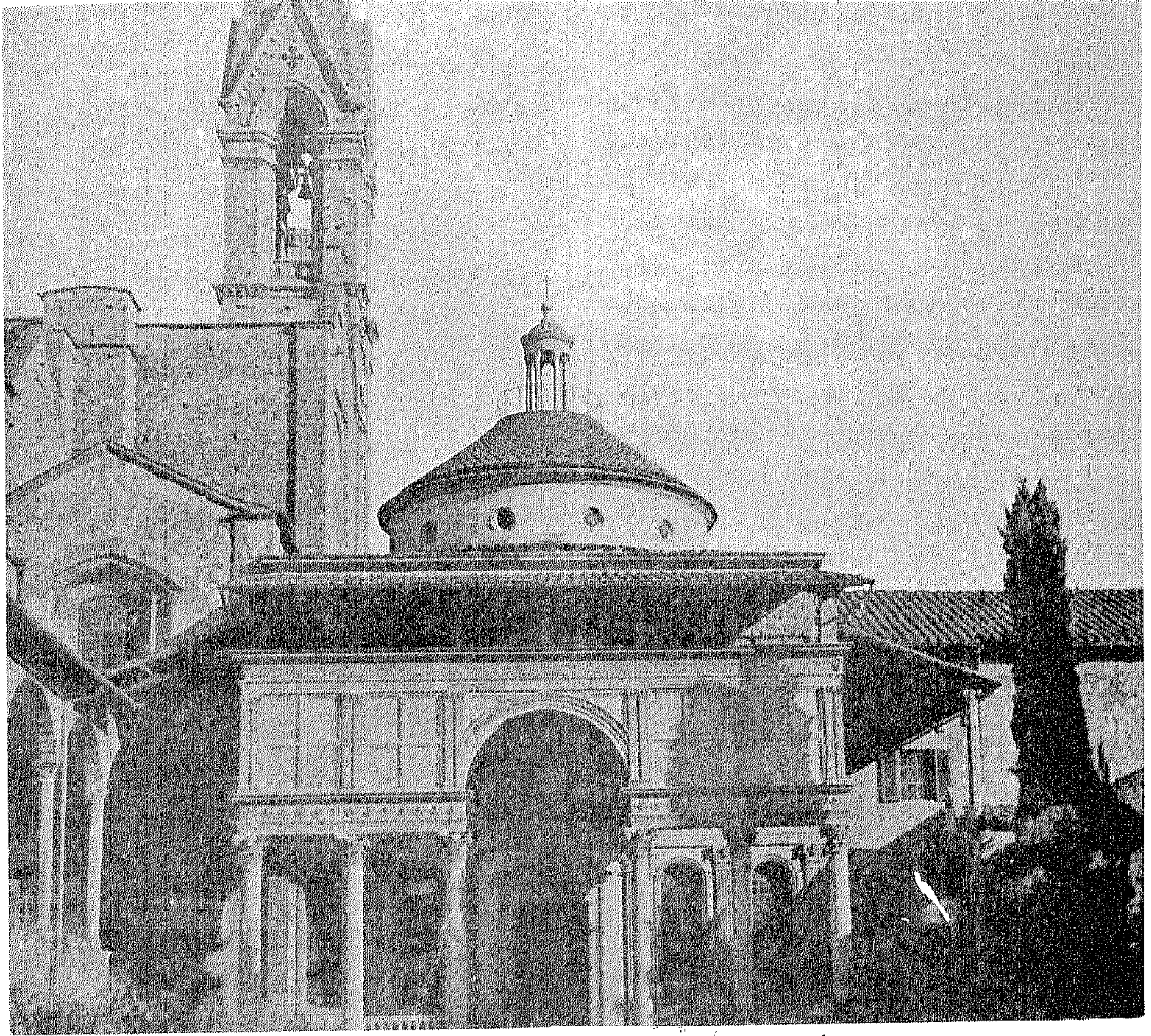
وأخيراً فان ايطاليا قد تمتعت في العصور الوسطى بموقع جغرافي مهم على حوض البحر المتوسط، مهد الحضارات القديمة. ففي وقت كان فيه المتوسط يعتبر مركزاً مهماً للنشاط التجاري كونت المدن الايطالية حلقة الاتصال بين أسواق شرقي الحوض وغربه من جهة وبين موانئ الشرق الأوسط نفسها، أغنى الأسواق بالمنتوجات والسلع، من جهة ثانية. فهيأ لها هذا الدور رخاء اقتصادياً واطلاعاً واسعاً على حضارات الشرق وعلى الأخص الاسلامية والبيزنطية.

وأبرز الاتجاهات التي اشتملت عليها النهضة الايطالية كانت النهضة الأدبية والنهضة الفنية.

(أ) النهضة الأدبية

كان من أولى مظاهر النهضة الأدبية في ايطاليا بعث الدراسات الاغريقية واللاتينية أو ما يسمى بحركة احياء الدراسات الكلاسيكية أو الحركة الانسانية. (L'Humanisme).

قامت هذه الحركة بتشجيع الأسر الحاكمة في المدن الايطالية على دراسة المخطوطات التي كانت تحويها الأديرة والكنائس والكاتدرائيات ومكتبات الأمراء[٤]. وقد تمت دراسة المخطوطات الاغريقية



كنيسة سانتا ماريا في فلورنسا (من أعمال برونلسكو)

عن طريق الاتصال الثقافي الذي نشأ بين إيطاليا والقسطنطينية منذ أوائل القرن الخامس عشر. مما مهد إلى هجرة علمائها إلى إيطاليا بعد احتلال الأتراك العثمانيين لها. وقد نبغ من الأنسانيين الذين اهتموا بـإدخـال الاغريقيـة إلى إيطـاليـا: بـوكـاشيو (١٣١٣ - ١٣٧٥) الـذي ذهب إلى القسطنطينية للتعمق في دراسة الاغريقية. وقد أحرز بوكاشيو شهرة واسعة في المائة قصة التي كتبها والتي تعرف باسم «الأيام العشرة» وهي مستوحاة من المصادر اليونانية والرومانية القـديمـة وقصص الشرق والخرافـات الفرنسيـة والأقاصيص الشعبية المنتشرة في إيطاليا نفسها. وتقوم أفكارها الرئيسية على احتقار خرافات العصور الوسطى والتهجم على مفاسد رجال الدين وتهتك بعضهم.

أما اللاتينية التي يعتبرها الايطاليون لغة الحضارة الرومانية والآداب الرفيعة. فقد اهتم بدراستها العالم الشهير بترارك (١٣٠٤ - ١٣٧٤) وأجاد كتابتها على النمط القديم. وقد عمل على نشر الدراسات الانسانية حتى جمع ما يقرب من مائتي مخطوطة. وبترارك في كتاباته يمثل طليعة عصر يختلف في مفاهيمه عن العصر الوسيط إذ لقبه النقاد «بأبي النهضة» وأول النقاد المحدثين، وأجمعوا على انه أول الكتّاب الانسانيين. وبترارك في تفكيره السياسي الذي ظهر في ملحمته التي سماها أفريقيا يظهر أسفه الشديد للانقسامات السياسية بين الامارات الايطالية المختلفة داعياً إلى قيام وحدة سياسية تجمع شبه الجزيرة الايطالية بأجمعها.

والانسانيون اهتموا بدراسة الانسان وما يتمتع به



البابا ليو العاشر (من أعمال رافاييل)

من قوة ومشاعر وجمال جسماني. وتأثروا كثيراً وهم ينقلون أو يترجمون ما كتبه اليونان، بما تمتع به هؤلاء من حرية في مناقشة الأمور الدينية والسياسية، فأخذوا يدعون لها. فحرروا العلم من سيطرة الدين بدعوتهم لبطولة العصور الوسطى وشجاعتها وفروسيتها وملاحمها الغنائية. ومع ذلك فالحركة الانسانية اتسمت بطابع خاص مميز بدعوتها إلى إباحة الملذات والتمتع بالحياة الدنيوية والتحلل من القيود الخلقية واحتقار الضعف والوهن وتحري العرف والتقليد. لهذا انطلقت الحركة الانسانية من خارج الجامعات التي استحوذ عليها حتى هذا العصر تزمت العصور الوسطى.

وهكذا فالنهضة التي ظهرت آخر العصور الوسطى قد اتسمت بالرجعة إلى العالم القديم وأكدت على وحدة الثقافة البشرية ويذكر نور الدين حاطوم[٥] بأن الانسانيين: «كانوا رسل العالم القديم، ويزعمون احياءه، ويحاولون أن يبعثوه كعلماء ومؤرخين، ويفهمونه بذاته، ويتذوقوا جمال الاغريقي. وينفذوا منه إلى أسباب وجوده. لقد كان القديم وسيلة بالنسبة إلى هؤلاء الانسانيين، لأنهم يريدون حياة أخرى غير حياة العصر الوسيط. يشعرون بها، وتغلي في عروقهم».

ومما يؤخذ على الانسانيين شغفهم باللاتينية إلى حد انهم كتبوا معظم أدبهم وفلسفتهم وشعرهم وقصصهم بها مما جعل العامة تفقد اتصالها بهذه



(من أعمال رافاييل).

الحركة لتقتصر فقط على طبقة الأرستقراطية والمثقفين البورجوازيين[٦]. ومع ذلك فقد ظهرت مؤلفات كتبت باللغات المحلية وان كانت أقل قيمة عما كتب باللاتينية. فمع ازدياد ونمو الشعور القومي أخدت اللهجات المحلية المختلفة تحل شيئاً فشيئاً محل اللغة اللاتينية. فدانتي منذ القرن الثالث عشر كان قد كتب الكوميديا الالهية باللغة الايطالية ومن بعده سيبروني. وفي فرنسا ظهر دوبلليـــه (Du Bellay) (١٥٢٢ - ١٥٦٠) ومونتين (Mantaigne) (١٥٣٣ - ١٥٩٢) الذي كتب رسائله «المحاولات» في الفلسفة والأخلاق باللغة الفرنسية. أما في اسبانيا فقد نشر سرفنتس Cervantes (١٥٥٧ - ١٦١٦) قصته دون كيشوت باللغة الاسبانية وفي انكلترا صاغ كل من لنغلاند Langland (١٣٣٢ - ١٤٠٠) وشوسر chaucer (١٣٤٠ - ١٤٠٠) أفكاره باللغة الانكليزية. أما اللغة الالمانية فقد بلغت كمالها مع لوثير في ترجمته للانجيل إلى اللغة الالمانية. وفي بوهيميا أخذت اللغة التشيكية تعالج أصعب الموضوعات في القانون والطب والفلسفة واللاهوت حتى أصبحت لغة المصلحين والوعاظ والدعاة ضد محاربيها من الألمان. ويعبر أحدهم عن ذلك بقوله «ان محبة الرب للتشيكية لا تقل عن محبته للاتينية»[٧].

والانسانيون أظهروا أيضاً اهتماماً بالغاً بالنقد التاريخي منذ أواخر القرن الخامس عشر وكان من أبرز

اعلام هذه الحركة لورنزفالا (١٤٠٥ - ١٤٥٧) الذي انتقد صحة «هبة قسطنطين» مستنداً على قواعد تثبت ان قسطنطين لم يمنح هذه الهبة وقد وجد بحثه هذا تقديراً عند البابا نقولا الخامس الذي عينه سكرتيراً في حكومته. كما قامت في فلورنسا مدرسة تاريخية اعتمدت في بحث موضوعاتها على الواقعية والبعد عن قيود وخرافات العصور الوسطى بجرأة فائقة وكان من أهم اعلامها مكيافللي (١٤٦٩ - ١٥٤٢) الذي كتب تاريخ فلورنسا وكتاباً آخر عن الاستبداد سماه «الأمير».

(ب) النهضة الفنية

عرفت المدن الايطالية منذ القرن الخامس عشر نهضة فنية رائعة، ساعد على قيامها ما كانت تزخر به ايطاليا حتى هذا العصر من الأعمال الفنية المختلفة سواء على الطراز الكلاسيكي أم على الطراز القوطي. فعاش الفن وترعرع جنباً إلى جنب مع بعض الدراسات الكلاسيكية بتشجيع الأسر الحاكمة التي تنافست فيما بينها على الاقبال على مباهج الحياة وتزيين قصورها وبلاطاتها وعواصمها بأعمال فنية ما زالت حتى اليوم تمثل أروع ما ابتدعه الانسان في هذا المجال.

وتركزت الفنون الايطالية على الانسان الذي اتخذته موضوعها الأساسي واعتبرته أعظم المخلوقات. فاهتمت بابراز قوته وأشكاله الجسمانية أكثر مما اهتمت بمعانيه الروحية وذلك لارتباطها بالفنون اليونانية والرومانية التي اعتبرت أهم مصدر لها[٨]. ولهذا ابتعدت حركة الفن عن الروح الدينية وموضوعات العصور الوسطى وجاءت علمانية متحررة وممتزجة بتراث حياتهم اليومية[٩]. وقد تمتع فنان النهضة
أصبحت معروفة في عصره[١٠]. فكان انجلو مهندساً معمارياً ونحاتاً ورساماً في نفس الوقت كما كان رفاييل رساماً ومهندساً معمارياً أيضاً ودافنشي مهندساً معمارياً ورساماً ونحاتاً وموسيقياً وملماً بعلم التشريح.

وامتاز فن التصوير عند الايطاليين بالابداع والتحرر من قيود العرف والدين. وقد زاد من روعته استخدام المصورين للاصباغ الزيتية ومعرفتهم لجميع الوسائل العلمية لا سيما الأبعاد الخطية واللونية أي علم المنظور. وكانت موضوعاته جسد الانسان وجمال الطبيعة والتعبير عن المشاعر والغرائز الكامنة في الحب والألم واللذة على أوسع نطاق.

ووصل فن التصوير إلى قمته على يد رافاييل Raphael (١٤٨٣ - ١٥٢٠) الذي مثلت أعماله الفنية ذروة الفن الايطالي في عصر النهضة. ومن أهم أعماله جدرانيات الفاتيكان ذات المواضيع المتعددة التي تدل على تاريخ اللاهوت والفلسفة وما ترمز إليه من القوة والعدالة والحكمة الانسانية والالهية وما تتصف به من السهولة والاتزان والمثالية. أما في صورته للبابا جول الثاني فقد امتازت بالعمق وغنى الألوان.

أما أعمال ليونار دافنشي Leonard de Vinci (١٤٥٢ - ١٥١٩) الفنية، فقد تجسدت في لوحته «العذراء بين الصخور» التي أظهر فيها أهمية النور والظل وفي «العشاء الأخير» التي أظهر فيها الهدوء والاتزان والصفاء الرائع وأحاسيس النفس البشرية التي تظهر في أوضاعهم المختلفة. ثم الجوكندا أو الموناليزا التي تجسدت فيها مشاعر النفس الانسانية عميقة تفيض بالحياة.

أما فن النحت فقد اتصف بمحاكاة الأقدمين أكثر من أي فن آخر، وذلك لأن تماثيل ومنحوتات اليونان والرومان ما زالت متبقية كنماذج حية أمام فناني النهضة الايطاليين. ومن أشهر الذين أبدعوا في فن النحت جيبرتي Ghiberti (١٣٧٨ - ١٤٥٥) الذي جاءت منحوتاته أشبه باللوحات الزيتية. ثم دوناتللو Donatello (١٣٨٦ - ١٤٦٦) الذي يتميز فنه بالواقعية والقوة التعبيرية حيث أظهر معرفة دقيقة لجسم الانسان وعلم التشريح ومن أبرز منحوتاته «القديس جورج» و«النبي داوود». أما ميشال أنج فيعد بحق من ابرز نحاتي إيطاليا إذ استطاع أن يجعل من تماثيله كائنات تكاد تكون حية باهتمامه اظهار مفاتن جسم الانسان. ومن أهم أعماله تمثال «داوود» ثم «العذراء والطفل» و«قبر البابا جول الثاني» وضريحي «جوليان رلوران دي مدتشي» في كنيسة سان لوران في فلورنسا.

أما فن العمارة فقد شهد في ايطاليا تقدماً عظيماً في عصر النهضة لكونه نجا من الدمار والاندثار خلال العصور الوسطى. ومع ان فن العمارة في عصر النهضة تفوق على فن العمارة القوطي في تفاصيله إلا انه

لم يكن يجاريه في العظمة. لهذا جاءت عمارة النهضة أفقية تمتد في السعة أكثر مما تعلو في السماء باستثناء بعض الأبنية الضخمة في حين جاء الطراز القوطي عمودياً يبعث في النفس النشوة ويعقد الآمال على السماء ومسكن الأرباب[11]. فامتازت الكنائس والكاتدرائيات التي شيدت على الطراز القوطي بالأقبية العالية والدعائم المعلقة نتيجة للحماسة الدينية التي أظهرتها الشعوب الجرمانية. ومع ان ايطاليا قد أخذت بالطراز القوطي منذ أواخر القرن الثالث عشر فانها لم تتخل تماماً عن الطابع الكلاسيكي في هذا الميدان. وأبرز فنون العمارة في ايطاليا ظهرت في كاتدرائية فلورنسا التي أنشأها برونلسكو (Brunellesco) ثم كنيسة القديس بطرس في روما التي وضع تصميمها برامانت Bramante ثم في القصور والمباني العظيمة التي شيدت في أنحاء مدن ايطاليا.

هوامش البحث

١ - فيشر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث. ص ٨. ترجمة عصمت راشد. دار المعرفة بمصر ١٩٦٥

٢ - ديورانت: قصة الحضارة. الجزء الرابع من المجلد الخامس ص ٣٥٧ ترجمة محمد بدران جامعة الدول العربية الطبعة الثانية.

٣ - نفس المكان.

٤ - درسدن «الحركة الانسانية والنهضة ص ١٣ ترجمة عمر شخاشيرو. دمشق ١٩٧٢.

٥ - نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوروبية ص ٧٩ دار الفكر ١٩٦٨.

٦ - Garine: Moyen age Renaissance P. 98 Gallimar 1969

٧ - Perroy. E': Histoire generale des civilisationsT III P. 412. 1ere edition.

٨ - Delumeau: La civilisation de laRenaissanceP. 123 Arthaud 1973.

٩ - Argan. G: Histoire generale de la peinture, Renaissance P. 11. 1968. Flammarion Paris.

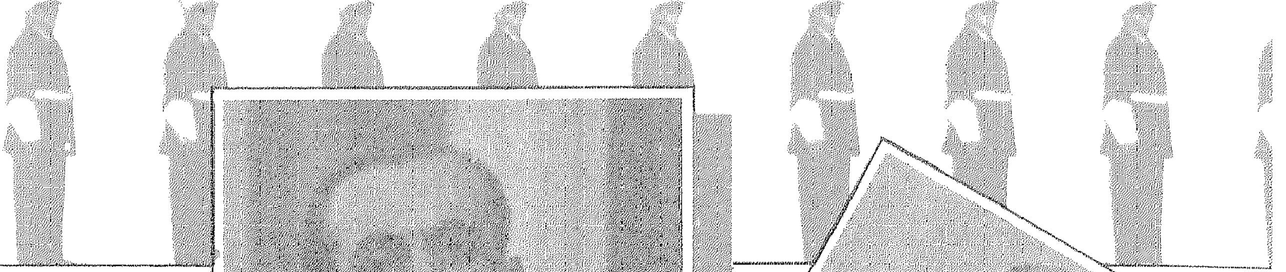
١٠ - Delumeau: Ops. cit. P. 176.

(١١) ديورانت: المرجع المذكور - الجزء الرابع من المجلد الخامس ص ٣٦٢.

اسم «القاهرة»

● أما سبب تسمية المدينة «بالقاهرة» فإن القائد «جوهر» من جيش الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لما أراد بناءها احتفر الأساس وأمر البنائين أن يكونوا متأهبين لوضع الحجارة عند أول إشارة يبديها لهم وجعل حول الأساس حبلاً علق فيه اجراساً حتى إذا أراد أن يبدأ بالبناء يهز الحبل فتدق الأجراس فيشرعون في البناء. وجلس ليلته يرصد الكواكب ليرى طالعاً سعيداً يبنى المدينة فيه، وفيما هو كذلك والبناؤون حول السور في إنتظار دق الأجراس إذ وقف على الحبل غراب ثم طار فاهتز الحبل فدقت الأجراس فرمى البناؤون الأحجار فشق ذلك على جوهر إلا أنه نظر إلى القبة الزرقاء فإذا بالنجم الذي كان متسلطاً يدعى القاهر باصطلاحهم فقال اتموا البناء على خيرة الله ودعاها القاهرة وتم بناؤها سنة ٣٦٢هـ.

جان سرور





اميل اده



بشارة الخوري

الانتخابات اللبنانية أيام الانتداب الفرنسي

الكتلتان البرلمانيتان:



عرف لبنان في عهد الانتداب الفرنسي حزبين محليين هما حزب إميل إده، والذي أصبح في ما بعد يدعي بالكتلة الوطنية، وحزب بشارة الخوري والذي أصبح يدعى فيما بعد بالحزب الدستوري. وهذان «الحزبان» لم يكوّنا حزبين بالمعنى الصحيح للكلمة، إذ كانا بالفعل كتلتين تضم كل منهما جماعة من وجهاء المناطق تلتف حول كلتي الشخصيتين المذكورتين. كما ان سياستهما العامة لم تكن لتتجاوز الشؤون الداخلية وما يسمح به الانتداب من ممارسات، ولا تتعدى الأمور الادارية المحلية.

وعندما نقول ان لبنان عرف هذين الحزبين في ذلك الوقت، لا نعني انه لم يكن في البلد أحزاب أخرى، فقد كان هناك أحزاب وتكتلات بين أوساط الشباب المتطلع إلى الحرية والاستقلال تعمل من أجلهما بتكتم ودراية لأن رجال الانتداب لم يكونوا ليسمحوا لأية فئة أن تقوم بأي نشاط من شأنه أن يعكّر عليهم صفو تحكمهم بسياسة لبنان، داخليةً كانت أم خارجيةً.

وأعود الآن إلى التحدث عن الحزبين اللذين كانا في الواجهة ذلك الحين لأقول ان التنافس بينهما كان على أشده لا سيما في ظروف الانتخابات التي كان المسيطر فيها بصورة دائمة المستشار الفرنسي وأكثر ما كان يخشاه أي من الحزبين أو المستشار أن يسلك إلى المجلس النيابي أشخاص من ذوي الآراء الحرة الذين يتسببون في اهتزاز الوضع القائم.

ومن أجل تحاشي مزاحمة الدخلاء كان الحزبان في غالب الأحيان يتحالفان على خوض معركة انتخابات موحدة تؤمن لهما فوز من يرغبون به من الانصار وكان هذا التحالف يجري بمباركة المفوضية العليا بطبيعة الحال. وفي انتخابات ١٩٣٧، تألفت اللوائح من المرشحين المرغوب فيهم وسدوا الطريق على كل مرشح آخر وجرى الانتخاب فتكشف عن أمور أثارت الرأي العام فكانت الأسماء تقرأ عند الفرز مغلوطة ويحل بكر محل عمر ويوسف محل نجيب الخ...

أصوات معارضة: ملصقات ومناشير

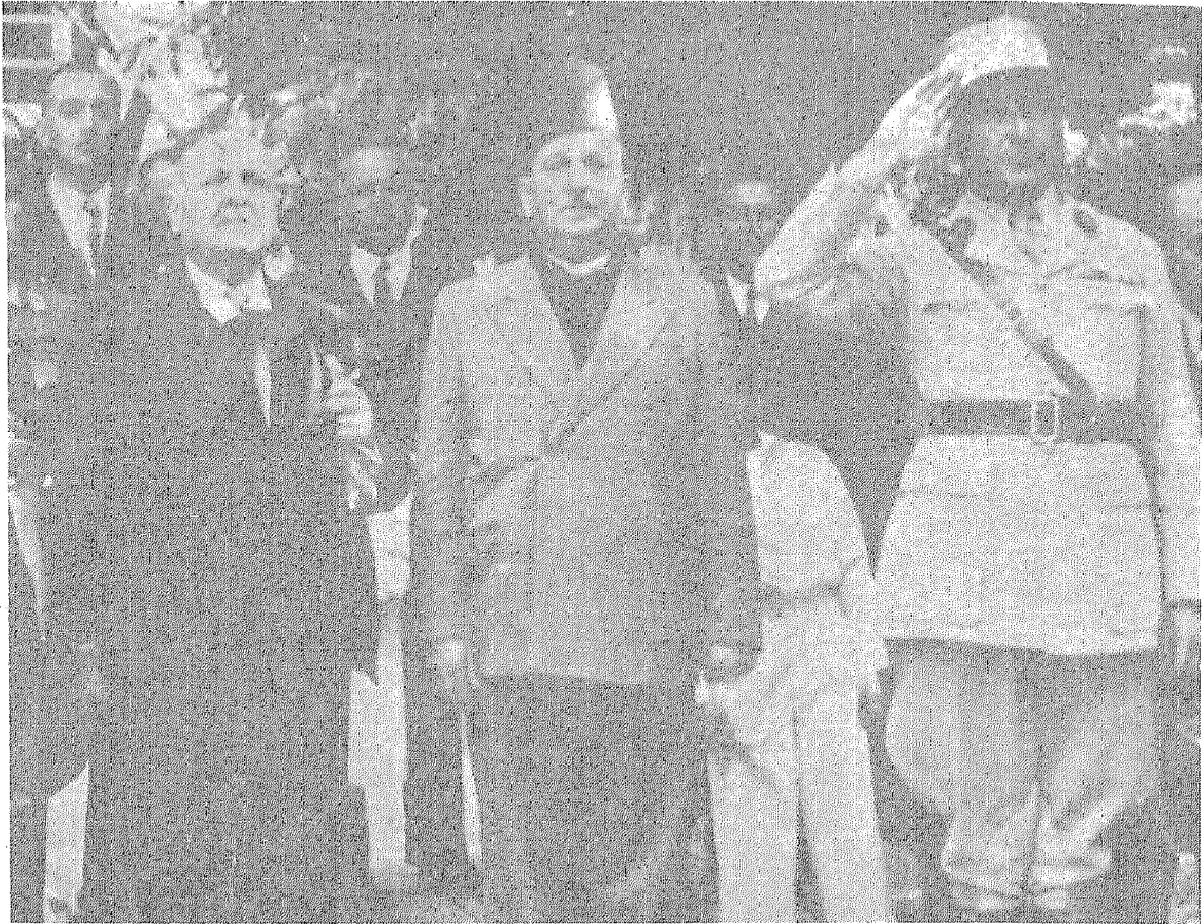
هذه الانتخابات الفذة دفعت بفئة من ذوي النفوس الأبية أمثال السيدة افلين بسترس رئيسة جامعة نساء لبنان ونائبة رئيسة الاتحاد النسائي العربي العام إلى تأليف لجنة للطعن بالانتخابات، ومعارضتها بكل ما تملك من وسائل. والسيدة افلين بسترس أديبة كبيرة لها مؤلفات باللغة الفرنسية أحدها قصة مستوحاة من التاريخ العربي عنوانها «يد الله» والسيدة افلين كانت من سيدات المجتمع الراقي وكان قصرها (قصر بسترس الذي تحتله اليوم وزارة الخارجية) يؤمه الزوار من كبار أهل الأدب والسياسة، وتعقد فيه المجالس والندوات المتعددة الألوان من سياسية وأدبية واقتصادية وثقافية وفنية. وقد ترأست جامعة أدباء لبنان التي كانت تضم معظم أهل الأدب اللبنانيين. وكان من أعمال اللجنة التي ألفتها السيدة بسترس، طبع نشرات كبيرة تلصق على الجدران في شوارع بيروت تندد بالأساليب التي اتبعت. وقد تولت هي بنفسها كتابة المنشورات باللغة الفرنسية إلى جانب المكتوبة بالعربية. وقمت برفقة الصديق عماد الصلح بطبعها في دمشق بسرية تامة وكانت هذه النشرات بحجم جريدة وبأحرف اعلان كبيرة، وأخذنا لهذه النشرات صوراً أرسلناها من دمشق إلى جرائد فرنسا وأحزابها بغية اطلاع الرأي العام الحر على ما يجري في لبنان على أيدي عمال الانتداب.



تقي الدين الصلح.

وعند رجوعنا إلى بيروت قام بإلصاق الاعلانات على جدران المدينة مجموعات أو لجان سرية تبلغ نحو العشرين فرقة توزعت احياء العاصمة لالصاق تلك المنشورات سراً تحت جنح الظلام. وقد اشتركت السيدة بسترس شخصياً بهذه العملية مع شخصيات كبيرة أذكر منها الرئيس تقي الدين الصلح وحسين سجعان وكامل مروة صاحب جريدة الحياة والوزير جورج كفوري وعقيلته والقاضي نجيب الكفوري والشيخ منير تقي الدين والشيخ فؤاد حبيش والنقيب زهير عسيران وعماد الصلح وغيرهم كثيرين...
وقد حافظوا جميعاً على منتهى السرية لنجاح العمل.

ولعل أطرف ما في الأمر ان السرية كانت منفذة إلى حد ان السيدة بسترس كانت تكتم الأمر حتى عن زوجها الوجيه والثري الكبير جبران بسترس وابنها المرحوم فادي بسترس وباقي أفراد عائلتها وليس مثل هذا الكتمان سهلاً في مثل قصرها المليء بالحاشية والعمال رجالاً ونساء. وكان نصيبي أن أرافق الفريق المؤلف من: السيدة افلين بسترس والسيدة نجلا كفوري رئيسة جمعية النهضة النسائية والأستاذ جورج الكفوري والفتى نجيب الكفوري في سيارة واحدة.



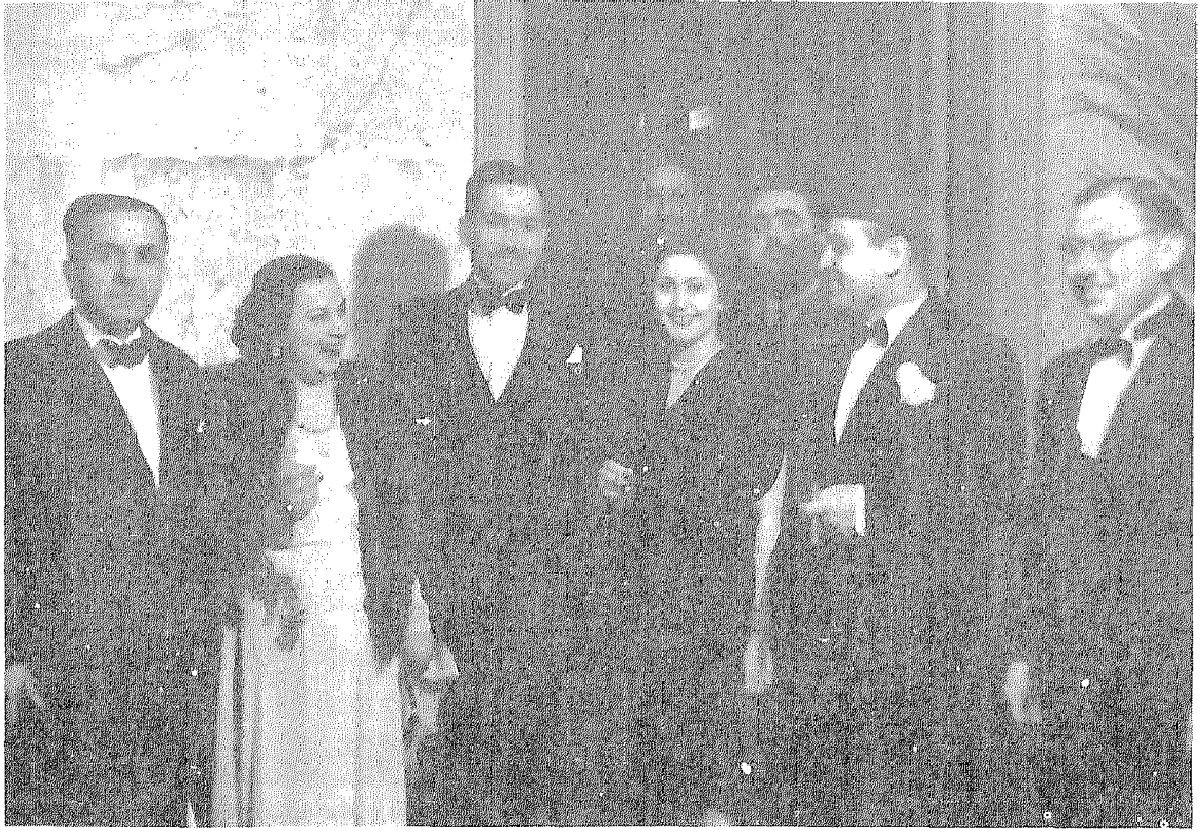
الشيخ بشارة الخوري وإلى يساره سامي الصلح ثم الجنرال فؤاد شهاب قائد الجيش

وبعد ان انتهينا حوالي الساعة الثالثة صباحاً إلتقينا جميعاً في قصر السيدة بسترس نروي لبعضنا البعض عن مغامرة الليل غير ان حظ هذه النشرات لم يكن سعيداً إذ صدف ان اكتشف أمرها النائب جورج خباز وهو أحد صاحبي جريدة الأوريان وصديق عزيز لرئيس الجمهورية اميل اده اكتشفها عندما كان يدخل إلى نادي الطيران في ساعة متقدمة من الصباح فثارت ثائرته واتصل فوراً بصديقه الرئيس وأبلغه الخبر، واتصل الرئيس بدوره بمدير الشرطة وبعث هذا برجاله يطوفون شوارع المدينة لنزع الملصقات عن الجدران، لكن هؤلاء غفلوا عن عدد كبير منها فشاهدها الناس في الصباح على مداخل بعض المؤسسات الكبرى: منها البرلمان والسراي التي كانت قائمة على الجانب الشمالي من ساحة الشهداء، وتناقل الناس ما ورد فيها بارتياح وتشفي.

وأتبعت الهيئة منشوراتها هذه بقصاصات ورق صغيرة تتضمن نفس المعنى نثرت بغزارة فوق رؤوس الجماهير التي كانت تتجمع في ساحة الشهداء أثناء قدوم البطريرك الماروني الى بيروت لتهنئة المفوض السامي بالوصول بعد غيبة قضاها في فرنسا.

وكالعادة المألوفة في هذه الحالات كان يندس بين الجماهير عدد من رجال الشرطة السرية فشاهدوا القصاصات تنثر على هذا النحو فتنبهوا للأمر، وبعد مراقبة دقيقة وقعت أنظارهم على أحد الصبية وهو يلقي كمية منها من على شرفة أحد المقاهي فسارعوا للقبض عليه وكان اسمه فيصل درويش وسلموه إلى المحقق المعروف رضا التامر الذي قام باستجوابه لمعرفة من أعطاه هذه القصاصات. وكان الاهتمام منصباً للوصول إلى التقاط أي خبر عن الضالعين بهذه المعارضة، فأنكر الولد معرفة أي منهم وتشدد المحقق في التحقيق طيلة أيام ثلاثة حتى لجأ إلى استعمال أساليب الاغراء التي أوقعت به، فأخبر أخيراً بأني الشخص الذي سلمه اياها، فارتاح المحقق إلى هذا الاقرار وانشرح صدره إلى الصيد الثمين فنقل الخبر فوراً إلى من كان يترقب بلهفة نتائج التحقيق ثم أوعز إلى شرطة المباحث بضرورة إحضاري إليه بأسرع ما يمكن من الوقت.

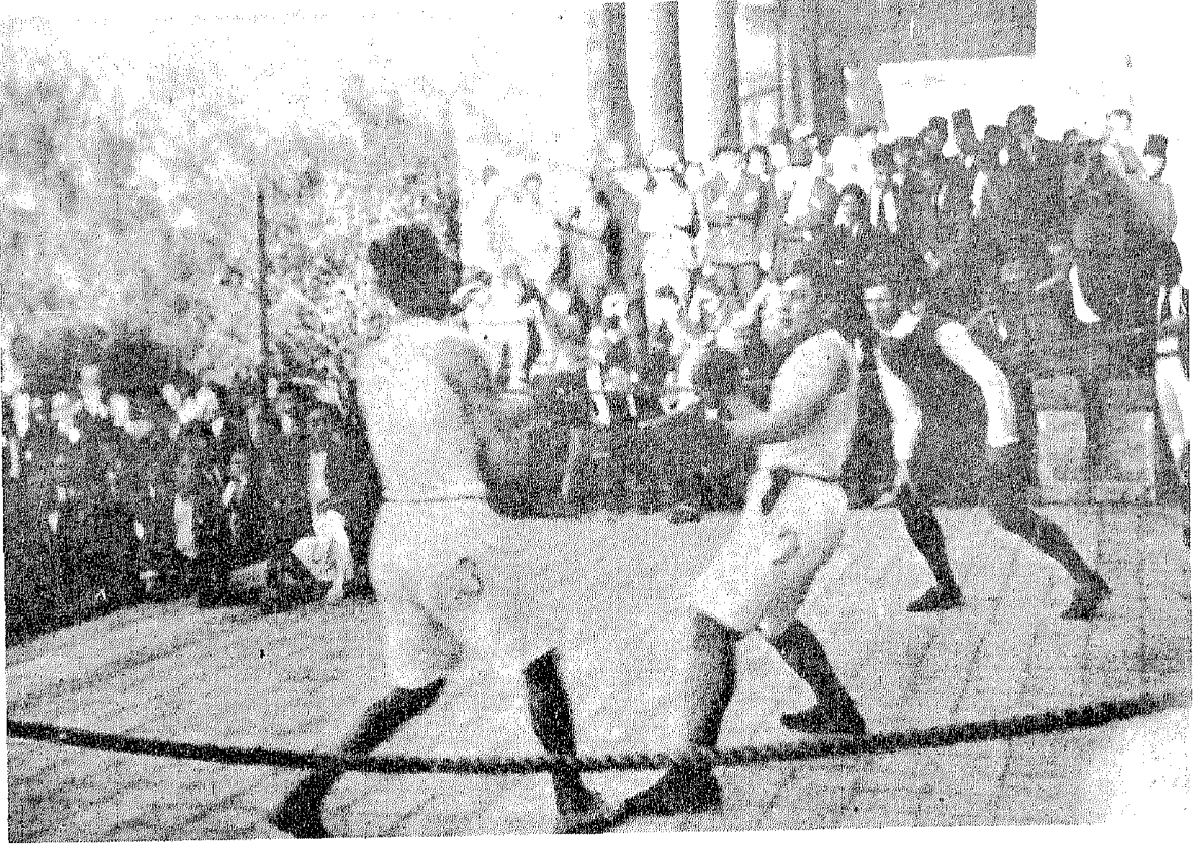
كنت في مساء ذاك اليوم حسب عادتي في



من اليسار إلى اليمين: جورج كفوري. نجلا كفوري. عبد الجليل الراوي سفير العراق. السيدة تميمة صائب سلام. صائب سلام. مالك سلام.

مكتب جريدة المساء لصاحبها الصديق عارف الغريب حين أقبل المفوض اميل خير الله وطلب إلي مرافقته إلى قصر العدل لمقابلة المحقق فصحبته بدون تردد، وأثناء سيرنا سألت المفوض عن سبب هذه الدعوة فقال: المحقق يريد أن يسألك ما هي معلوماتك بشأن المناشير التي صودرت من الصبي. وعند المحقق امتنعت عن الرد على أسئلته فقال لي: إذا كنت لا تجاوب فهذا يعني انك تحمل وحدك المسؤولية وكأنك تقبل أن تصدر بحقك مذكرة توقيف؟ قلت إني صممت على رفض طريقتكم بالتحقيق فافعلوا بي ما تشاؤون... ولما أيقن ان لا فائدة من اقناعي بالجواب على أي سؤال... صدرت بحقي مذكرة توقيف تقضي بوضعي في زنزانة عارية من أي مقعد أو سرير والريح تنساب إليها من شباك عالٍ ومفتوح، غير ان رجال الدرك ما لبثوا أن جاؤوني بفراش وغطاء وبقهوة ودخان وسألت عن الدافع لهذا العطف من حراس ما تعودوا إلا استقبال المتهمين بشتى الجرائم وأبشعها. فقيل لي ان مدير السجن أمر بالعناية بك. وعلمت فيما بعد ان الصديق عارف الغريب الذي تبعني إلى قصر العدل للوقوف على أخباري وعندما عرف بنقلي إلى السجن اتصل فوراً بصديقه الكومندان الياس المدور يعلمه بدخولي السجن ويطلب إليه الايعاز لمديره بالاعتناء بي لأني لم أعتد خشونة الحبس واتصل القائد بالمدير الذي هو تحت أمرته وأوصاه بي، ومع هذا لم يغمض لي جفن طيلة الليل.

وعرف الرئيس سامي الصلح بأمري فذهب لتوه وقابل رئيس الجمهورية اميل اده وقال له ان سجن الشاب لا يحد من نقمة الجماهير الشاجبة للانتخاب المزيفة، بل يزيدها ثورة وحقداً. وسيتقدم المحامون الذين لم يفوزوا في الانتخاب بالتطوع للدفاع عنه فتكون المحاكمة فرصة سانحة للطعن بالانتخابات المزورة والمسؤولين عنها وبدا ان الرئيس اده اقتنع بهذه الملاحظة فأوعز إلى النيابة العامة بالعمل على طي الشكوى كما نقل الأمر إلى السجن بالتحقيق عني تدريجياً تمهيداً لاطلاق سراحي، فنقلت من الزنزانة إلى القاووش الذي يضم عشرات السجناء الذين



صورة طريفة تجمع حسين سجعان وصائب سلام



من اليسار إلى اليمين: ايفلين بسترس ونجلاء كفوري.

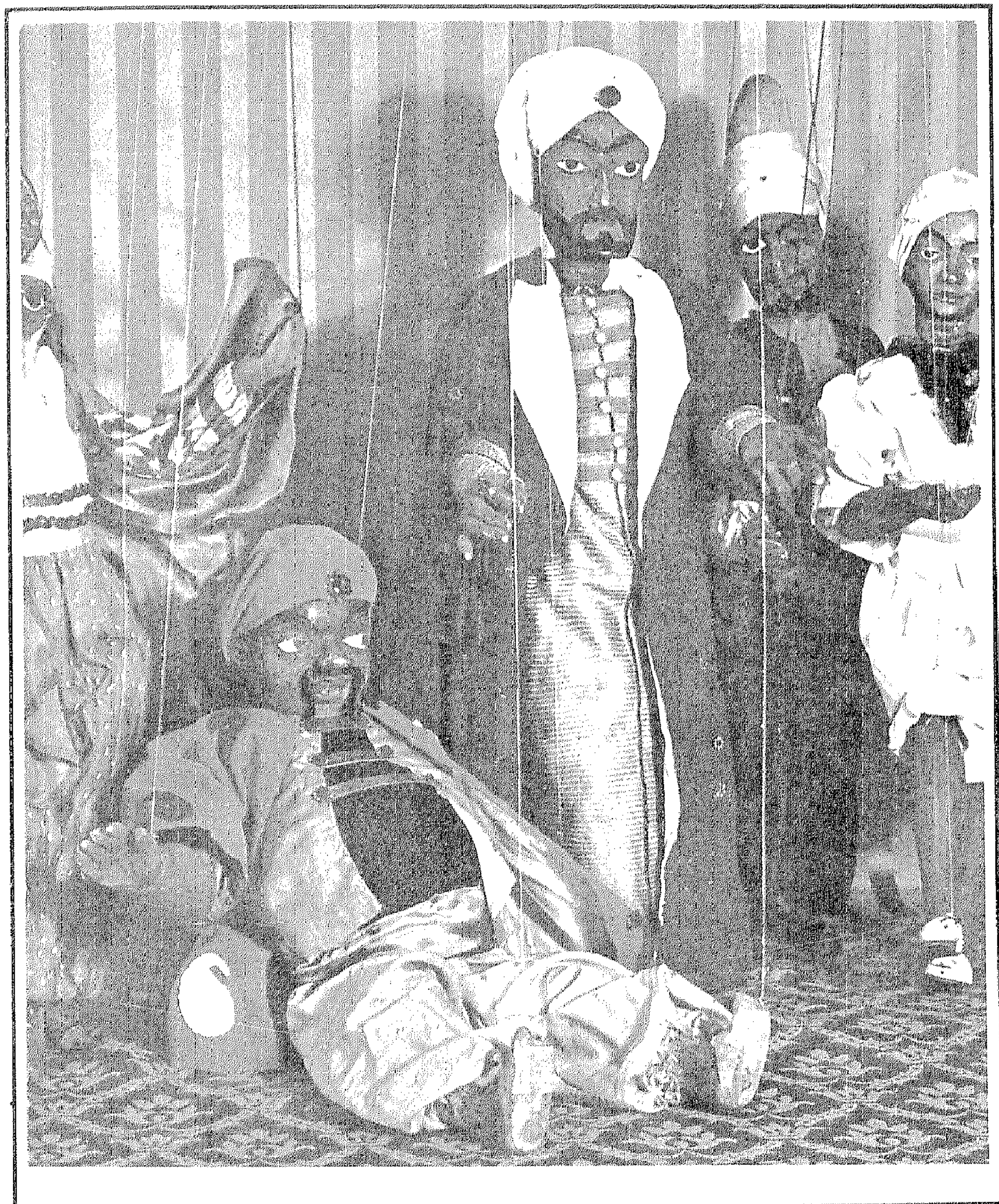
يزدحمون في قاعة تعبق بأجواء رائحة الأجسام ودخان السجائر فهالني الأمر وطلبت مقابلة المدير وسألته عن سبب نقلي إلى القاووش فقال انه أمر من النيابة العامة بغية التحقيق عنك، قلت اني لا أستطيع البقاء هنا ساعة واحدة وأرغب بالرجوع إلى حيث كنت فتفضل وراجع من أعطاك الأمر وقل له ان التحقيق الذي يزعمه قد يتسبب بموتي اختناقاً.

واستجاب النائب العام للطلب وأعادوني إلى سجني الأول الذي لم يطل بقائي فيه إذ صدر الأمر باطلاق سراحي في اليوم الثالث مقابل سند اقامة فخرجت من السجن دون متابعة التحقيق ثم دعيت إلى جلسة محاكمة بعد سنة كاملة فإذا بالمحكمة تجد في ملفي توصية بشطب الدعوى فلم تجد بداً من احالتها للحفظ. وحفظت بدوري هذا الحادث بين ذكريات شبابي المتعددة.

■

أراجيز عربية قديمة لترقيص الأطفال

بقلم : ڤيبكة ڤالتر　　　　الحلقة الأولى　　　　ترجمة : محمد علي حشيشو



نشرت هذه المقالة بالالمانية ثم ترجمت إلى العربية و نشرت في مجلة فكر وفن العدد ١٨.

«فن الأراجيز العربية لترقيص الأطفال» عرفه تاريخ العرب مبثوثاً في كتب اللغة والأدب والأسفار والتاريخ ، وهو ، إلى جانب أهميته كتعبير فني خاص له مكانة في الأغنية والايقاع العربيين ، يعبر عن مضمون إجتماعي نفسي لمفهوم الطفولة في التاريخ العربي ، ويعكس مضامين اجتماعية معينة في العلاقات الأسرية العربية . فهو بهذا المعنى مصدر مهم لدراسة تاريخ الطفولة والعائلة . ومن هنا تختار مجلة «تاريخ العرب والعالم» هذه المقالة التي كتبها المستشرق الألماني «فيكه فالتر» وتنشرها كمقالة تاريخية في موضوع خاص ، وكمصدر لدراسة موضوعات علم النفس الاجتماعي في التاريخ العربي .

وردت في شتى مواضع الأدب العربي القديم ، وبخاصة في طبقات الأدباء ، وفي المعاجم وأسفار اللغة والتاريخ ، نصوص أبيات مقفّاة كانت ترقص عليها الأطفال ، وهي تتباين من مقام إلى مقام[1] . ويقال في مثل هذه المواضع إن أعرابياً أو أعرابية جعلت طفلها أو جعل طفله ، وهو في الغالب ابن ، وقلما يكون ابنة ، يرقص بينما يردد على ايقاع رقصه الأرجوزة الشعرية التالية ، وعلى سبيل المثال : الإبشيهي ، المستطرف ٢ ، صفحة ١٠ ، ١٤ : «وكانت أعرابية ترقص ولدها وتقول».. وكانت هذه قصائد صغيرة يخاطب فيها الكبار صغارهم ، وتشبه في وظائفها ما يرتله الألمان عند ركوب أطفالهم على ركب للمداعبة كـ«Hopp Mariannchen, Hoppe hoppe Reiter» أو ما يدعى بالإنجليزية «Nursery rhymes» . ومن الكلمات المستعملة إلى جانب «رقص» و«أرقص» ، «زفن» و«زف» .

وقد أدرج عدد كبير من أشعار رقص الأطفال هذه كما يبدو في «كتاب الترقيص» أو «المرقصات والمطربات» لأبي عبد الله محمد بن الأزدي وهو من تلامذة اللغوي ابن دريد (المتوفى في ٣٢١/٩٣٤)[2] . وعلى أية حال فإن «الإصابة» و«السمط» للبكري يشيران إلى ذلك بذكر عنوان الكتاب واستشهاد واحد منه في كل منهما . وتشير الاقتباسات المذكورة في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (Gal) ، في المكان المذكور ، إلى أن المؤلف ، كما هي العادة في كتب الأدب ، لم يقتصر على موضوع واحد ، وإنما كان متعدد المحتويات ، وقد أخذ أغلب هذه الاقتباسات من كتاب السيوطي «المزهر» وتحتوي في الغالب على معلومات تتعلق باللغة والأنساب .

وسنقدم فيما يلي مجموعة صغيرة من مثل هذه الأبيات الشعرية القديمة الخاصة برقص الأطفال[3] . والقسم الأصغر من هذه الأبيات مجهول الشاعر ، كما هو الحال في الأدب الشعبي بوجه عام ، أما في القسم الأكبر من هذه الأبيات فقد ذكر أنها تليت على شخصية معروفة في التاريخ العربي أو الإسلامي ، من أبيه أو أمه أو جدته أو أحد أقربائه ، وفي الغالب من شخصية تاريخية معروفة .

وعند مزيد من الفحص فإن عدداً من هذه الأبيات غير مجهولة القائل يبدو مبتكراً في فترة لاحقة ، إما لأسباب دعائية في عهد حياة المعني بالأمر ، وإما لتزيين الروايات اللاحقة عنه ولإعطائها مزيداً من اللون والتفصيل . ويشهد على ذلك أيضاً أن محتويات هذه الأبيات في الغالب أقل تواضعاً من الأشعار المجهولة القائل . ولكن حقيقة تحول هذه الأبيات مع الزمن إلى روايات أهمية يشهد كذلك على سعة انتشار وحب هذا النوع من الأدب . ومن العسير إعطاء تاريخ دقيق لهذه الأبيات ، ولكن المعتقد أن الجزء الأكبر منها يعود إلى القرنين الأولين للعهد الإسلامي ، كما أن هناك بضعة منها قد تعود إلى أصل جاهلي .

إن جميع الأبيات المذكورة هنا من بحر الرجز ، الذي اعتبر ، على ما يبدو ، أفضل ما يناسب قفز الطفل أو رقصه ، كما كانت أبيات الرجز تستعمل

كذلك لمصاحبة الحركات الجسمية الأخرى (كالعمل ، وسير الجمال)[4] . والقصائد الصغيرة ذات الأوزان الثلاثية التفعيلات أكثر بكثير من الثنائية التفعيلات (بنسبة ٢٥ إلى ٨) ، وبين الثلاثية تغلب الناقصة التفعيلات (وتبلغ ١٦) وتبلغ ذات التفعيلات الكاملة (٨) ، أما بين الثنائية التفعيلات فتغلب الكاملة (وعددها ٥) على الناقصة التفعيلات (وعددها ٣) . وهناك قصيدة قصيرة واحدة ثلاثية ذات تفعيل قصير.

ونذكر في بادئ الأمر الأبيات المجهولة القائل وتلك التي يمكن اعتبارها حقيقية أصيلة بكثير من الاحتمال . ويظهر أغلب هذه القصائد القصيرة بأشكال مختلفة باختلاف النصوص . وغالباً ما تتعلق بالأبناء وتنطق بحب الطفل والفخار به ، كهذه الأبيات التي رقص أب ابنه بها (الإبشيهي ، المستطرف ، المجلد ٢ ، ١٠ ، ١٧) :

أحبه حب شحيح ماله

قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

إذا أراد بذله بدا له .

وفي «العقد» ، المجلد ٢ ، صفحة ٤٣٩ ، ١١ - ١٢ تظهر الأبيات نفسها مع فارق بسيط في نص البيتين الأخيرين :

قد كان ذاق الفقر ثم ناله

إذا يريد بذله بدا له

وتنطق الأبيات التالية (الإبشيهي ، المستطرف ، م ٢ ، صفحة ١٠ ، ١٥) بالشعور السائد بين كثير من الأمهات بأنهن لم يلدن طفلاً عادياً وإنما صبياً متميزاً :

يا حبذا ريح الولد

ريح الخزامى بالبلد

أهكذا كل ولد

ألم يلد مثلي أحد .

وذكر البيهقي («المحاسن» ، صفحة ٥٨٥) الأبيات نفسها مع اختلاف بسيط في البداية :

كأنما ريح الولد .

وفي البيت الأخير أورد كلمة «قبلي» بدلاً من «مثلي» . ويتناسب مع البيتين الأولين من حيث المعنى حديثان مرفوعان يزعم أنهما نقلا عن الرسول محمد : «ريح الولد من ريح الجنة» و «الأولاد من ريحان الله» . (العقد ، م ٢ ، صفحة ٤٣٨ ، س ٤ ، وكـــــذلك الإبشيهي ، المستطرف ، م ٢ ، صفحة ٩٠) .

ويعبر البيت التالي عن الاعتزاز بالابن الصغير وقد رقص أب ابنه به :

أعرف منه قلة النعاس

وخفة في رأسه من رأسي

وقد ورد الشطر الثاني في بعض المخطوطات على الوجه التالي : وخفة من رأسه في رأسي .

ومن الأمثلة النموذجية على التفاخر العربي القديم هذان البيتان اللذان يعربان عن الرغبة في أن يثبت مركز الطفل في مجتمع القبيلة ، وأن تحميه القبيلة ابتداء من قبيلة خولان في الجنوب حتى جميع آل قحطان ، أي جميع عرب جنوبي الجزيرة . والاتجاه أخيراً ، وهذا ما يبدو غريباً نظراً للخلافات بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، نحو عرب الشمال ، أهل عدنان الأكرمين . (شرح العيني ، م ٤ ، صفحة ٩١) :

فداك حي خولان

جميعهم وحمدان

وكل آل قحطان

والأكرمون عدنان

وبالأبيات التالية رقصت أم ابنها ، وهو رضيع ، بعد أن قضى أبوه من آل طي نحبه ، وكان قاطعاً للطرق (العقد ، م ٢ ، صفحة ٤٣٩ ، ١٧ - ١٨) :

يا ليته قد قطع الطريقا

ولم يرد في أمره رفيقا

وقد أخاف الفج والمضيقا

فقل أن كان به شفيقاً .

وبما أن استعمال «ليت» مع الماضي قد يكون له معنى الاستقبال وكذلك الماضي وبما أن النص يخلو من أية إشارة أخرى ، فإنه ليس من الواضح فيما إذا كانت الأبيات تعبيراً عن الأسف لتصرفات الأب أم رغبة أو نصيحة للابن ، ولكن يبدو لي من الموقف أن الاحتمال الأول هو الأقرب للحقيقة .

وفي القطعتين التاليتين يذكر اسما تدليل لرجلين ، لعلهما اسما التدليل الوحيدان اللذان انحدرا الينا من



امومة (اسماعيل شموط)

بواكر عهد الإسلام . إذا غضضنا الطرف عن أسماء التصغير . ويروى أن هنداً بنت أبي سفيان تلت لابنها عبد الله بن الحارث . وهو هاشمي . كان والياً على البصرة مدة قصيرة في عهد عبد الله بن الزبير[٥] . تلت له في طفولته أرجوزة رقص منتشرة في نصوص مختلفة . وهي تخاطبه في هذه القطعة باسم له . وهو اسم يجعلنا نعتقد أنه يعود إلى فترة محاولة النطق الأولى للطفل بحيث أصبحت هذه الكلمة اسم التدليل الذي أطلق عليه (لسان العرب . تحت : ب – ب – ب . ابن يعيش . صفحة ٣٦ . س ١٨ – ١٩) :

لأنكحن به
جارية خدبه
مكرمة محبه
تجب أهل الكعبة .

وفي كتاب «نقائض جرير والفرزدق» ، صفحة ١١٣ ، ١ – ٢ توجد القطعة نفسها باختلاف في الشطر الثاني : «جارية كالقبة» ، وعند ابن دريد ، «كتاب الاشتقاق» ، صفحة ٤٤ ، ٨ حذف الشطر الثالث .

ومما يدل على أن عبد الله بن الحارث احتفظ بهذا الإسم منذ عهد الطفولة وكان ينادي به بعد أن كبر بشيء من الهزء أيضاً ، الاقتباس الذي ورد عند الطبري التاريخ م ٢ ، صفحة ٤٥١ ، ١٢ والذي مفاده أن أحد خصومه في البصرة غير من الأبيات المذكورة وأوردها على الشكل التالي :

لأنكحن به
جارية في قبه
تمشط رأس لعبة .

ويوجد في الكتاب معلومات أخرى عن المواضع التي ترد فيها هذه القطعة مع الإختلافات المذكورة أعلاه . ويقال إن والد المحدث عمر بن شبة قد احتفظ بلقبه «شبة» – واسمه في الحقيقة زيد – وذلك لأن أمه رقصته على القطعة التالية (السيوطي ، بغية ، صفحة ٣٦١ ، ١٠) :

يا با أبي يا شبا
وعاش حتى دبا
شيخاً كبيراً حبا

ويلاحظ أن استعمال (يا أبي) بدلاً من (يأبي) قد اضطر إليه الشاعر لأسباب تتعلق بالوزن في الشطر الأول . وهناك قطعة لها نفس البداية قيل ان عبد المطلب رقص بها ابنه الحارث أو الزبير (ابن دريد ، الاشتقاق ، صفحة ٧٥ ، ٩) :

يا بيبي يا بيبي يا بيبي
كأنه في العز قيس بن عدي

وقيس ابن عدي الذي يقارن به الطفل هنا ، كان ، كما جاء في كتاب ابن دريد ، في المكان نفسه ، أحد زعماء قريش في زمنه . ويتضح أنه من استحسان استخدام عبارة (يا أبي) – وهنا تحولت الهمزة إلى ياء – أو مصاحبتها لرقص أو قفز الطفل ، قد خلقت فعلاً ما يشتق من هذه العبارة وهو بأبأ بمعنى : «أرقص طفلاً أو هزه بين الذارعين» .

ويقال أن مربية أبي بحر بن قيس ، وهو من أشراف تميم ، كان يعرف بكنيته «الأحنف» ، وكان يلعب دوراً لا يستهان به في الحياة السياسية والعسكرية في أوائل الإسلام ، ويتمتع في الأدب العربي باعتبار لا بأس به ، قيل إن مربيته ارقصته على القطعة التالية :

والله لولا حنف برجله
ما كان في صبيانكم كمثله .

منافسة بين زوجتين لرجل واحد :

وهناك قطعتان وردتا في مكانين مختلفين ومع اختلاف في النص وتشيران إلى موقف كان يتكرر عند الأسر التي كانت تتعدد فيها الزوجات في ذلك العهد ، وهو أن تلد زوجتان لرجل واحد في الوقت نفسه ، الواحدة ابناً والأخرى بنتاً . وتعلن أم الابن ، فخورة ، انتصارها الذي تحمد الله عليه ، وتعيب على منافستها بذم البنات (البيهقي ، المحاسن ، صفحة ٦٠٠ ، ٥ – ٦) :

عفاني اليوم من الجواري
من كل سوداء كشن بالي
لا تدفع الضيم عن العيال

وتوجد القطعة التالية التي تختلف عن الأولى في (مستطرف الإبشيهي ، م ٢ ، صفحة ١٠ ، ١٩ – ٢٠) :

الحمد لله الحميد العالي
انقدني العام من الجوالي
من كل شوهاء كشن بالي
لا تدفع الضيم عن العيال .

ثم تحاول أم البنت تبرير وضعها . فتؤكد أن للبنت كذلك حسناتها فترقص ابنتها بالأبيات التالية (البيهقي . المحاسن . صفحة ٦٠٠ . ٨ - ١١) :

وما عليّ أن تكون جارية
تحفظ بيتي وترد العارية
تمشط رأسي وتكون الغالية
وتحمل الفاضل من خماريه
حتى إذا بلغت ثمانية
وزينت بنقبة يمانية
زوّجتها مروان أو معاوية
أزواج صدق بمهور غالية .

وكما يظهر الاسمان في البيت ما قبل الأخير فإن القطعة تعود إلى العصر الأموي . وقد أورد الإبشيهي (المستطرف ، م ٢ صفحة ١٠ ، ١٩ - ٢٠) القطعة التالية وفيها اختلاف بسيط في النص :

وما علي أن تكون جارية
تغسل رأسي وتكون الغالية
وترفع الساقط من خماريه
حتى إذا ما بلغت ثمانية
أزرتها بنقبة يمانية
انكحتها مروان أو معاوية
أصهار صدق ومهور غالية .

ونجد هنا إضافة من اختراع الراوي بكل تأكيد وهي أن مروان سمع هذا وأنه تزوج بالفتاة وقدم لها مهراً قيمته مائة ألف مثقال ليجعل أمها على حق ولئلا يخيب أملها . وتقول الرواية إن معاوية قال على إثر ذلك إنه لو لم يسبقه مروان إلى ذلك لدفع ضعف ذلك المهر ، وبما أن الهدايا ليست ممنوعة . فقد بعث إليها بمائتي ألف درهم ؛ «والله أعلم» على ذمة الراوي . وقد أورد الجواليقي ، صفحة ١٢٣ ، ٧ - ٨ هذه القطعة بصيغة مختصرة .

ولادة البنت :

ويتبين المرء من عدة قطع شعرية لرقص البنات الصغيرات مدى قلة تقدير ولادة البنات . فنجد الرواية الصغيرة التالية عند الجاحظ ، البيان ، م ١ ، صفحة ٧٧ : غادر أبو حمزة الضبي خيمة زوجته بعد أن كانت قد ولدت له عدة بنات . وبات عند جيرانه . وبعد أن ولدت زوجته بنتاً أخرى ، مرّ ذات يوم بخيمتها وسمعها وهي ترقص البنت الصغيرة وتقول ، (السطر ٨ - ١٠) :

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تا لله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالأرض للزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا .

ويقال إن أبا حمزة أسرع على أثر ذلك ودخل خيمة زوجته وقبلها مع ابنته . وكما جاء في القطعة التي تخاطب فيها زوجة قاطع الطرق ابنها ، فان الأم هنا لا تتجه نحو طفلتها وإنما نحو الأب لتلومه على تصرفاته .

وقد هنأ الأديب ابن المقفع بشيء من المكر أحد هؤلاء الآباء الحانقين على ولادة بنت له وذلك بالأبيات التالية (البيهقي ، المحاسن . صفحة ٥٩٩) :

سخطت بنية عما قليل
تسر بها عيون الناظرات
فبارك في فطيمة رب موسى
وأنبتها بنات الصالحات
وزادك عاجلاً أخرى سواها
لسخطك إذ سخطت على البنات .

ولا نستطيع فهم القطعة التالية التي ظهرت في «إرشاد الأديب» لياقوت إلا من خلال أوضاع ذلك العصر . وقد قدم ياقوت للقطعة بما يلي : روى علي ابن عبد العزيز بن المرزباني في مسجد الحرم في مكة أنه كان عند معلمه الذي كان يعلمه الخط عندما أدخلت عليه إحدى بناته الصغيرات وهي ترتدي ثوباً حريرياً . وأجلس البنت - وكان اسمها وسناء - في حجره وراح ينشد (ارشاد ، م ٥ ، صفحة ٢٤٨ وما تلاها) :

وما الوسناء إلا شبه در
ولا سيما إذا لبست حريراً
فأحسن زيِّها[٦] ثوب نظيف
تكفن فيه ثم أرى سريراً
تهادي بين أربعة عجال
إلى قبر فتملؤنا سروراً

وخلافاً للقطع المذكورة سابقاً - باستثناء الأخيرة - فإن هذه القطعة ليست شعر رقص، وكذلك البحر ليس بالرجز. وقد يبدو المحتوى قاسياً رهيباً ويذكر بأن البدو كانوا في العصر الجاهلي يئدون بناتهم أحياء بعض الأحيان في الرمال، لتخفيف العبء عن القبيلة التي لم تكن قوتها تضمن إلا بعدد أفرادها من الرجال. وقد منع الإسلام هذه العادة إلا أنه لم يستطع على ما يبدو أن ينهي الاستياء من ولادة البنات في عالم يسوده الرجال. وقد أدى الجزع الشديد على مستقبل البنات الصغيرات اللواتي كن لا عون لهن دون حماية الرجال، أدى هذا الجزع بالدرجة الأولى إلى التغني بأبيات يتمنى الآباء فيها الموت السريع لبناتهم كأفضل مصير لهن، كما هو الحال فيما يلي (الإبشيهي، المستطرف، م ٢، صفحة ٩ وما بعدها؛ وكذلك البيهقي، المحاسن، صفحة ٦٠٢ وما بعدها):

أحب بنيتي وودت أني
دفنت بنيتي في قاع لحدي
سألت الله يأخذها قريباً
ولو كانت أحب الناس عندي.

وكردّ على هذا الرأي فقد وردت أحاديث عند البيهقي. (صفحة ٥٩٩ وما تلاها) وكذلك عند الإبشيهي. تقول بأن البنات أفضل من الأبناء. فمنهن من يصبح أمهات وأخوات وعمات وخالات وأنهن قد يترعرعن لما فيه فائدة العائلة وسعادتها في كثير من الوجوه. ويضع البيهقي هذه الأحاديث مقيماً إياها تحت عنوان: «قصص طيبة عن البنات» بينما يقدم القطع الشعرية والروايات التالية تحت عنوان «قصص قبيحة عن الاستياء من البنات».

ولكن الهلع المليء بالحب على مستقبل البنات الصغيرات في عصر كانت لا تزال مفاهيم التخطيط العائلي وتحديد النسل بعيدة جداً فيه، وجد تعبيراً آخر كما ندرك ذلك من قطعة أنشدها المعلي الطائي (العقد، م ٢ صفحة ٤٣٨، ١٢ - ١٦):

لولا بنيات كزغب القطا
حططن من بعد إلى بعد
لكان لي مضطرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض
إن هبت الريح على بعضهم
لم تشبع العين من الغمض.

وقد أخذت هذه الأبيات من قصيدة طويلة ذكرت مع بعض الاختلافات في «الأمالي». للقالي، م ٢، صفحة ١٨٩ وما تلاها، وكذلك في «الحماسة»، م ١، صفحة ١٤١[٧]. وتظهر الشطرات الأربع الأخيرة أو الاثنتان الأخيرتان منها فقط مراراً، كما ذكر البيهقي. في «المحاسن»، صفحة ٥٨٥، ٥.

وفي هذا الخصوص فإن للقصة التالية من كتاب الأغاني، ١٨، صفحة ١٤٧ علاقة بالأمر أيضاً: فقد تزوج رجل اسمه أبو نهيلة من امرأة من عشيرته. وعندما ولدت له ابنة طلقها لفرط غيظه بسبب ذلك. ولكنه ندم على ذلك فيما بعد وأعادها إليه. وعندما كان ذات يوم في بيته سمع صوت ابنته. بينما كانت أمها تلاعبها. ولمس ذلك أوتار قلبه. فذهب إليها واخذها بين يديه ورقصها على الأبيات التالية:

يا بنت من لم يك يهوى بنتاً
ما كنت إلا خمسة أو ستا
حتى هلكت في الحشى وحتى
فتتت في القلب جوى فانفتا
لأنت خير من غلام أنتا
يصبح مخموراً ويمسي سبتا.

ومما يدهش استخدام هذه القطعة كأرجوزة للرقص. حتى وإن كانت بعض أبياتها من بحر الرجز. إذ أنها في الحقيقة أغنية رثاء للشاعر بشار بن برد بمناسبة وفاة بنت صغيرة له وهي تظهر على هذا الأساس مع بعض الإختلافات في كتاب الأغاني.

٣ (١٩٢٩) ، صفحة ٢٢٩ ، ٥١ وما تلاه[٨] . ومع ذلك فقد اهتم الأب هنا على ما يبدو بالدرجة الأولى بمحتوى المصراع الأول والمصراعين الأخيرين .

وهناك قطعة وردت في «الأمالي» للقالي ، م ٢ ، صفحة ١٩٧ وما تلاها ، وتدل على أن هناك من كان يظهر الاستياء من الأبناء أيضاً وهي أبيات انطلقت من أب مغتاظ في سورة غضب وتبدأ كالتالي :

«إن بنيَّ كلهم كالكلب» .

وقد توجد أبيات رقص لطيفة لا غبار عليها للبنات الصغيرات أيضاً كالبيتين التاليين مثلاً ، وقد قالهما زبير بن عبد المطلب لابنته أم الحكم عندما كانت طفلة . (القالي ، الأمالي ، م ٢ ، صفحة ١١٦ ، ١ – ٢) :

يا حبذا أم الحكم
كأنها ريم أحم
يا بعلها ماذا يشم
ساهم فيها فسهم .

ويذكر البكري في سمط اللآلي وهو تعليق وشرح لكتاب الأمالي ، م ٢ ، صفحة ٧٤٤ ، قطعة تختلف في الشطر الثالث : يا بعلها حزت الكرم . ويتضح فيها أن زوج البنت الصغيرة المقبل يخاطب في صيغة المخاطب خلافاً لصيغة الغائب في الشطر الأخير .

ويقال إن جعفر بن الزبير أرقص ابنته الصغيرة أم عروة على البيت التالي (الأغاني ، ١٣ ، صفحة ١٠٢ ، ١٠) :

يا حبذا عروة في الدمالج
أحب كل داخل وخارج .

والشيء الملفت للإنتباه هنا ، أن المخاطبة بعروة لا تعني البنت الصغيرة وإنما اسم الرجل الذي تحتويه كنيتها ، أي ابنها المقبل . ويشبه الشطران أغاني الأطفال المألوفة بالألمانية وذلك بصف الشطرين الواحد بعد الآخر بحكم الوزن والقافية دون علاقة في المضمون .

وفيما يلي بيتان يوجدان في اختلافات كثيرة ولا صلة بينهما من حيث المضمون . ويقال إن أعرابية أرقصت ولدها عليهما :

يا قوم مالي لا أحب حشوده
وكل خنزير يحب ولده

ويستطيع المرء أن يفترض هنا أن هذين البيتين قالهما شعوبي ليتهكم فيهما على العرب . إذ لم أجد أي مرجع آخر في هذا العصر لاسم حشوده كاسم علم . ويذكر تابع العروس تحت فعل ع – ن – ج – د أبياتاً مماثلة مع اختلاف أقل فظاظة :

يا قوم مالي لا أحب عنجده
وكل إنسان يحب ولده
حب الحباري ويذب عنده

وفي الأبيات التي ذكرها لين (Lane) تحت كلمة حباري وقد استقاها من المغرب للمطرزي والصحاح للجوهري ، ينقص البيت الأول بحيث يصبح المعنى معقولاً :

وكل شيء قد يحب ولده
حتى الحباري وتطير عنده

وتذكر الحباري هنا على ما يبدو بسبب بساطتها.

(نهاية الحلقة الأولى)

■

الهوامش

(١) قدم اغناتز غولدتسيهر J. Godziher أول مجموعة من هذه الأشعار .
(٢) راجع كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي (C. Brockelmann) . صفحة 174 . رقم 25a
(٣) انني ادين بالشكر للأستاذ W. Fuch على قسم كبير من المراجع .
(٤) راجع (Vers u. Sprache: A. Bloch.) صفحة ١٤ .
(٥) راجع ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير . المجلد (VII^2) . ص ٧١
(٦) هذا هو التشكيل الصحيح وليس زيها . كما جاء في المتن .
(٧) ذكر اسم المؤلف هنا وهو حطان بن المعلي .
(٨) استشهد بهذه الأرجوزة باللغة الالمانية في كتاب (Die Renaissance des Islams) .

مختارات من المراجع

أبو زيد ، كتاب النوادر في اللغة . بيروت ١٨٩٤ .
أبو الفرج الاصبهاني : كتاب الأغاني . ج (٣) القاهرة ١٩٢٩/١٣٤٧ . ج ١٣ و ١٨ نشر أحمد الشنقيطي . القاهرة بدون تاريخ .
العيني : شرح الشواهد الكبرى . ج ٢ . بولاق ١٢٩٩ .
البيهقي : كتاب المحاسن والمساوئ . نشر شفالي عام ١٩٠٢ .
البكري : سمط اللآلي . ج ٢ . القاهرة ١٩٣٧/١٣٥٦ .
البلاذري : أنساب الأشراف . الجزء ٥ . القدس ١٩٣٦ .
ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق زاخاو لايدن ١٩٠٥ - ١٩٤٠ .
إبن إياس : شرح المفصل . نشر يان لايبزغ ٨٨٢ - ١٨٨٦د.
الإبشيهي : كتاب المستطرف في كل فن مستظرف . ج ٢ . مصر ١٩٠٢/٣٢٠ .
ابن عبد ربه : كتاب العقد الفريد . ج ٢ . القاهرة ١٩٥٦/١٣٧٥ .
محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ١ - ٢٠ بولاق . ١٣٠٠ - ١٣٠٧ .
البغدادي : خزانة الادب ، ج ٤ ، بولاق ١٢٩٩ .
ابن دريد : كتاب الاشتقاق . نشر ف . فوستنفلد .
ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، نشر م . ي .دي
القالي : كتاب الأمالي في لغة العرب . ج ٢ . القاهرة ١٩٢٦/١٣٤٤ .
السهيلي : كتاب الروض العنف . مصر ١٩١٤/١٣٣٢ .
السيوطي : كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . مصر ١٩٠٨/١٣٢٦ .
الطبري : تاريخ الطبري . نشر (11. Ser. M.J. de Goeje) . لايدن ١٨٨٣/١٨٨١ .
الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس . ١ - ٢٠ . مصر ١٣٠٦ - ١٣٠٧ .
ياقوت : إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب . نشر (D.S. Margoliouth.) ج ٥ .
لايدن ، لندن ١٩١١ . GMS VI, 5.



طعام المصريين

● كان المصريون يأكلون السمك نيئاً مجففاً بالشمس أو منقوعاً في الماء الملح ويتعاطون كثيراً من اللحوم نيئة كالسلوى والبط وبعض أنواع الطيور بعد تمليحها وبعضهم كانوا يأكلون السمك مجففاً بحرارة الشمس فقط .

وكانوا يتناولون طعامهم على انغام الموسيقى ويجعلون على موائدهم تماثيل صغيرة تمثل أجساماً محنطة كأنهم يريدون بذلك كبح جماح الشهوات بتذكير أصحاب المائدة ان نعيم الدنيا زائل . وقد يطوفون بتمثال جثة محنطة حول المنزل يغنون الأغاني ويقولون : كل واشرب وتمتع بملاذ الدنيا قبل أن يدركك الموت . وكانوا يبسطون موائدهم على الطرق ذكر ذلك هيرودوتس ، وقال انهم يحتجون عن ذلك بأن الأمور المعيبة إذا كان لا بد من عملها فلتعمل سراً أما غير المعيبة فجهازاً .

الكاتب الفلسطيني

مجلة الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تصدر مرة كل شهرين ، مؤقتا ٠

- تناقش قضايا الثورة الفلسطينية ومختلف القضايا العربية ٠
- وتتابع الفكر والادب التقدميين في الوطن العربي والعالم ٠

- قيمة الاشتراك السنوي :

٣٠ ل.ل	في لبنان وسورية
٦٠ ل.ل	في بقية الاقطار العربية
١٠٠ ل.ل	في اقطار العالم
١٥٠ ل.ل	للمؤسسات ٠

- العنوان : بيروت ، لبنان ، ص ٠ ب ٢٠٧٥ ٠

ملف الوطن العربي

الكويت
الحلقات المفقودة في تاريخها القديم والحديث

إعداد: «قسم الأبحاث والدراسات»



خزانات المياه العذبة التي بنيت لتراعي الهندسة المعمارية العربية والحديثة.



تعتبر الكويت نموذجاً لدولة تأسست حديثاً ولم تُعرف في التاريخ إلا منذ أقل من ثلاثمائة عام، ولكنها تبحث عن جذورها الحضارية الأولى من خلال الآثار الغنية المطمورة في جوف أرضها الصحراوية والساحلية، والتي أفادت الاكتشافات الأثرية الحديثة إلى انها تعود الى العصر الحجري القديم وتمتد حتى العصور الهيللينية.

وما ينبغي التركيز عليه هو ان الكويت ليست مجرد جزء من منطقة الخليج العربي الكبرى – إذ هي تقع في زاويته الشمالية الغربية – بل هي أيضاً منطقة مجاورة لوادي الرافدين، مهد الحضارة البشرية الأولى.

من هنا يتميّز تاريخ الكويت في كونه، في آن، محصلة للتاريخ البحري لبلدان الخليج العربي وللتاريخ القاري لبلاد ما بين النهرين.

قبل الفتح العربي الاسلامي:

تعتبر هذه الفترة المديدة من تاريخ منطقة الكويت الساحلية شبه مجهولة حتى اليوم. ولعل الحفريات والاكتشافات الاثرية الجارية منذ عدة سنوات على قدم وساق في أنحاء عديدة من الكويت ولا سيما في جزيرة «فيلكا» الصغيرة الواقعة على مدخل خليج الكويت، هي الأمل الوحيد لإعادة كتابة تاريخ المنطقة منذ أقدم العصور[1].

ومما أعطى لهذه الجزيرة موقعها المميز كون شواطئها محطة أساسية للسفن المارة في الجوار للتزود بالماء والطعام أو لتتقي الأنواء البحرية العاصفة.

وفي إنتظار نفض الغبار عن أكبر عدد متوفر من آثار فيلكا[2] يمكن في سهولة دمج تاريخ الكويت القديم بتاريخ الخليج العربي من جهة وتاريخ بلاد الرافدين من جهة أخرى. خصوصاً تاريخ ساحل الخليج الذي كان يطلق عليه إسم «البحرين» ويعتبر في نظر المؤرخين ومن بينهم هيرودوت موطن الفينيقيين الأصلي.

إن البحث في أصل اسم «كويت» يمكن أن يساعدنا كثيراً في استجلاء ما خفي من تاريخ البلاد القديم ففي رأس الأب انستاس ماري الكرملي[3] ان «الكويت تصغير كوت، وهو في لغة أسفل العراق ما داناه من بلاد العرب والعجم، البيت المبني بهيئة القلعة أو دونه تحصيناً، يتخذ ملجأ عند الحاجة وحوله بيوت عديدة راجعة إلى البيت الأب. ولا يطلق عليه هذا الاسم إلا إذا كان قريباً من الماء، سواء كان نهراً أو بحراً أو مستنقعاً أو غيره... والظاهر إن هذه اللفظة قديمة الاستعمال في هذه الربوع، وهي ترتقي إلى عهد الكلدانيين والأشوريين والبابليين».

وفي حال أثبتت الاكتشافات الأثرية الجارية حالياً هذه الفرضية التي وضعها الأب أنستاس فإن الكثير من المسلمات والمعطيات السابقة تستوجب اعادة النظر فيها.

الكويت العربية الاسلامية:

يتفق المؤرخون العرب على أن بلـــدة «الكاظمة»[4] الواقعة على مقربة من الشاطئ الشمالي لخليج الكويت والتي تبعد عن قرية الجهراء المشهورة حوالي خمسة أميال وتشرف عليها جبال «غضى» المعروفة بهذا الاسم منذ التاريخ الهجري الأول،



جانب من اثار جزيرة فيلكا

شكلت مدخل العرب – المسلمين إلى كامل المنطقة المسماة اليوم بـ « الكويت » وجوارها. فهي كانت مسرحاً للمعركة الشهيرة التي عرفت بمعركة السلاسل وجرت بين جيوش الفتح الاسلامي بقيادة خالد ابن الوليد المخزومي ، سيف الله ، والفرس بقيادة أحد أبرز رجالاتهم وهو هرمز، العام ١٢ هـ/٦٣٣ م.

ومن المناطق الأخرى المهمة في الكويت والتي عرفت عند العرب – المسلمين ، إن في آدابهم أو في معاركهم ، نذكر:

● جبل أوراة الذي اشتهر أيام الجاهلية بسبب الحروب التي دارت حوله بين القبائل والعشائر العربية المتناحرة ، حتى أنهم قالوا مثلاً ، للدلالة على أهمية هذا الموقع ، «يوم أوراة الأول» و «يوم أوراة الثاني» . ومن المفيد الاشارة في هذا المجال إلى ان هناك جبلاً قرب مدينة الأحمدي الحديثة (تبعد عن العاصمة حوالي ٣٦ كلم) ومعروف اليوم باسم «وارة». ولم نتأكد تماماً من كونه هو نفسه جبل أوراة.

● جبل «غضى» الذي هو عبارة عن سلسلة تلال ممتدة من ساحل الكويت بين كاظمة والصبية حتى نهاية منطقة الجهراء.

● منطقة «الرحا» وهي عبارة عن تل غربي الجهراء وتبعد عن العاصمة حوالي ٣٢ كلم تعرف اليوم باسم «الرحية».

وحول موقع الكويت في التاريخ العربي – الاسلامي يقول الدكتور عزة النص : «... لو رجعنا إلى مصنّفات جغرافيي العرب الأول ومؤرخيهم لما وقعنا على ذكر لهذا البلد الفتي. ذلك ان الكويت ، وهي مشتقة عن الكوت – أي الحصن – قد ولدت على شاطئ الخليج في القرن الثامن عشر، عند موقع من الأرض يعرفه القدماء باسم «كاظمة». يقول جغرافينا الحموي ياقوت: «كاظمة جوّ على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان». وتتحدر غالبية السكان من قبائل نجد... وينتمي أمراء الأسرة الحاكمة – آل الصباح – أصلاً إلى قبيلة عنزة التي ينتمي إليها أيضاً آل سعود في نجد وآل خليفة في البحرين. وقد تأسس البيت الحاكم عام ١٧٥٦ على يد الشيخ عبد الله الصباح...»[٥].

أهم المحطات في التاريخ الحديث

برزت أهمية موقع الكويت ضمن منطقة الخليج العربي منذ أوائل القرن السادس عشر. وكما أوضح الصحفي الفرنسي المتخصص في الشؤون العربية بيار روندو[٦] فإن «... البرتغاليين هم أول من لاحظ أهمية الموقع ونوعيته. وبينما اتخذوا جزيرة هرمز، على مدخل الخليج، كمستودع رئيسي غربي الهند وكمركز ضخم لتخزين الأسلحة، بنوا في الكويت موقعاً متقدماً لهم حافظوا عليه طوال أكثر من مئة سنة».

ولا نشك ان الصراع على هذا الموقع المتقدم بين البرتغاليين والاسبان ثم بينهم وبين الأتراك العثمانيين والبريطانيين، لم يستند فقط إلى كون الكويت مجرد نافذة بحرية مهمة في المنطقة ولكن أيضاً بسبب كونها تحتل موقعاً استراتيجياً في جنوبي منطقة الرافدين يشكّل مدخلاً مميزاً وممراً فريداً إلى داخلها.

من هنا نفهم، في صورة أفضل، المنطق الحقيقي لتسلسل الأحداث منذ القرن السابع عشر، عندما تأسست مدينة الكويت، وحتى العام ١٩٦١، تاريخ اعلان الاستقلال السياسي للإمارة. فالبريطانيون أنشأوا أوّل مركز تجاري لهم في الكويت العام ١٧٩٣ تمهيداً لضمها بالكامل إلى مستعمراتها التي لا تغيب عنها الشمس. ولم تفلح في بادئ الأمر سوى في السيطرة الفعلية، غير العلنية، على جزيرة فيلكا منذ العام ١٨٢١.

وفي رأي الدكتور عزة النص (مصدر مذكور سابقاً، ص ١٢٠): «... صمّمت بريطانيا على إجتياز الإمارة الكويتية عندما سمحت تركيا للإلمان بمدّ خط حديد برلين - بغداد الذي كان مقرراً له أن ينتهي في الكويت. ولما اشتد على شيخ الكويت ضغط الأتراك وحلفائهم رضي ان يوقّع مع البريطانيين معاهدة عام ١٨٩٩ والتي تعهّد فيها لقاء حماية صاحب الجلالة ان لا تكون له أية صلة مع دولة أجنبية غير بريطانيا، وأن لا يتصرّف بشبر واحد من أرض إمارته لمنفعة دولة أخرى دون موافقة الدولة الحامية. وأول معتمد بريطاني للكويت جاءها عام ١٩٠٤. وبإتفاقات عامي ١٩١١ و١٩١٣ رُبط التنقيب عن النفط في

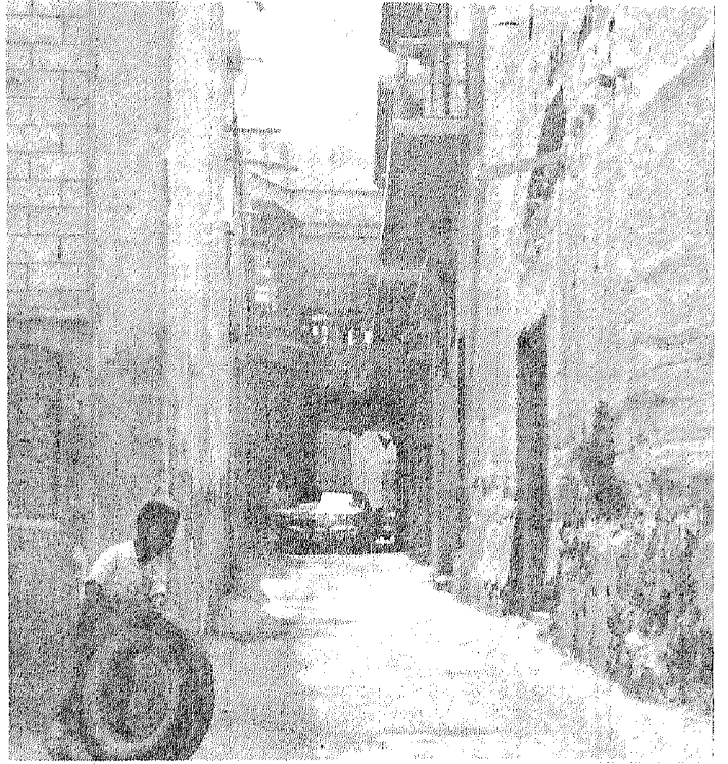


الامارة بمشيئة بريطانيا أيضاً، واعترفت تركيا عام ١٩١٣ باستقلال الكويت تحت الحماية البريطانية وتحت نطاق السيادة العثمانية. وأعيد النظر في العلاقات الكويتية - البريطانية مرة أخرى عام ١٩١٤ ووُضع لها اتفاق شامل نصّ فيه على استقلال حكومة الكويت في إطار بنود الحماية (حتى العام ١٩٦١)...».

ومنذ الاستقلال السياسي للبلاد، دخلت الكويت طوراً جديداً من تاريخها المعاصر يحتل فيه النفط دور المحرك الرئيسي لأحداثه.

الحياة الاجتماعية والمهنية:

من غريب الأمور لدى مقاربتنا لتاريخ الكويت الحديث ان نجد أنفسنا أمام غنى كبير للحياة الاجتماعية والمهنية لسكانها بينما لا نجد أية اشارة تذكر عنها في العديد من المصنفات التاريخية العربية إلا ما يكتب في شكل متناثر هنا وهناك وهنالك، مما يؤكد ان تاريخ هذه الدولة الحديثة يتطلب نبشاً جدياً للمخطوطات المنتشرة في أكثر من مكتبة ومتحف.



الكويت القديمة محافظة على الطابع العربي التقليدي

أول ما يصطدمنا في هذا المجال هو كثرة المساجد والجوامع في هذه البقعة الصحراوية الصغيرة نسبياً. فغداة الاستقلال السياسي كان عددها يناهز الـ٧٣ أما اليوم فيتعدى الـ ١٦٠. كيف نفسر هذه الظاهرة الاجتماعية والدينية المهمة؟

يقول الدكتور شاكر مصطفى، رئيس دائرة التاريخ في كلية الآداب في جامعة الكويت(٧) ان «... وجود هذا العدد الواسع من الجوامع ينبئ عن وجود حياة حضرية طويلة الاستقرار قبل ذلك».

ان لهذا الاستنتاج التاريخي المهم مغزى علمياً يمكن أن يغيّر الكثير من المسلمات المتعلقة بتاريخ شعب الخليج العربي بأسره الذي يوصف في مصنّفات المؤرخين والباحثين الغربيين خصوصاً، وينقل عنهم بعض كتّابنا العرب، بالشعب - البدو الدائم التجوال والباحث عن رزقه ومستقبله من خلال الغارات الأهلية المتواصلة في ما بين مختلف القبائل التي تشكّله.

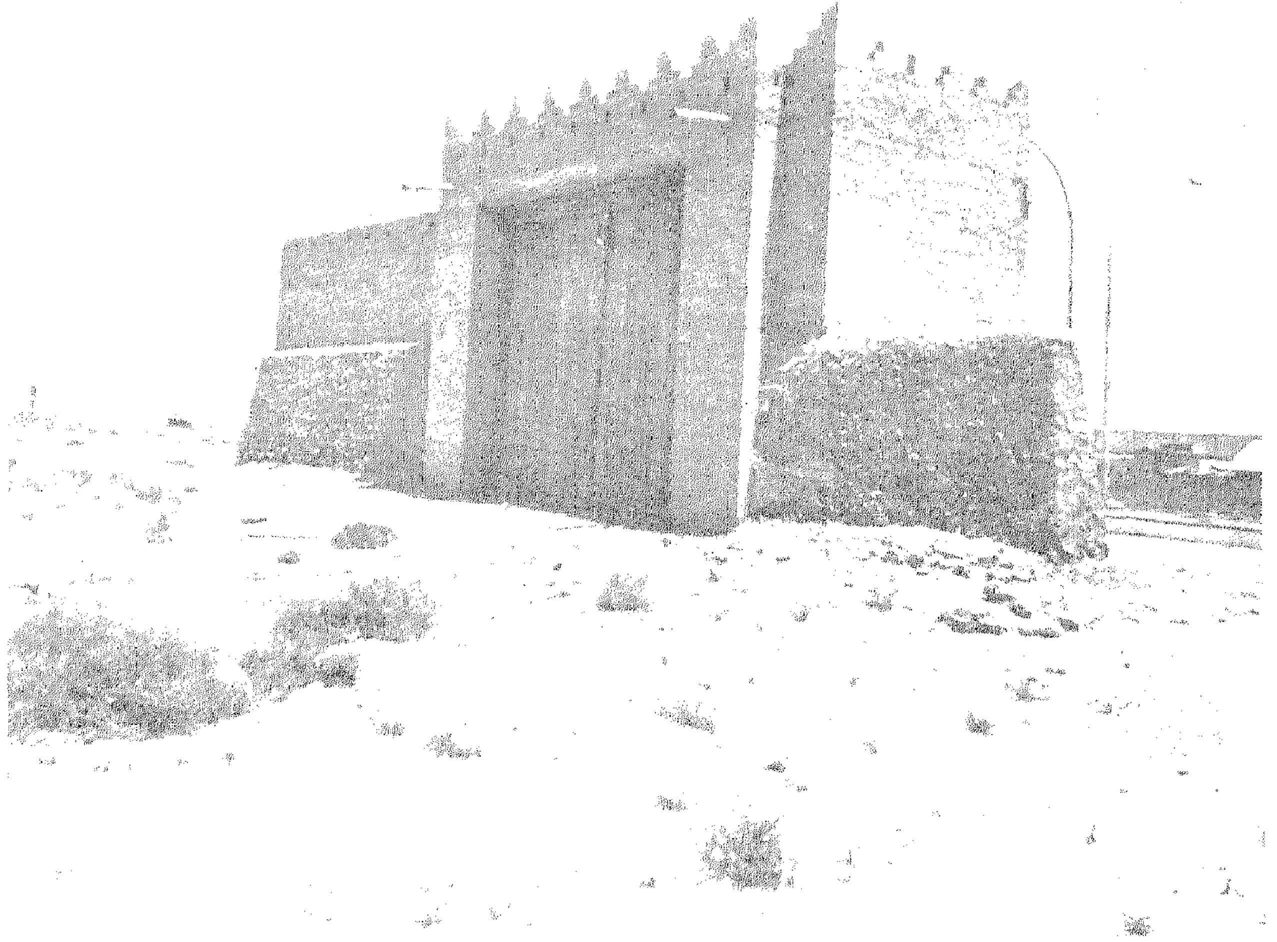
إن استنتاج د. مصطفى هذا استند إلى «مخطوط منسي» يرجع للعام ١٧٧٢م. وكتبه المؤرخ العراقي عبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي ضمن رسالة تحدث فيها عن الحوادث التي شهدها في بغداد والبصرة ومنها الطاعون الذي ضرب العراق في هذا العام مما دفع بالأهالي إلى الهرب إلى الكويت، حيث توزعوا الجوامع الـ ١٤ فيها، وهذا ما حدا بالدكتور مصطفى إلى القول انه «... من المحتمل جداً أن تكون تلك الجوامع من المساجد موزعة حسب مناطق سكنى الأسر الكبيرة التي كانت تشكل قاعدة الكويت السكانية. فهي إذن حوالي ١٤ أسرة كبيرة. ولكل أسرة جامعها الذي بنته في موقع سكناها. ولعل كثرة هذه الجوامع انما نجمت عن تنافس هذه الأسر في التدين ورغبتها في التوازي لا سيما وأن ثرواتها نابعة جميعاً من منبعين مشتركين هما البحر (صيد وتجارة) والبر (نقل ووساطة وحماية)».

الظاهرة الثانية الجديرة بالاشارة إليها هي عراقة صناعة الحرف وغناها وتعددها، وهي كما قال الاستاذ ابراهيم البغلي، مدير إدارة الآثار والمتاحف في وزارة الاعلام(٨) «... جزء من تاريخنا وتراثنا الذي نعتز به ونفتخر... ولا يخفي ان مفهوم هذه الحرف اختلف. فقد كانت مصنوعاتها للاستعمال اليومي أما الآن فان معظم هذه المصنوعات تستخدم تحفاً أو قطعاً من الزينات نجمّل بها محلاتنا وبيوتنا...».

من أشهر هذه الصناعات الحرفية:

- صناعة السفن والأعمال المرتبطة بها كالنجارة، ونسيج الشباك وتفصيل الأشرعة وصناعة أدوات الغوص واللوازم التي تحتاجها عملية الصيد مثل الشباك والفرافير.
- صناعة «البشوت» (جمع «بشت» أي عباءة الرجل) و«الثوب» الخاص بالمرأة الكويتية والتي تلبسه فوق ملابسها في كل المناسبات.
- حياكة الصوف المعروفة عند بدو الكويت بـ «السدو».

الظاهرة الثالثة المهمة في التاريخ الاجتماعي للكويت هي «الأسواق» المتخصصة التي لا نجد مثيلاً لها في بقية العالم العربي. إذ بينما تتميز الأسواق العربية الأخرى بطابعها العام (كسوق سرسق في لبنان قبل ١٩٧٥، وسوق الحميدية في سوريا، وسوق خان



إحدى بوابات الكويت القديمة

الخليلي وسوق الموسكي في مصر، ودرب السلطان في الدار البيضاء في المغرب...)، كنا نجد في الكويت أسواقاً لكل صنف أو مجموعة أصناف استهلاكية وغيرها[9] :

● سوق الحراج حيث تباع مواد البناء والأدوات والمواد التي يستخدمها النجار والحداد[10].

● سوق «البشوت» الذي أقيم وسط سوق «الزّل» (السجاد) وهذا الأخير أقدم من السوق الأول.

● سوق المقاصيص للثريات وأدوات الزينة والزخرفة للمنازل وأدوات الطهو.

● سوق الطيور حيث تباع كل أنواع الدواجن والحمام وعصافير الزينة.

● سوق السلاح حيث تباع اليوم فقط أجربة البنادق وأغمدة السيوف والخناجر.

● سوق الصناديق والحقائب على أنواعها.

● سوق «ساحة الصفاة» الذي يعتبر أقدم

أسواق الكويت ، حيث كان البدو من أهل الكويت يبيعون أغنامهم وألبانهم وزبدهم ومحاصيلهم من أخشاب الوقود ونباتات الصحراء كالكمأة (الكماية).

طبعاً اضافة إلى هذه الأسواق المتخصصة التي كانت تشكل نوعاً من التجمعات والنوادي الشعبية حيث يلتقي القوم ويتناقشون ، نجد الأسواق التقليدية الكبرى مثل «سوق الدعيج» الذي أنشأه التاجر محمد الدعيج حوالي العام ١٨٨٥ م ، و «سوق الغربلّي» على اسم التاجر سيد هاشم الغربلّي ، وهذا السوق الأخير أصبح اليوم يحمل اسم «شارع فلسطين».

والسؤال المطروح بإلحاح : هل نفي تاريخ الكويت حقه إذا تجاهلنا دور الجوامع والمساجد وصناعة الحرف والأسواق المتخصصة والتقليدية في تسطير حقائقه وواقعه؟ ■

هوامش البحث

(١) راجع نشرة «كويتي دايجست» الفصلية الصادرة باللغة الانكليزية عن شركة نفط الكويت ، عدد أيلول/سبتمبر ١٩٧٣ ، ص ٣١ - ٣٣.

(٢) منذ العام ١٩٦٠ استطاعت البعثة الدانماركية للتنقيب عن الآثار ، بعد الحفريات العديدة التي قامت بها ، لا سيما في هذه الجزيرة ، من العثور على آثار عديدة ، تربط هذه البلاد بالعالم الخارجي ربطاً محكماً عن طريق البحر. مثلاً تم العثور من الآثار اليونانية على قوالب لتماثيل صغيرة منها رأس الاسكندر وآلهة النصر وآلهة الجمال ، وعلى نقوش وأعمدة من الطراز اليوناني وقطعة من الحجر نقشت عليها كتابة يونانية واضحة ، وهي تقدمة من الربان اليوناني ستسوليس ، وبحارته إلى بوسيدون إله البحر ، وارتميس حامي البحارة لأنهما انقذاهم من الغرق ، وستوليس هذا هو أحد الربابنة الذين عملوا تحت أمرة نياركسوس أمير البحر الذي كان يقود اسطول الاسكندر الأكبر. وأيدت هذه الآثار الروايات التاريخية التي ذهبت إلى ان أسطول الاسكندر الذي انطلق إلى المحيط الهندي بحثاً عن الاكتشافات الجغرافية في منابع الشمس ، عاد من الهند إلى العراق في ٣٢٦ - ٣٢٥ ق.م ، عن طريق الخليج العربي لسبرغور مياهه واكتشاف مصب الفرات ، وان الاسكندر الذي كان يطمح إلى أن يحمل لقب ملك العالم ، راودته فكرة إفتتاح بلدان الخليج للسيطرة على سواحله ، وتشييد الموانئ والمدن عليه.

(٣) راجع مقاله في مجلة «المشرق» ، العدد العاشر ، السنة السابعة ، ١٩٠٤ ، نقلاً عن دراسة لرياض نجيب الريس بعنوان : «حكاية حكم من العشائرية إلى الديمقراطية» (نشرت في عدد «النهار» الخاص عن الكويت ، أيلول/سبتمبر ١٩٦٩ ، ص ٢٠).

(٤) وتعرف أيضاً باسم «الكواظم» كما أشار إلى ذلك اللواء الركن محمود شيت خطّاب استناداً إلى «معجم البلدان» (ج ٧/ص ٢٠٨) لياقوت الحموي ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٣ هـ.. وهي كما قال : «جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان». (اللواء خطّاب : «قادة فتح العراق والجزيرة» دار الفكر/بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٧ ، ص ١٢٢/هامش ٣).

(٥) راجع كتاب د. عزة النص : «الوطن العربي : الاتجاه السياسي والملامح الاقتصادية» وهو من سلسلة «دراسات عربية» ، اصدار دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٥٩ ، ص ١١٨ - ١١٩.

(٦) راجع مقال بيار روندو بعنوان : «على رغم الاطماع الأجنبية نجحت سلالة آل الصباح في تأمين استقلال الدولة» ، الملحق الخاص عن الكويت الذي أصدرته «الموند ديبلوماتيك» الفرنسية الشهرية (عدد كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٩ ، ص ٢٧).

(٧) راجع مقاله بعنوان «حول تاريخ الكويت : خبر جديد» (مجلة «العربي» الكويتية ، العدد ٢٤٨ شعبان ١٣٩٩ هـ - يوليو/تموز ١٩٧٩م. ص ٣٦ - ٣٩). إستند شاكر مصطفى في معلوماته هنا إلى المخطوط الذي نشره الدكتور عماد عبد السلام رؤوف وقدم له بمقدمة مع تحقيقه ، وهو صدر عن وزارة الثقافة والفنون في بغداد العام ١٩٧٨ بعنوان : «تاريخ حوادث بغداد والبصرة من سنة ١١٨٦ هـ./١٧٧٢ - ١٧٧٨ م».

(٨) راجع التحقيق المصور الذي نشر في مجلة «العربي» الكويتية (العدد ٢٣٩ شوال ١٣٩٨ - اكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٨ ، ص ٩٢ - ٩٩) بعنوان : «صناعات وحرف تقاوم الإندثار».

(٩) راجع الاستطلاع حول «أسواق الكويت بين الأمس واليوم : صفحات من التاريخ باقية وصور من الحاضر حيّة زاهية». نشر في مجلة «العربي» الكويتية ، العدد ١٣٣ ، شوال ١٣٨٩ - ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٩ ، ص ٤٤ - ٥٢.

(١٠) تعني كلمة «الحراج» في اللغة العربية ، كما جاء في الاستطلاع المذكور ، وقوف البضاعة مع الدلال عند ثمن لا مزيد عليه. وسوق الحراج هو سوق الدلالة.

منذ ١٩ عاماً

هكذا فشلت عملية خليج الخنازير

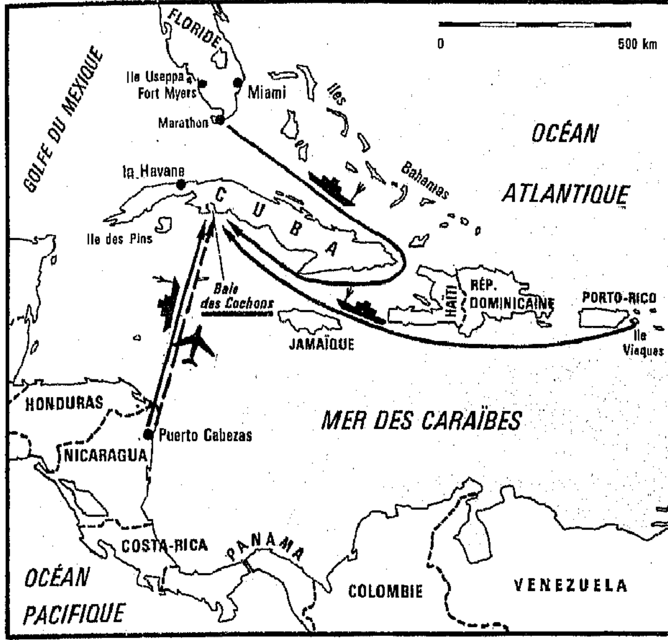
بقلم : برنار بورنج

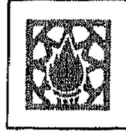
تلخيص واعداد : شذا عدرة

مجلة ايستوريا رقم ٢٣٣ نيسان (ابريل) ١٩٦٦.



خريطة تبين خطة غزو كوبا كما وضعتها الاستخبارات الأميركية للمرتزقة في نيسان ١٩٦١ .





في ليلةٍ ظلماء والبحر الكاريبي يتموج ببطء، كان هناك خمسة رجال ضفادع يرتدون ثياب الغطس السوداء ويستعدون للنزول من الباخرة «لو بلاجار» إلى زورقين مطاطين إتجهوا بهما صوب الشمال . وما لبث ان لاح لهم الشاطئ الأوسط لجزيرة كوبا ، فأدركوا أنهم قد أصبحوا قبالة شاطئ «جيرون» وعلى مقربة من خليج الخنازير الذي أصبح على يسارهم .

إستطاع هؤلاء الخمسة الوصول إلى الشاطئ بعد صعوبات شاقة نظراً للشعب المرجانية القاطعة التي أحاطت بهم من كل جانب . وعند وصولهم سارعوا إلى وضع فانوس لإرشاد رفاقهم الذين كانوا ينتظرون على متن بقية البواخر . وما لبث أن أضيئ الشاطئ فجأة وسلطت أنوارٌ ساطعة على البحر ، ووقفت سيارة جيب على جانب الطريق المجاور تتبعها شاحنة مكتظة برجال الميليشيا .

سارع الرجال القادمون إلى تثبيت بنادقهم الرشاشة وإطلاق النيران في كل إتجاه مما أضاع عليهم كل أمل في احراز مفاجأة تكتيكية .

وفي وسط هذه المعمعة الحربية أخذ بقية الرجال المعادين لكاسترو ورجال الضفادع ينزلون إلى الشاطئ ضمن مجموعات صغيرة بقيادة زعيمهم «بيب سان رومان» الذي كان أمامه مهمات جسام . فالأميركيون كانوا قد أكدوا بأن شاطئ جيرون ، موبوء ومليئ بالمستنقعات وخالٍ من السكان ، وها هو يرى أمامه منازل عديدة قد شيدت حديثاً . ولكن بالرغم من ذلك ، فقد أمر بإرسال فرقة لإحتلال مطار جيرون .

على بعد عدّة أميال إلى الغرب من جيرون ، إصطدمت مجموعات أخرى من المنفيين الكوبيين لدى نزولهم إلى الشاطئ في عمق خليج الخنازير ، برجال الميليشيا الذين كانوا بإنتظارهم فعَلَتْ أصوات القذائف والرصاص .

وعلى متن الباخرة هوستن كان «أولفا» النائب الثاني لزعيم المنفيين واقفاً يشاهد الخطر المحدق برجاله ، فقرر النزول إلى أرض المعركة وتنشيط العمليات العسكرية . إلاّ أنّه ما أن وطئ أرض الجزيرة حتى وجد هوائياً لمحطة إرسال ذات موجاتٍ قصيرة وكانت خالية تماماً من رجال كاسترو الذين من المؤكد بأنهم قد أخطروا هافانا بأمر الغزو .

طائرات كاسترو تتدخل :

عند بزوغ فجر اليوم التالي ، وبينما عمليات الإنزال كانت تتوالى دون إنقطاع . إذا بطائرات حربية تابعة لكاسترو تقصف المتمردين والسفن الراسية على الشاطئ .

وإلى الشرق قليلاً ، تجاه جيرون ، أصابت طائرات كاسترو القاذفة ، السفينة «ريو اسكند يدو» المحملة بالذخائر وبالقسم الأكبر من أجهزة الإرسال وفجرتها فكانت هذه بمثابة كارثة بالنسبة للغزاة، وأمام هذا الواقع ، إنسحبت بقية السفن إلى عرض البحر وبدأ قادة المتمردين يشعرون بالقلق . وهنا برز تساؤل رئيسي : هل سيستطيع الأميركيون مواصلة المساعدة لهم ؟ أم انهم سينفضون يدهم من هذه العملية بعد أن رأوا بدايتها الفاشلة ؟ .

الرقم ٢٥٠٠ :

وبالرغم من أنَّ واشنطن كانت تنفي رسمياً علاقتها بعملية الغزو ، إلاَّ أنَّ الواقع كان يدحض ذلك ! فالإستخبارات الأميركية (سي . آي . إي) كانت قبل سنة قد وعدت جبهة الثوريين الكوبيين (المنفيين) بالمساعدة ، فأقامت لهم مخيمات تدريب في «غواتيمالا» وذلك مع قبول وإستحسان الرئيس إيزنهاور .

وعلى إثر ذلك ، تزايدت أعداد المنشقين بسرعة ، وأعطي كل رجل منهم رقماً وهمياً ، فالأول مثلاً كان يحمل رقم ٢٥٠٠ ، وذلك لإخافة كاسترو عندما يعلم بأمر تلك المجموعة .

ومن جهة ثانية ، قامت الإستخبارات الأميركية بالإتصال برجال المقاومة المعادين لنظام كاسترو داخل الجزيرة نفسها .

وبعد إنتخاب جون كنيدي لرئاسة الولايات المتحدة ، إنتقلت الفرقة ٢٥٠٦ إلى بويرتو كابيزاس في نيكاراغوا ، ونزلت في منطقة تسمى الوادي السعيد .

وقد ألحق بهذه الفرقة أسطول بحري وقوات جوية ضخمة مؤلفة من طائرات أميركية قديمة وضعت جميعها بتصرف الكوبيين المنفيين الذين كانوا يواصلون تدريباتهم إستعداداً لغزو الجزيرة .

وعلى الرغم من موافقة واشنطن على مد يد



خروتشيف .

المساعدة للمتمردين ، إلاَّ أنَّ حكومتها قررت أن تتجاهل رسمياً إستعدادات الإنزال البحري .

وقام رجال الإستخبارات الأميركية بعقد إجتماعات متواصلة مع قادة المنفيين من أجل تحديد نقاط الهجوم على الجزيرة . وأخيراً تمَّ اعتماد نقطتين على الساحل الجنوبي وجدتا بأنهما مناسبتان لذلك الأمر . الأولى كانت نقطة بلايا لارجا في عمق خليج الخنازير ، والثانية هي بلايا جيرون .

كان الأميركيون يتوخون الاعتماد على عنصر المفاجأة ، إذ إعتقدوا أنه يستحيل على كاسترو توجيه ضربة قوية ضد عملية الانزال والهجوم على الجزيرة ، وذلك لأن فرقة العسكرية تبعد كثيراً عن نقاط الإنزال المختارة . واتفق على أن يقيم «بيب سان رومان» مركز قيادته العامة في جيرون .

وساد تفاؤل بأن معاضدة الشعب «لجبهة التحرير» ستكون سريعة دون أدنى شك .

أما العقبة الرئيسية أمام عملية الغزو . فكانت تكمن في تدخل الطيران الكوبي ، لذلك ومن أجل شلّ قدرته ، قامت في صباح ١٥ نيسان (إبريل) طائرات تحمل إشارات سلاح الجو الكوبي للتمويه وقصفت مطارات لوس بانوس ، قرب هافانا ، وسانتياغو دوكوبا ، ومخيم ليبرتاد ، في ضاحية هافانا . ودمرت من جراء ذلك اعداداً كبيرة من



فيدبل كاسترو وهو يلقي خطاباً.

طائرات كاسترو.

ومن ثمَّ عاد الطيارون إلى قواعدهم في نيكاراغوا مسرورين بما حققوه. ولكنهم لم يعلموا بأن كاسترو. كان قد شكَّ بعملية من هذا النوع. فوضع أفضل طائراته النفاثة المقاتلة من نوع ت – ٣٣ في الملاجئ. وأبقى الطائرات المعطلة في المطارات الحربية.. وقد كانت هذه خدعة فعَّالة من كاسترو.

قام كاسترو بعد إغارة طائرات المتمردين على المطارات الكوبية. يتهم الأميركيين بأنهم وراء تلك العملية. إلاَّ أنَّ المخابرات الأميركية كانت قد إستعدَّت لذلك من قبل ووضعت مخرجاً لهذا الموضوع إذ أعلنت بأن الطائرات المذكورة كان يقودها ضباط كوبيون معادون لنظام كاسترو وانهم قاموا بقصف المطارات الكوبية قبل إلتجائهم إلى الولايات المتحدة الأميركية.

في الأمم المتحدة:

عقدت الجمعية العامة جلسة طارئة لبحث موضوع الغارات على الأراضي الكوبية في ذات اليوم أي ١٥ نيسان (ابريل). واتهم مندوب كوبا «راووك روا» أميركا بالإعتداء على الأراضي الكوبية. وطلب المندوب السوفياتي «زورين» عقد جلسة طارئة للجنة السياسية للأمم المتحدة. في حين قامت في شوارع نيويورك تظاهرات نظمها مؤيدو كاسترو. رفعوا خلالها لافتات كتب على البعض منها «الأميركيون القتلة».

وعندما ردَّ المندوب الأميركي «ادلاي ستيفنسون» على اتهامات المندوب الكوبي أبرز صوراً للقاذفات العائدة من ضرب المطارات الكوبية. وقد ظهر عليها بوضوح إشارة نجمة كوبا مع الأحرف الأولى لإسم «القوات الجوية الثورية الكوبية».

قام كاسترو في تلك الأثناء يستنفر الشعب في كوبا ضد الحكومة الأميركية. وقدم الإتحاد السوفياتي من جهته. احتجاجاً شديد اللهجة بواسطة مندوبه على ما يتعرض له النظام الجديد في الجزيرة الكوبية.

وقد ظهرت نتيجةً لهذه الحملة الإعلامية العدائية بوادر حاسمة. ففي صباح الأحد ١٦ نيسان (ابريل) تلقى مدير المخابرات الأميركية المساعد «ريتشارد بيسيل» أمراً من الرئيس كنيدي بإلغاء الهجوم الجوي الثاني. والذي كان مقرراً صبيحة يوم الإنزال البحري على الجزيرة. إذ كان من المستحيل اقناع الرأي العام العالمي مرة ثانية بأن مجموعة أخرى من الطيارين الكوبيين قد تمردت.

وهذا التراجع من الرئيس كنيدي. ستكون له عواقب وخيمة على عملية الغزاة المنفين إذ انهم بمجرد أن يطأوا الشاطئ الكوبي سيعلمون بأن طائرات كاسترو المقاتلة وخاصة طائرات ت ٣٣ لا تزال في وضع جيد. وهي التي ستلحق بهم خسائر جسيمة. إلى جانب هذا التراجع. هناك خطأ جسيم آخر ارتكبته الإستخبارات الأميركية (سي. آي. إي) بحق المنفيين الكوبيين. وهو انها لم تُخطر رجال المقاومة المعارضين لحكم كاسترو في الداخل. بموعد الغزو. مما أتاح المجال أمام كاسترو للقبض على الآلاف منهم وإعدام زعيمهم. ومن ثمَّ أمر بإعلان حالة الطوارئ في البلاد. وبوضع لافتات كبيرة على جميع الطرقات الرئيسية. كتب عليها «الموت للمعتدي».

شاحنات صغيرة وسيارات إسعاف:

في صبيحة اليوم الموعود. ١٧ – نيسان (ابريل). لم تجد كتيبة الغزو نفسها في وضع ميؤوس منه بالرغم من صعوبة الموقف. فبإعتمادها على طائرات ب ٢٦ المقاتلة. لم تجد عناءً كبيراً في التخلص من رجال الميليشيا الأوائل الذين تصدوا لها. إلاَّ أن صعوبة التمييز بين الأعداء والأصدقاء

خلال المعارك التي كانت تجري بين السكان المدنيين . أضفى طابع الفوضى والغموض على جوها .

ومثال على ذلك ان المتمردين قد شاهدوا سيارتي إسعاف تابعتين للصليب الأحمر . لسحب جرحى الميليشيا من أرض المعركة . فتركها «ماكسيمو كروز» قائد إحدى مجموعات الغزو تقترب . إلى أن رأى خلفها مجموعة من الشاحنات الصغيرة المحملة بالجنود . فأمطرها عندئذٍ بوابل من الرصاص إخترق جميع جوانب سيارتي الإسعاف . وقد تمكنّ رجال كاسترو من إلتقاط صورٍ لتلك الحادثة . قدموها فيما بعد إلى الرأي العام العالمي للدلالة على مدى همجية الغزاة وعدم إنسانيتهم .

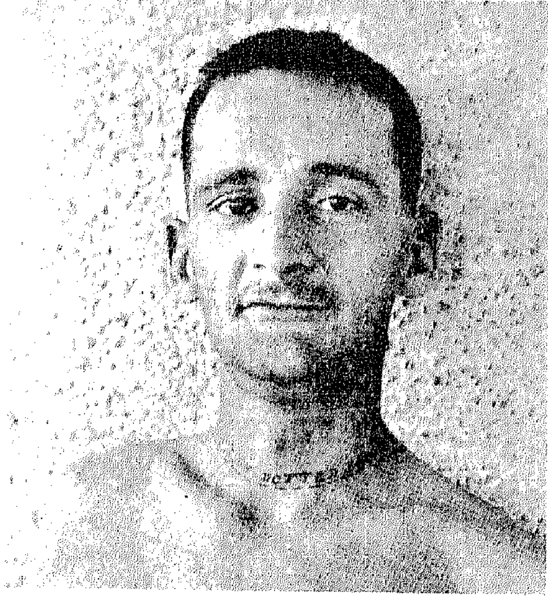
وخلال تلك المعارك . كان راديو الغزاة يبث الأناشيد الحماسية ويعد الكوبيين بنصر قريب .. «لقد اتى جيش التحرير .. أيها الكوبيون إنَّ النصر لقريب» ..

كل ذلك لم يكن سوى إغراقاً في التفاؤل ، إذ أنه مع بداية اليوم التالي ، تحول ميزان القوى لصالح ميليشيات كاسترو التي انزلت عدداً كبيراً من الشاحنات الناقلة للجنود ، تدعمها دبابات ستالين ، وصفوف طويلة من فرق المشاة فإضطر «أوليفا» إلى ادخال مجنزراته لدعم موقف قواته الا أن ذلك لم يجد نفعاً ، إذ إستمر وضع المتمردين في تدهور مستمر خاصة وان البحر كان يحاصرهم من الخلف .

وهكذا تحول خليج الخنازير إلى كتلة ملتهبة من النار والحديد واصبح وضع الغزاة ميؤوس منه فلم يعودوا قادرين على التراجع وعلم أنه قد قتل منهم ٣٧٠ رجلاً .

وفي الوقت الذي كانت فيه الهزائم تتوالى على المتمردين ، كان كاسترو لا يزال يرسل قواتٍ نظامية أخرى . عند ذلك لم يجدْ أوليفا بُدّاً من الإنسحاب نحو جيرون للانضمام إلى «سان رومان» الذي لم يكن وضعه بأفضل من وضع نائبه .

وعلى أثر وصول تلك الأنباء إلى واشنطن ، عقد الرئيس كنيدي إجتماعاً طارئاً مع مستشاريه الذين أبلغوه بأن عملية كوبا تسير نحو الفشل الذريع . وقد أصرّت بالمقابل أجهزة الإستخبارات الأميركية على ضرورة توفير المساعدات للمتمردين الذين يقاتلون على أرض الجزيرة .



أحد الكوبيين المرتزقة بعد اعتقاله .

أما بالنسبة للرئيس الأميركي ، فقد كانت المشكلة مقلقة : فخروتشيف اتهم صراحة واشنطن بدعم المتمردين ، وتيتو طلب من الأمم المتحدة وقف العدوان وعبد الناصر وقف إلى جانب كاسترو في صراعه ضد الأميركين .

كثرة الأخطاء :

وافق الرئيس كنيدي بعد تردد ، على عقد إجتماع لرؤساء الإستخبارات الأميركية ، اتفق فيه على أن تقوم الطائرات النفاثة المنطلقة من حاملة الطائرات ايسكس (Essex) بالتحليق فوق الشواطئ الكوبية لدعم طائرات المتمردين التي تكون في حالة المواجهة مع طائرات كاسترو المقاتلة . وذلك لمدة ساعة فقط على أن تخفي الطائرات الأميركية إشاراتها للتمويه .

وحدد موعداً لتلك العملية وهو فجر الأربعاء ١٩ نيسان (ابريل) ، وهو الوقت الذي ستكون فيه الطائرات الآتية من نيكاراغوا تحلق فوق الشواطئ الكوبية . ولكن ... حدث ما لم يكن متوقعاً ، إذ أن الطائرات الأميركية لم تصل إلى سماء المعركة في الموعد المحدد . وتبيّن فيما بعد أن ذلك كان نتيجة خطأ في التوقيت .. ولم يُعطِ الأميركيون أية تفاصيل حول أسباب هذا الخطأ .. الفادح ..



جون كنيدي

روبرت كنيدي

دخلت المعارك يومها الثالث ، الذي بدأ سيئاً للغاية بالنسبة للمتمردين . ففي شمالي جيرون حيث كان المظليون التابعون للغزاة يقاتلون ضد قوات كاسترو المتفوقة بشكل ملحوظ ، قد أخذوا يتراجعون أمام الدبابات الروسية ، واخذ سان رومان يبعث برسائل الإستغاثة إلى نيكارغوا ، «هل تأخذون بعين الاعتبار أن وضعنا ميؤوس منه ؟»... «أين الحماية الجوية التي وعدتمونا بها ؟»... «اني بحاجة لدعم جوي سريع ». لكن هذه النداءات لم تلق آذاناً صاغية ، في حين كان القتال الدموي مستمراً .

الفشل الذريع :

أدرك أخيراً كل من سان رومان ونائبه أوليفا ، ان الوضع قد أخذ يزداد حراجة دقيقة بعد دقيقة ، وقد حاول زعيم المتمردين الدفاع عن جيرون ولكن دون جدوى ، وبدأت الذخيرة تنفد ...

أما في واشنطن فقد كان كنيدي يتلقى الأنباء الواردة من كوبا بقلق بالغ وأدرك في النهاية بأن الوضع قد إنتهى ، فأعطى أوامره ... بأن تتوجه مدمرّتان إلى الشواطئ الكوبية لإجلاء من بقي حياً من كتيبة الغزاة على أن تقوم طائرات بالتحليق فوقها من أجل الحماية .

انتهت عملية الغزو بفشل ذريع : المتمردون أضناهم التعب والإرهاق وأصبحوا في وضع لا يحسدون عليه . وسان رومان اعطى أوامره بالتفرق . وهكذا إنتهى كل شيء والذين لا يستطيعون الإبحار سوف ينتشرون في المستنقعات وبين الأدغال .

شاحنة الموت :

بالنسبة للتعساء الذين عجزوا عن مغادرة الجزيرة ، لم تكن هذه سوى البداية ، إذ تاهوا أياماً عديدة في مناطق مخيفة كانت ملأى بالمستنقعات وبالحميات والحيوانات السامة . أو في مناطق هضبية جافة ملأى بالصخور .

ومع مرور الأيام . كان وضعهم يزداد مأساوية . فهم كانوا يدركون . بأنهم لو أسروا سيعدمون رمياً بالرصاص . ولكنهم كانوا يعلمون جيداً أيضاً . بأنهم إذا بقوا مختبئين سيموتون جوعاً وعطشاً .

اصدر كاسترو أوامره بعدم إطلاق النار على الأسرى ، بغية القاء القبض عليهم وعلى قادتهم أحياء ولم يدم انتظاره طويلاً . إذ ما لبث أوليفا أن وقع بأيدي رجال الميليشيا الذين وجدوه في حالة إعياء شديد وعلى شفير الموت . واقتيد إلى هافانا حيا حيث وجهت إليه تهمة خيانة وطنه .

وبعد يومين من إعتقال أوليفا ، استطاع رجال الميليشيا أن يأسروا سان رومان بينما كان متوجهاً ليروي ظمأه من أحد الينابيع .

أما الزعيم الثالث لفرقة الغزو المدعو آرتيم فقد قبض عليه بعد اسبوعين قضاهما تائهاً في المستنقعات ، وقد أصبح هزيلاً لدرجة أنَّ الذين قبضوا عليه لم يستطيعوا التعرف عليه في الحال .

عرض مغرٍ :

لم تنته عملية الغزو الفاشلة عند هذا الحدّ فقط ، إذ نجد كاسترو ، بعد اسابيع من انتصاره يتقدم إلى الأميركيين بعرضٍ فيه الكثير من الغرابة ، وهو ارسال ٥٠٠ جرّار زراعي مقابل إطلاق سراح جميع الأسرى . وليؤكد على صحة نواياه ، أطلق سراح عشرة من الأسرى وسمح لهم بمغادرة كوبا إلى الولايات المتحدة الأميركية .

وعندما علم المناوئون لكاسترو في القارة الأميركية بهذا العرض ، الفوا لجنة دعوها «لجنة الجرارات مقابل الحرية» كانت مهمتها دراسة شروط كاسترو لإطلاق سراح الأسرى .

وفي الواقع ، لم يكن ذلك بالأمر السهل ، فالعلاقات الديبلوماسية كانت مقطوعة بين كوبا وواشنطن ، وبالتالي فإدارة البيت الأبيض لا تستطيع القيام بأيٍّ مسعى في هذا الإتجاه ، على الرغم من أن كنيدي كان مهتماً بهذه المبادرة ، غير أنَّ خصومه السياسيين انتهزوا هذه الفرصة لإحراج موقف حكومته ورفضوا فكرة خضوعها لإبتزاز الدكتاتور الكوبي .

لم تتم عملية التبادل . مما أزعج كاسترو الذي كان يرغب في جرّ الولايات المتحدة إلى الإعتراف بمسؤوليتها عن المتمردين وتحمّل التعويض عن الخسائر التي الحقتها بالأمة الكوبية .

أما في واشنطن ، فقد شرح كنيدي وجهة نظره بصدد المبادلة ، وأكد على أن الحكومة الأميركية لا يمكنها القيام بأي عمل بشأن مفاوضات التبادل ولكنه حث الشعب الأميركي على التبرع مادياً من أجل اتمام صفقة التبادل ودفع «فديتها الغريبة» وأعلن بأنه سيعفي جميع الأموال المدفوعة لهذا الغرض من الضريبة .

وأخيراً ، تلقى كاسترو ردَّ واشنطن بانها سترسل له مقابل الأسرى ٥٠٠ جرار زراعي خفيف . فإحتج على ذلك إحتجاجاً شديداً ، وذكّر بأنه طلب بولدوزرات من النوع الثقيل وليس جرارات خفيفة . ولكن في النهاية قبل الجرارات المذكورة على شرط أن يكون ثمنها مساوياً لثمن خمسمائة جرار ثقيل عندئذٍ عادت المفاوضات لتتعثر من جديد .

المحاكمة :

ومضت الشهور ، ولم تبدُ في الأفق تباشير أيّ حل ، .. وحلّت في الولايات المتحدة جمعية «الجرارات من أجل الحرية» .

أما في كوبا ، فقد نقل الأسرى إلى سجن «قصر الأمير» قرب العاصمة وقد إزداد تشاؤمهم حول المصير الذي ينتظرهم .

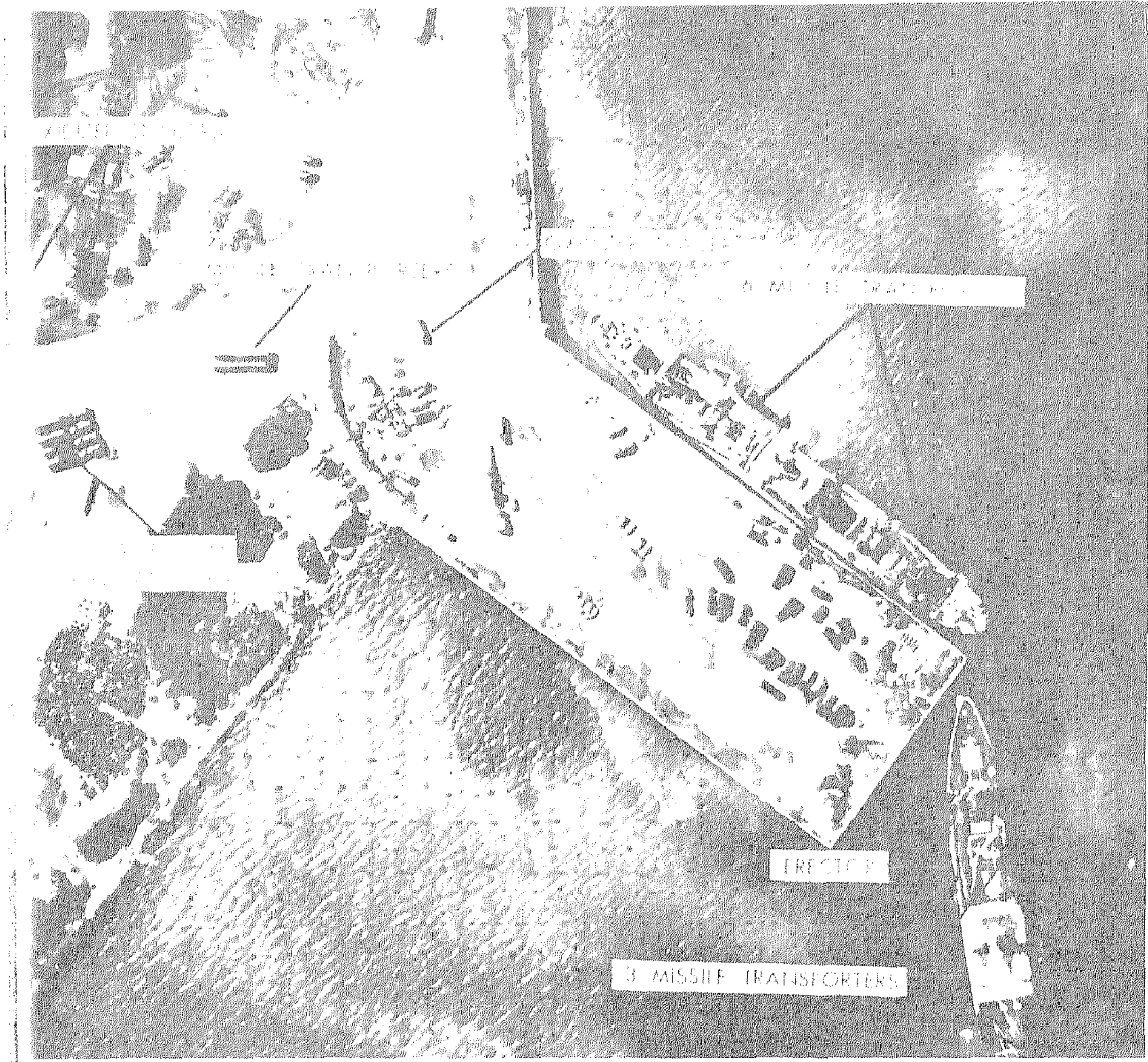
وفي اذار من عام ١٩٦٢ ، أعلنت الحكومة الكوبية ، بأنه نتيجة عدم التوصل لأي حل ، مما يدل على أن حكومة الولايات المتحدة لم تُعرْ إهتماماً للعرض الذي قدمته كوبا بشأن تحرير الأسرى ، فإن هؤلاء سوف يقدمون للمحاكمة بصفتهم مرتزقة خونة لوطنهم ومجرمي حرب .

وبالفعل بدأت في ٢٩ اذار (مارس) محاكمة ١١٨٠ أسيراً . وقد جرت المحاكمة على مدى اسبوع كامل ، وفي يوم السبت ٧ نيسان (ابريل) حضر كاسترو بنفسه إلى حيث تقام الجلسات لإعلان الحكم .

أدين الجميع بجرمهم ، وحكم عليهم بالسجن مدة ثلاثين عاماً . ولكن أتيحت لهم فرصة التحرر في حال دفعهم لفدية مقدارها ٦٢ مليون دولار . وقدرت فدية كل واحد من الزعماء بـ ٥٠٠ ألف دولار ، أما الباقون فتتراوح فدية كلٍّ منهم بين ٢٥ و ١٠٠ ألف دولار .

وصل الخبر سريعاً إلى الولايات المتحدة . وفي يوم ١٩ نيسان (إبريل) ذكرى مرور سنة على الغزو الفاشل لكوبا ، بدأت حملة واسعة لجمع المال لدفع ما سموه بالتعويض . بينما كان كاسترو يحتفل في كوبا بذكرى انتصاره ، فأقام عرضاً عسكرياً رائعاً وسمح بإطلاق سراح ٦٠ أسيراً من الجرحى والمرضى وإرسالهم إلى الولايات المتحدة .

وقد تمَّ أيضاً فك أسر بعض السجناء ممن كانت فديتهم لا تتسم بالضخامة ، وعن طريق بعض المبادرات الشخصية .. أما الباقون فقد كان عليهم الانتظار .



صورة من الجو تظهر عملية انزال الصواريخ البروسية في مرفأ ماريل وانشاءات اطلاقها داخل الجزيرة.

وقد نقل في تلك الأثناء كل من أوليفا وسان رومان وعدد من رفاقهم إلى قلعة ضخمة في «جزيرة الصنوبر».

وقد كان هؤلاء الأسرى يجهلون أنَّ قضيتهم قد انتقلت إلى يد أحد المحامين البارعين المدعو جيمس دونافان الذي كان معروفاً لدى الجمهور الأميركي على إثر اشتراكه في محاكمات نورمبورغ.

ابتدا دونافان مفاوضاته مع كاسترو شخصياً. وقد نجح في اقناعه بفكرة أن تكون فدية الأسرى عبارة عن مواد غذائية وأدوية. ولكن عادت فنشأت صعوبات أخرى جديدة. تمثلت في كيفية نقل هذه المواد، إذ كان يفترض ان تنقلها أعداد كبيرة من السفن، ولكن واشنطن رفضت أن تدخل في عملية من هذا النوع. ولذا كان يجب التفتيش عن حلّ أخر لهذه العقدة. وجدير ذكره، أنَّ كاسترو كان قد فضل الأدوية والمعدات الطبيّة على المواد الغذائية.

ومما زاد الأمور تعقيداً، هو ظهور أزمة جديدة بين كوبا وواشنطن، كانت أشد وأعنف من سابقاتها. وسببها قواعد الصواريخ الروسية في كوبا.

وعلى أثر تأزم الأحوال بين البلدين. أبلغ سجناء جزيرة الصنوبر، بأنه إذا ما وطئت الجيوش الأميركية أرض كوبا فإنهم سيقتلون في الحال.

إنتهت قضية الصواريخ بسلام، واستؤنفت المفاوضات بشأن الأسرى وفديتهم. وتسلَّم روبرت كنيدي هذه المرة، زمام المبادرة واهتم كثيراً بقضية الأسرى، مما أثلج صدور الكوبيين في الخارج.

وأخيراً وصلت في أوائل شهر كانون الأول (ديسمبر) أول دفعة من المواد الطبيّة إلى كوبا بإشراف الصليب الأحمر، وبدأ تسلم الأسرى تباعاً.

وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه، أخرج

زعماء عملية الغزو الفاشلة من أقبيتهم في جزيرة الصنوبر وسمح لهم بالإغتسال وأرسلوا في اليوم التالي إلى هافانا حيث التقوا رفاقهم أسرى – قصر الأمير – ليغادروا كوبا على دفعات إلى الولايات المتحدة.

ونزولاً عند تمنيات المحامي دونافان. قبل كاسترو بخروج عائلات الأسرى المحررين من الجزيرة. وكان في الحقيقة يعتبر خصومه السياسيين هؤلاء انهم «أفواه لا فائدة منها» يأكلون خبز المواطنين الصالحين.

وقبل مغادرة دونافان الجزيرة، جرى بينه وبين كاسترو الحوار التالي:

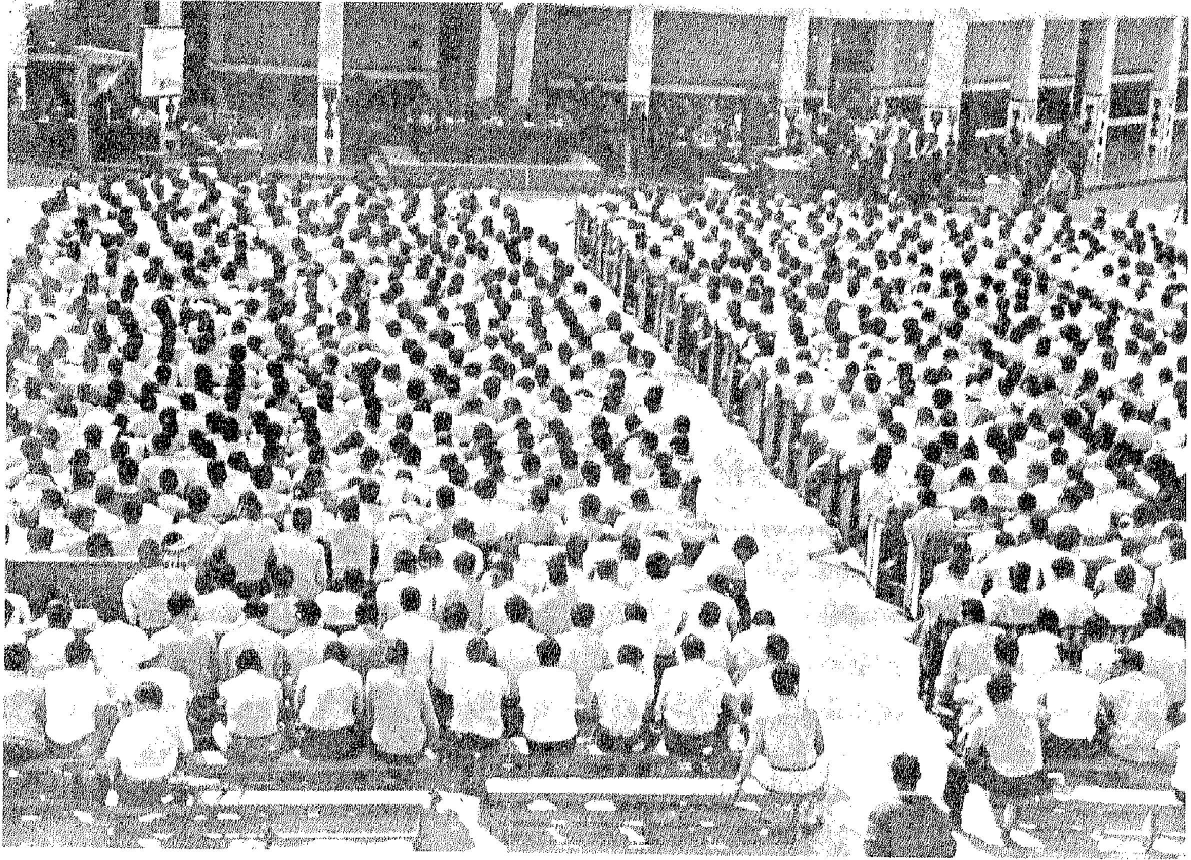
– سيدي رئيس الوزراء، لقد فكرت كثيراً بما فعلته أنا للشعب الكوبي منذ أسابيع، لقد خلّصتك من الأشخاص الذين كانوا يشكلون عليك عبئاً ثقيلاً. وقمت بمساعدة أطفال كوبا الصغار وفقرائها وعجائزها. لذا أعتقد بأنني سأترشح ضدّك في الإنتخابات القادمة، ولي املٌ كبير في الفوز.

وفكر كاسترو قليلاً ثم أجابه:

– سيدي، انك على حق، ولذلك لن تجري الإنتخابات أبداً. وضحك الرجلان...

■

محاكمة ١١٧٩ من أسرى الغزو الفاشل لكوبا





● نعم نحن لسنا باوصياء على الأمة بل وكلاء عنها، ولكن و كلاء أمناء، فيجب علينا أن نؤدي لأمتنا الأمانة كما أخذناها منها.

سعد زغلول



وثيقتان بريطانيتان سريتان

د. فايز صايغ

ننشر في هذا الباب تعليقاً للدكتور فايز صايغ على وثيقتين جديدتين صدرتا عن وزارة الخارجية البريطانية بشأن قضية فلسطين كانت قد نشرته مجلة حوار، العدد الثاني ك ٢ – شباط (يناير – فبراير) ١٩٦٤. ونظراً لأهمية هاتين الوثيقتين تعيد مجلة تاريخ العرب والعالم نشرهما في باب «وثائق من التاريخ»، وتسمح لنفسها حذف ما يتعلق بالتذكير بالحوار العربي – البريطاني فيما يتعلق بفلسطين في مراسلات حسين – مكماهون نظراً لأن القارىء يجد نصوص هذه المراسلات في العديد من الكتب.

– في أهمية الوثيقتين



أتاحت لي ظروف خاصة، منذ زمن ليس ببعيد، أن أطلع على عدد من الوثائق الرسمية، الصادرة عن وزارة الخارجية البريطانية منذ أربعة وأربعين عاماً، والتي لما يزل امر وجودها محاطاً حتى اليوم بجدار كثيف من السرية والكتمان.

وهذه الوثائق – التي يزاح الستار عن وجودها ومحتواها في هذا المقال للمرة الأولى منذ صدورها، والتي سترى بعض فقراتها نور العلانية لأول مرة، في اية لغة، على هذه الصفحات – ليست بالوثائق الميتة، التي طمست السنون اهميتها، وانما هي تتصل اتصالاً مباشراً بقضية حية نابضة، لا زالت الى اليوم في طليعة القضايا التي تثير الوجدان العربي، اعني بها قضية فلسطين.

تحفظ هذه الوثائق اليوم في مكتبة امريكية خاصة، تابعة لـ«معهد هوفر للحرب والثورة والسلام»، الذي يقوم في مبنى ضخم في مدينة ستانفورد الواقعة جنوبي سان فرانسيسكو (بولاية كاليفورنيا الامريكية)، ويرتفع برجه من وسط اراضي جامعة ستانفورد المنبسطة على ساحل الخليج ليزاحم الهضاب الساحلية المحيطة به على مناطحة السحب.

وقد انشىء المعهد، بادىء ذي بدء، لايواء الوثائق والأوراق العامة والخاصة التي اودعها فيه هربرت هوفر، احد رؤساء المعاهد الامريكية التي انشأت فروعاً خاصة بالمراجع المتعلقة بالشرق الأوسط؛ وقد يكون فرع الشرق الأوسط فيه من اغنى المجموعات المماثلة في امريكا.

ويحتوي «فرع الشرق الأوسط» في «معهد هوفر» على نيف وتسعة آلاف مجلد، من كتاب ونشرة ومخطوطة، وعلى مجموعتين مستقلتين، تحمل احداهما اسم «مجموعة وسترمان» نسبة الى البروفسور وليم لين وسترمان الذي كان استاذاً للتاريخ في جامعة كولومبيا ثم انتدب عضواً في البعثة الأمريكية الرسمية

الى مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس في اعقاب الحرب العالمية الأولى.

وجميع الوثائق التي تضمها «مجموعة وسترمان» هذه، وثائق حكومية رسمية صادرة عن وزارة الخارجية البريطانية، حصل عليها صاحب المجموعة - بطريقة أو بأخرى - من احد اعضاء الوفد البريطاني لدى مؤتمر الصلح، واحتفظ بها ثم اودعها في «معهد هوفر»، مشترطاً المحافظة على سريتها ما دام هو على قيد الحياة.

وقد جاء في كتاب نشرته جامعة ستانفورد في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ عن «معهد هوفر» وصف موجز لمحتويات «مجموعة وسترمان»، ورد فيه أن هذه المجموعة تضم «بيانات حول السياسة البريطانية، وتقارير صادرة عن الاستخبارات البريطانية، اعدت وجمعت لتكون في متناول الوفد البريطاني الى مؤتمر الصلح بباريس»؛ وان كل ما في المجموعة من وثائق «لم تصرح الحكومة البريطانية بنشره حتى الآن» (ص ٤٢ من كتاب «معهد هوفر»).

ويطيب لي ان أعبر هنا عن شكري للدكتور غلين كامبل مدير «معهد هوفر» الذي أذن لي (في خطاب بتاريخ ١٧ تموز يوليو ١٩٦٣) بنشر بعض المقتطفات الوثائق «ما دام الخطر قد زال بوفاة البروفسور وسترمان».

في وصف الوثيقتين

بين الوثائق التي تضمها «مجموعة وسترمان»، اثنتان تعنياننا مباشرة في هذا المقال.

الوثيقة الأولى تقع في عشرين صفحة، مطبوعة، على ورق بحجم الفولسكاب. وعلى رأس صفحتها الأولى بيان يقول: «ان هذه الوثيقة هي ملك حكومة صاحب الجلالة البريطانية». وتحت هذا، وعلى الجانب الأيسر، عبارة «سري»؛ وعلى الجانب الأيمن، اسم الجهة التي صدرت الوثيقة عنها، وهي: «ادارة الاستخبارات السياسية: وزارة الخارجية» ثم رقم الوثيقة: «خاص - ٣». ويأتي بعد ذلك عنوان الوثيقة الرسمي، وهو: «مذكرة حول الالتزامات البريطانية نحو الملك حسين». وسنشير الى هذه الوثيقة، في هذا المقال، بكلمة «المذكرة».

وتقسم المذكرة الى ثمانية فصول، تحمل العناوين الآتي بيانها:

١ - «ضمانات عامة حول عدم عودة الوضع الراهن» (صفحة ١ - ٢).

٢ - «ضمانات بشأن الأماكن الاسلامية المقدسة» (صفحة ٢ - ٣).

٣ - «تخوم الاستقلال العربي» (صفحة ٣ - ٧).

٤ - «الإدارة الأجنبية في العراق وسوريا وفلسطين» (صفحة ٧ - ٩).

٥ - «علاقة الشريف حسين ببريطانيا العظمى» (صفحة ٩ - ١١).

٦ - «لقب الشريف حسين» (صفحة ١١ - ١٤).

٧ - «الإتفاقيات والمعاهدات بين حكومة صاحب الجلالة والحكام العرب الآخرين في المنطقة المستقلة» (صفحة ١٥ - ١٧).

٨ - «الخلافة» (صفحة ١٧ - ٢٠).

وتستعرض المذكرة، في كل من هذه الفصول، الالتزامات والتعهدات المتعاقبة التي ارتبطت بها الحكومة البريطانية تجاه الملك حسين بشأن موضوع ذلك الفصل، على التوالي؛ ثم تبحث، في ختام كل فصل، بمدى الانسجام او التضارب بين تلك الإرتباطات، من جهة، والمصالح او المآرب البريطانية، من جهة اخرى.

واما الوثيقة الثانية فتقع في ١٢ صفحة مطبوعة، وتحمل على رأس صفحتها الأولى البيان الذي تحمله المذكرة، والقائل بانها ملك للحكومة البريطانية، ثم يلي ذلك عنوانها كالآتي: «ملحق حول الالتزامات السابقة لحكومة صاحب الجلالة في الشرق الأوسط». وسنشير اليها في هذا المقال بعبارة «الملحق».

ويقسم متن الملحق الى فقرات، مرقمة بالتسلسل من ١ الى ٦١.

والفارق بين المذكرة والملحق فارق مزدوج. فالمذكرة تقتصر على التعهدات المعطاة للحسين، في حين ان الملحق يستعرض جميع الوعود التي قطعتها بريطانيا على نفسها تجاه جميع الدول والفرقاء. وثانياً: فيما تقتصر المذكرة على المنطقة العربية،

يتناول الملحق جميع المناطق التي كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية .

هاتان هما الوثيقتان البريطانيتان الرسميتان - «السريتان» حتى هذه الساعة - اللتان نخص بهما هذا المقال . وهما معاً (شأنهما في ذلك شأن الوثائق التي تضمها «مجموعة وسترمان» ، كما ذكرنا) اعدتا خصيصاً لاطلاع الوفد البريطاني الى مؤتمر الصلح بباريس ، كيما يكون اعضاؤه على بينة من امرهم اثناء المناقشات ، وملمين الماما تاماً عند المفاوضات بجميع التعهدات التي قدمتها حكومتهم اثناء الحرب لمختلف الفرقاء .

فالوثيقتان اذاً ، لم توضعا بقصد النشر أو التعميم . ولم يحسب واضعوهما ، لدن اعدادهما ، حساباً لامكانية اطلاع اي كان عليهما ، فيما عدا اعضاء الوفد البريطاني . ولذلك فان الوثيقتين كانتا صريحتين كل الصراحة ، خاليتين من اي اثر من آثار المواربة والتضليل .

ثم انهما كانتا بريئتين من عناصر التبرير او التعليل ، او الأعتذار او الدفاع - حتى عندما يتضح جلياً فيهما وجود تناقض صريح بين تعهد وتعهد ، او بين وعد ووعد . فكأني بالموظفين الذين أعدوا هاتين الوثيقتين كانوا اشبه بالمستخدم في مخزن ، يكلفه ولي امره بأن يقدم كشفاً بالموجودات فيه . فيقوم بعملية الجرد والتدوين دون ان يحاول أن يعلل او يبرر أو يدافع ، شاعراً انه ليس عليه الا أن يكون دقيقاً في تعداد كل صنف من أصناف الموجودات ، أميناً في تسجيل كل المعلومات اللازمة او المطلوبة بشأن كل مادة أو فئة من المواد . فالوثيقتان ، اذاً ، تختلفان من هذه الناحية اختلافاً ملحوظاً عن البيانات العامة او التصريحات السياسية التي صدرت عن الحكومة البريطانية في صدد اي من الالتزامات التي تحصيها وتسجلها تانك الوثيقتان : اذ أن البيانات والتصريحات العامة كان غرضها تفسير كل التزام تفسيراً يتوافق ومصلحة الحكومة البريطانية في الظروف التي صدرت فيها ، او تبرير الالتزام امام الرأي العام (البريطاني او العالمي) ، أو اظهار الإنسجام (أو الإنسجام المزعوم) بينه وبين الالتزامات الأخرى - في حين ان الوثيقتين المشار اليهما كانتا خاليتين من جميع هذه العناصر ، لأن مهمتهما كانت «تقريرية» خالصة ، ولأن طبيعتهما كانت سرية ، ولأنهما كانتا موجهتين الى المفاوض البريطاني (واليه وحده) بقصد اطلاعه على الحقائق ، جميع الحقائق .

ويلاحظ القارىء ، لدى مطالعته هاتين الوثيقتين ، ملاحظة اخرى - هي خلوهما خلواً تاماً من العنصر «الذاتي» في العرض والتحليل . فانت لا تعلم ، وأنت تقرأ المذكرة او الملحق ، ما اذا كان الموظف الذي اعد اياً من تينك الوثيقتين مؤيداً للاتجاه السياسي الذي انبثق عنه هذا الالتزام ، ام اذا كان يؤيد الاتجاه المعاكس الذي فرض نفسه في وقت آخر فصدر عن الحكومة بسببه التزام معاكس . فهو (أي الموظف) يسجل الالتزامات ، لا الدوافع ؛ وهو يسجلها كما اعطيت ، لا كما يرغب هو ؛ بل هو يسجلها في تجرد تام ، كأن لا شأن له بها على الإطلاق . فهو لم يكن بطلاً من أبطال الرواية السياسية التي يؤرخ لها ، ولم يكن له دور ما في حوارها : ما هو سوى مسجل للحوار ، شأنه في ذلك شأن مدوني المحاضر في المؤتمرات ، يدونون ما يقال في النقاش ، أو ما يتفق عليه في المقررات ، دون تحزب لوجهة نظر أو لأخرى . وينجم عن ذلك ، ان السجل الذي تنطوي عليه الوثيقتان اصدق ، بالنسبة الى كل التزام او تعهد ، من التحليل الذي يصدر عن السياسي الذي حث عليه ودعا اليه وطالب به ، أو السياسي الذي عارضه واعترض عليه - وما أكثر التيارات والتيارات المعاكسة التي لعبت دورها وراء الستار في الأوساط البريطانية اثناء الحرب ، وكانت السبب الدافع الى الكثير من الارتباطات المتناقضة التي ارتبطت بها الحكومة البريطانية في تلك الفترة .

اخلص من هذا الحديث عن الصفات التي تميز ، وتمتاز ، بها هاتان الوثيقتان ، الى التأكيد بان ما تدونانه من تعهدات بريطانية ، وما تؤكدانه بشأن محتوى الالتزامات البريطانية ومداها ، هو أصدق وأدقّ مما ورد حول تلك التعهدات والالتزامات في البيانات الحكومية أو في تصريحات رجال السياسة ومذكراتهم . فالوعود البريطانية العديدة التي تستعرضها هاتان الوثيقتان تظهر فيهما بوجهها الصحيح ، كما اعطيت حين أعطيت ، دونما تبريج ودونما تقنيع ودونما تزييف !

وقد ورد في كل من المذكرة والملحق عرض للارتباطات التي قبلت بها بريطانيا اثناء الحرب بشأن

فلسطين ، ابتداء من مراسلات مكماهون والحسين ، حتى انتهاء الحرب .

فما ورد فيهما بهذا الشأن ، اذاً ، هو القول الحاسم في موضوع بات ، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، موضوع حوار عنيف بين العرب وبريطانيا - حوار دار على الصعيد السياسي بين الحكومات والوفود الرسمية ، وعلى الصعيد الشعبي والصحفي ، وعلى الصعيد العلمي والتاريخي ؛ وانتهى على الصعيد الأوّلي عندما نفضت بريطانيا يديها من قضية فلسطين ، ولكنه لما ينته على الصعيدين الآخرين .

فبماذا تجزم هاتان الوثيقتان فيما يختص بهذا الموضوع ؟

الوثيقتان تكذبان الحكومة البريطانية :

هل كان مكماهون حقاً يقصد . عندما خط رسالته الى الشريف حسين . أن يستثني فلسطين من منطقة الاستقلال العربي -كما ادعى في رسالته الى « التايمز » اللندنية ؟

هل كانت الحكومة البريطانية دائماً تعتبر فلسطين خارج تلك المنطقة -كما زعم تشرشل ، باسم حكومته ، عام ١٩٢٢ ، وكما ظلت الحكومة البريطانية تردد في مناسبات عديدة منذ ذلك التاريخ ؟

هل كل ما في الأمر هو « غموض » بريء ، و« التباس » غير مقصود ، و« سوء تفاهم » مؤسف -كما يتوهم بعض المؤرخين والباحثين ، « المستقلين» و« المحايدين » ؟

أم هل الأمر حقاً خداع ، ومكر ، تبعهما غدر اكيد ، حاولت الحكومة البريطانية تغطيته بالكذب والنفاق -كما يشعر العربي اذ يستعرض مراحل قضية فلسطين منذ نشأتها ؟

لنترك للحكومة البريطانية نفسها أمر البت في هذه الأسئلة -في الوثيقتين الرسميتين السريتين ، اللتين اعدتهما للتوزيع الداخلي في صفوف وفدها الى مؤتمر الصلح .

لنترك الحكومة البريطانية تحادث نفسها ، في تينك الوثيقتين ، وهي واثقة مطمئنة الى أنه ليس ثمة إذن غريبة تصغي الى المحادثة ، وليس من عين غريبة تشاهد عملية « التعري» .

ولنبدأ بالمذكرة .

تقول المذكرة ، في الفصل الرابع ، الصفحة التاسعة ، الأسطر ٩-٣ ، ما يلي :

« فيما يتعلق بفلسطين ، ان حكومة صاحب الجلالة ملتزمة ، بموجب كتاب السير هـ . مكماهون الى الشريف في الرابع والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٥ ، بتضمينها في حدود الاستقلال العربي » .

يا لبلاغة الإيجاز !

هكذا ! بكل بساطة ، وبكل وضوح ، وبكل تأكيد . لا تحفظات ولا استثناءات فيما يتعلق بفلسطين، بل التزام واضح صريح . ليس من شك في الأمر يخامر الحكومة البريطانية ، وليس من غموض او ابهام يحجب رؤياها ، فيما هي تحادث نفسها بنفسها ، ويبوح طرف منها للطرف الآخر بما تعهدت به الحكومة ككل !

وما تقوله المذكرة بايجاز وبساطة وجزم ، يقوله الملحق أيضاً ، بالبساطة عينها ، بالإيجاز عينه ، بالجزم عينه -بل وبتأكيد اقوى وأوضح . اذ جاء في الملحق ، الفقرة الخامسة والخمسين ، الصفحة الحادية عشرة ، الأسطر ١٤-١٧ ، ما يلي :

« ان فلسطين بكاملها ، ضمن الحدود المعينة في متن المذكرة ، تقع ضمن الحدود التي قطعت حكومة صاحب الجلالة عهداً على نفسها ، الى الشريف حسين ، بالاعتراف باستقلال العرب ضمنها ، وبتدعيمه » .

تعهد صريح واعتراف كامل -وكل حديث عن « التحفظات » و« الإستثناءات » بشأن فلسطين بهتان مفضوح : هذه هي شهادة الوثيقتين البريطانيتين على الإدعاءات البريطانية .

نعم ان المذكرة تسجل ان الحكومة البريطانية اوفدت مبعوثاً اسمه هوغارت في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ الى الشريف حسين ليبلغه بياناً سياسياً جديداً بشأن فلسطين . والملحق أيضاً يسجل ذلك (كما يسجل معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور) . الا أن هذه مسألة مستقلة عن التعاقد البريطاني المتضمن في مفاوضات حسين ومكماهون ومراسلاتهما . فبعثة هوغارت كانت مهمتها نقل بلاغ صادر عن الحكومة المحتلة في فلسطين الى ملك الحجاز ، في حين ان مراسلات حسين ومكماهون ، ولئن كانت تدور بين ممثل الحكومة نفسها والرجل نفسه ، كانت تحمل صفة المفاوضة بين جانبين ، وكان غرضها الوصول الى اتفاق

وتعاقد يرضى عنه الجانبان ، وكان الحسين فيها يفاوض بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن حركات شعبية في البلدان المعنية بالأمر بما فيها فلسطين. البلاغ البريطاني الذي نقله هوغارث لم يكن جزءاً من عملية المفاوضة او مرحلة من مراحلها - فتلك عملية انتهت بانتهاء المراسلات بين الشريف حسين ومكماهون ، وباكتمال الإتفاق العربي البريطاني ، وبقيام الثورة العربية تنفيذاً اميناً للتعاقد من قبل العرب ، وكل هذا كان قد تم قبل زيارة هوغارث بعامين اثنين. فبلاغ هوغارث ، والحالة هذه ، لم يكن استمراراً لعملية التفتيش عن قاعدة اتفاق - فتلك القاعدة كانت قد وجدت وتم التعاهد على احترامها - بل كان نقضاً من احد الفريقين للتعاقد الذي كان الجانبان قد أقراه والذي كان الفريق الآخر (أي العربي) قد نفذ تعهداته بمقتضاه تنفيذاً كاملاً. البلاغ الذي حمله هوغارث الى الشريف حسين ، اذا ، لم يكن «تحفظاً» بريطانياً صادراً في اطار عملية مفاوضة ما زالت يوم صدوره مستمرة ، بل كان ايذاناً من قبل الجانب البريطاني باعتزامه على نقض تعهده والنكث بوعده والغدر بحليفه.

خاتمة : ملاحظات :

ان نصوص الوثيقتين البريطانيتين «السريتين» تلقيان نوراً ساطعاً على النقطة الجوهرية في الحوار البريطاني العربي - ذلك الحوار الذي حرصت الحكومة البريطانية ، طوال اربعة واربعين عاماً ، على جعله يدور في حلقات مفرغة. فلقد سعت الحكومة البريطانية لحصر الحوار ، على المستوى الرسمي ، في اطار من الادعاءات المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينها. كما سعت لجعل الحوار يدور ، على الصعيد العلمي والتاريخي ، في اطار من الابهام والغموض المزعومين ، يفرض على الباحث او المؤرخ ان يتوقف آخر الأمر عن السعي لتوضيح الأمر توضيحاً اكيداً ، يائساً من امكانية اللبس او الابهام.

تلك هي التغطية المزدوجة التي حاولت الحكومة البريطانية طوال هذه الأعوام ان تجد فيها مهرباً من مواجهة الحقيقة - حقيقة الخداع الذي قامت به ، والغدر الذي اقترفته ، والذي سعت الى التخلص من نتائجه الأدبية والسياسية بالنفاق والتضليل. وهل التضليل والنفاق ، في نكران الجرم الأصلي ، اقل اجراماً من الخداع والغدر المرتكبين في البدء؟

لقد استعملت تعابير «الخداع» و«الغدر» و«النفاق» و«التضليل» متعمداً - وأنا أقصد بكل منها كل ما فيه من معان يحددها القاموس ويعينها العرف اللغوي. وهي ليست تعابير عاطفية اطلقها عن انفعال - رغم أن الإنفعال يقوم في النفس حتماً كلما تأمل المرء تلك الفترة المؤلمة من التاريخ الحديث الحي - وإنما هي تعابير وصفية ، اطلقها بكل ما استطيعه من دقة وتحديد ، لأصف بها زوايا الفعل البريطاني الذي تحدثت عنه في هذا المقال. وحبذا لو كان في اللغة تعابير اخرى تؤدي هذه المعاني عينها ، اذاً لاستعملتها بدلاً من تلك الكلمات الأربع التي ابتذلت ويا للأسف من كثرة الإستعمال حتى لقد خفت وطأتها وفقدت الكثير من عنفها الأصيل.

ان العثور على الوثائق الرسمية التي حرصت الحكومة البريطانية على احاطتها بسياج كثيف من السرية والكتمان ليهدينا الى الحلقة المفقودة في سلسلة العلاقات البريطانية العربية التي قامت ضمن اطارها نكبة فلسطين ، وليعطي لمؤرخ تلك النكبة وللباحث في اصولها وتطورها المستمسكات التي كان تأريخ القضية حتى الآن يفتقر اليها ، والتي كان البحث في منشأ القضية يعوض عن فقدانها بالإجتهاد والتحليل والتكهن واللجوء الى استقراء القرائن في غياب النصوص.

على أن «القيمة العلمية» المتأتية عن اكتشاف هذه الوثائق (أي استكمال الحقيقة التاريخية التي كان بعض اجزائها مفقوداً) ، و«القيمة الجدلية والدعاوية» التي تتبع تلك (أي الحصول على المستمسكات التي تدين الجانب البريطاني) يجب أن توضعا في اطارهما الصحيح. وهذا ما يحدو بي الى التأكيد ، في ختام هذا المقال ، على نقطتين هامتين :

١ - في مجال الصراع العملي لاسترجاع فلسطين ، ليس لهذه الوثائق - أو لأية وثائق - كبير أهمية. فالعرب لم يفقدوا فلسطين لضآلة الوثائق التي تثبت حقهم فيها ، والصهيونيون لم يبنوا اسرائيل على أكداس الوثائق. بمقدار ما استطاع الصهيونيون أن يكسبوا لقضيتهم انصاراً عن طريق الجدل ، وبمقدار ما استطاعوا أن يحصلوا من هؤلاء الأنصار على العون المالي او السياسي او العسكري ، بذلك المقدار (وبه فقط) تقاس أهمية اكتشاف اية حجة جديدة تضاف الى مجموعة الحجج المستعملة في النقاش او تفيد في تحطم حجج الخصم المعاكسة. الا أن هذا المقدار من

الأهمية ضئيل، اذا قورن بالعوامل الأخرى التي ادت الى ظفر الصهيونيين حتى الآن في معركة فلسطين - من وحدة في الصفوف والأهداف، الى تعبئة للطاقات، الى التفاني في خدمة قضيتهم، والى سوى هذه من الأسباب التي عملت على تمكينهم من احتلال فلسطين العربية حتى هذه الساعة.

٢ - وكما أن هذه الوثائق، وكل الوثائق، ليس لها الأثر الحاسم في النضال الفعلي، وفي تقرير مصيره، فكذلك ليس لهذه الوثائق، أو لأية وثائق، أثر حاسم في تقرير حق العرب في فلسطين. فإن هذه الوثائق لا تثبت أكثر من أن بريطانيا اعترفت، عــام ١٩١٥، بحق العرب بــالاستقلال في فلسطين - ولكن ذلك الحق لم يستمده العرب من اعتراف الآخرين به، ولا يفقدونه بزوال ذلك الاعتراف.



مخترع عيدان الكبريت

إن النار من أهم ما يحتاج إليه الإنسان في أحوال حياته لاننا بدونها لا نقدر على عمل ومع ذلك فقد قل من بحث عن أصل اختراعها أو عن مخترعها، على أن الذين بحثوا في ذلك لم يستطيعوا الوقوف على خبر الاختراع، ولكنهم علموا ان الإنسان توصل إلى إشعال النار أولاً بواسطة الفرك، إذ علم بالاختبار البسيط أن الفرك يولد الحرارة فما زال يتدرج حتى توصل إلى إيقاد النار به، وما يزال بعض الأمم المتوحشة يولدون النار بالفرك إلى الآن. ثم توصل الإنسان إلى توليد الشرر بالزناد بضرب الفولاذ على الصوان فيتولد من تلك الصدمة شرارة تشعل بعض المواد السريعة الاشتعال كالصوفان أو نحوه. والزناد مستعمل عند أهل البادية إلى اليوم. وقد اتخذ الإنسان أساليب أخرى من هذا القبيل ترجع إلى مبدأ واحد.

عيدان الكبريت حديثة العهد اخترعها رجل اسمه «ووكر» من أهل ستوكتن في انكلترا سنة ١٨٢٩ ولكنها لم تستعمل إلا سنة ١٨٣٤، وأول معمل تأسس لاصطناعها أسسه روبين بارتودج سنة ١٨٤٢ في انكلترا. وفي سنة ١٨٤٥ تأسس معمل آخر في فينا (النمسا). وطريقة اصطناع هذه العيدان في غاية البساطة لأنها مقصورة على تقطيع الخشب إلى عيدان رفيعة وغمس أطرافها في سائل من مواد قابلة للاشتعال بالفرك القليل أهمها الفصفور. ومعامل هذه الصناعة كثيرة في أوروبا يشتغل بها الأحداث بأجور قليلة ولذلك فهي تباع بأثمان بخسة.



- بعض النّاس يصدقون اي شيء يقال لهم .... ما دام همساً.
- الأحمق شخص يحرمك من الوحدة دون ان يمتعك بالصحبة.

الأطباق الطائرة

بين الحقيقة والخيال



عن مجلة « قافلة الزيت » . ابريل/مايو ١٩٧٠

كَثيراً ما نَرَى الإنسَانَ يتنكَّبُ عن الطَرِيق الصَّحيح في تفسِير الحقَائِق العِلميّة ، ويَبْتَعِدُ عَن الطَرِيق العِلميّ الواضِح في تَفَهُّم ظواهِر الطَبيعَة. وَمِن أبْرَز ما يُثْبتُ هَذا ، تَمسُّك البَعْضِ باستِطْلاعِ الحَظِّ عَن طَرِيق نجُومٍ وَأبْرَاجٍ ، وَكَانَ الأحْرَى بِهِمْ أن يَنظرُوا إلى جَوْهَرهَا وَجرمهَا وَمَكَانِها وَسِرِّ تَحرُّكَاتِها ، مِمّا يَدُلّ على عَظمة المُبْدعِ الخَالِق. وَالعِلمُ -كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ- لا يُسَلّم بحُصُولِ ظَاهِرَةٍ أو حَدَثٍ كحقيقةٍ عِلميّةٍ ، إلاّ عنْدَمَا يَتكرّر ذلِكَ بصُورَةٍ نِظامِيّة ، عَلَى مَرأىً مِنْ جَمَاعةٍ يَتَحلّوْنَ بِسلامَةِ العَقْلِ والجِسْمِ وَبصفاتِ الأمَانَةِ العِلْميَّة.



يتردد هذا السؤال كثيراً في أيامنا هذه ، وقلما تخلو صحيفة أو مجلة من ذكر هذه الظاهرة الغريبة بين وقت وآخر ويقال بأنها ظهرت لأول مرة في سماء المكسيك ، ثم في اسبانيا وايران في عام ١٩٥٤. وبعد ظهورها في المكسيك ، عادت إلى الظهور ثانية في القسم الجنوبي من تلك البلاد ، حيث شاهدها بعض السكان بالعين المجرّدة بأعداد كبيرة ، وكانت على شكل أطباق فضية تنتقل في الجو بسرعة عظيمة وقد دامت هذه الظاهرة مدة ساعتين ثم اختفت عن الأنظار متجهة نحو

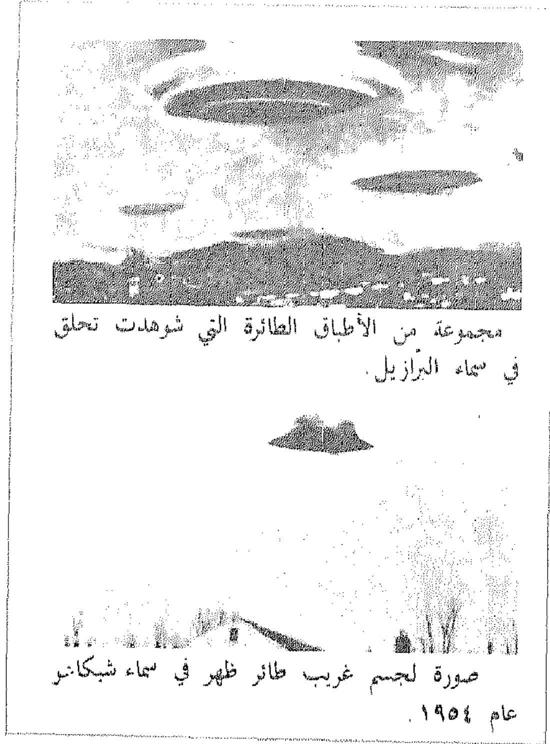
الشمال الغربي. وفي أحد الأيام تكررت هذه الظاهرة في سائر المدن المتتابعة من الشمال إلى الجنوب، مما يدل على انها كانت تتبع طريقاً منتظماً.

وقد نشرت الصحيفة الاسبانية في شهر مارس من العام نفسه، نبأ مفاده ان صحوناً طائرة شوهدت في أماكن عديدة من البلاد الاسبانية كما انه ظهر، لأول مرة عدد من هذه الصحون في ساحل البرتغال الشمالي. وفي أحد الأماكن، بقي الصحن محلقاً نحو ثلاث ساعات، ينفث دخاناً أبيض على شكل حلقات بسرعة فائقة. وشوهد صحن آخر متجهاً نحو الشرق تاركاً وراءه شعاعاً أحمر. وفي سماء إحدى المدن شاهد عدد كبير من السكان صحوناً طائرة، تدور حول نفسها، وتحلق على علو كبير جداً.

وبعد ذلك جاءت الصحف في يوغسلافيا، تروي أخباراً من مراسليها في المدن المختلفة، عن ظهور أجسام من أنواع مختلفة، تحلق على ارتفاعات كبيرة وبسرعات عظيمة، وأحياناً بتجمعات متنوعة، بعضها على شكل بيضوي متوهج، والبعض الآخر على شكل كريات من نار أو مجامر تنبعث منها ألسنة نارية، كانت هذه أول مرة تحتل فيها الأطباق الطائرة أعمدة طويلة في الصحف اليوغوسلافية، بعدما كانت تضفي عليها سابقاً طابع الشك وعدم المبالاة. وكان طبيعياً أن تظهر آراء مختلفة حول تفسير هذه الظاهرة الغريبة.

وفي نوفمبر عام ١٩٥٤، نشرت صحف النمسا أخباراً تفيد ان ألوف الأشخاص شاهدوا أجساماً غريبة تحلق في سماء فينّا وغيرها من المدن الواقعة شرقي النمسا. وأكدت محطة الأرصاد الجوية في العاصمة النمساوية آنذاك ان الطبق الذي ظهر في جو تلك المدينة، لم يكن منطاداً للاستكشاف، بل كان جسماً تنبعث منه خطوط نارية متعددة، ويسير بسرعة هائلة من الغرب إلى الشرق دون احداث صوت أو ضجيج على الاطلاق. كما ظهر فوق احدى المدن طبق على شكل كرة ينحصر لونها بين الخضرة والزرقة، وفي مؤخرتها مسمار مسنن، وكان يسير على علو أربعة آلاف متر تقريباً. وفي أماكن أخرى، كانت الأطباق تظهر على شكل كرة زرقاء تارة، وحمراء تارة أخرى، تحلق أفقياً وفي اتجاه معين دون أن تحدث صوتاً أو ضجيجاً.

وفي ٦ نوفمبر من العام نفسه، بدأ ظهور الأطباق يخف في فرنسا، ويكثر في اسبانيا. وقد روى سائق سيارة انه توقف مكرهاً في طريقه، عندما شاهد على بعد ١٥٠ متراً صحناً كبيراً براقاً، وبعد قليل حلق ذلك الصحن في الجو على أثر صوت انفجار خفيف، واختفى بسرعة فائقة. وهنا تملك السائق الخوف والذعر، فأقفل أبواب السيارة وجلس في داخلها وهو



مجموعة من الأطباق الطائرة التي شوهدت تحلق في سماء البرازيل.

صورة لجسم غريب طائر ظهر في سماء شبكانو عام ١٩٥٤.

يتمتم ببعض الدعوات.

كذلك ايطاليا، فقد كانت أيضاً من بين البلدان التي ظهرت في أجوائها الأطباق الطائرة. وقد جاء في أخبار مدينة فلورنسا، ان قروية التقت باثنين من سكان المريخ، عندما كانت في طريقها إلى القرية وكانت تحمل بعض الأزهار. وجاء في الافادة التي أدلت بها تلك المرأة إلى رجال البوليس، ان طول الواحد منهما كان يبلغ نحو المتر، لكنها لم تتمكن من تعيين صفاتهما، لأنهما كان يلبسان قبعتين من الجلد تغطيان وجهيهما، وكانا يتحدثان بلغة لم تتمكن من فهمها، وفجأة انتزع أحدهما الأزهار التي كانت تحملها في يدها، واتجه الاثنان بسرعة نحو طبق يبلغ علوه نحو ٣ أمتار في حقل مجاور. ولما وصل رجال البوليس، لم يكن هنالك أثر لذلك الطبق، سوى علامة على الأرض تشير إلى آلة مستديرة.

ولا بد من الاشارة هنا إلى أن هذه الظاهرة، لم تكتب لها الحياة في بلادنا العربية أو افريقيا أو بلدان عديدة أخرى، مما يبين ان لها علاقة بنفسية بعض الشعوب التي كان لها اتصالات ثقافية واجتماعية متشابهة، وقد ظهرت هذه الأطباق للمرة الأولى في الهند في شهر نوفمبر من عام ١٩٥٤، وأكد أحد المشاهدين وجود كائنات بشرية على سطح المركبة.

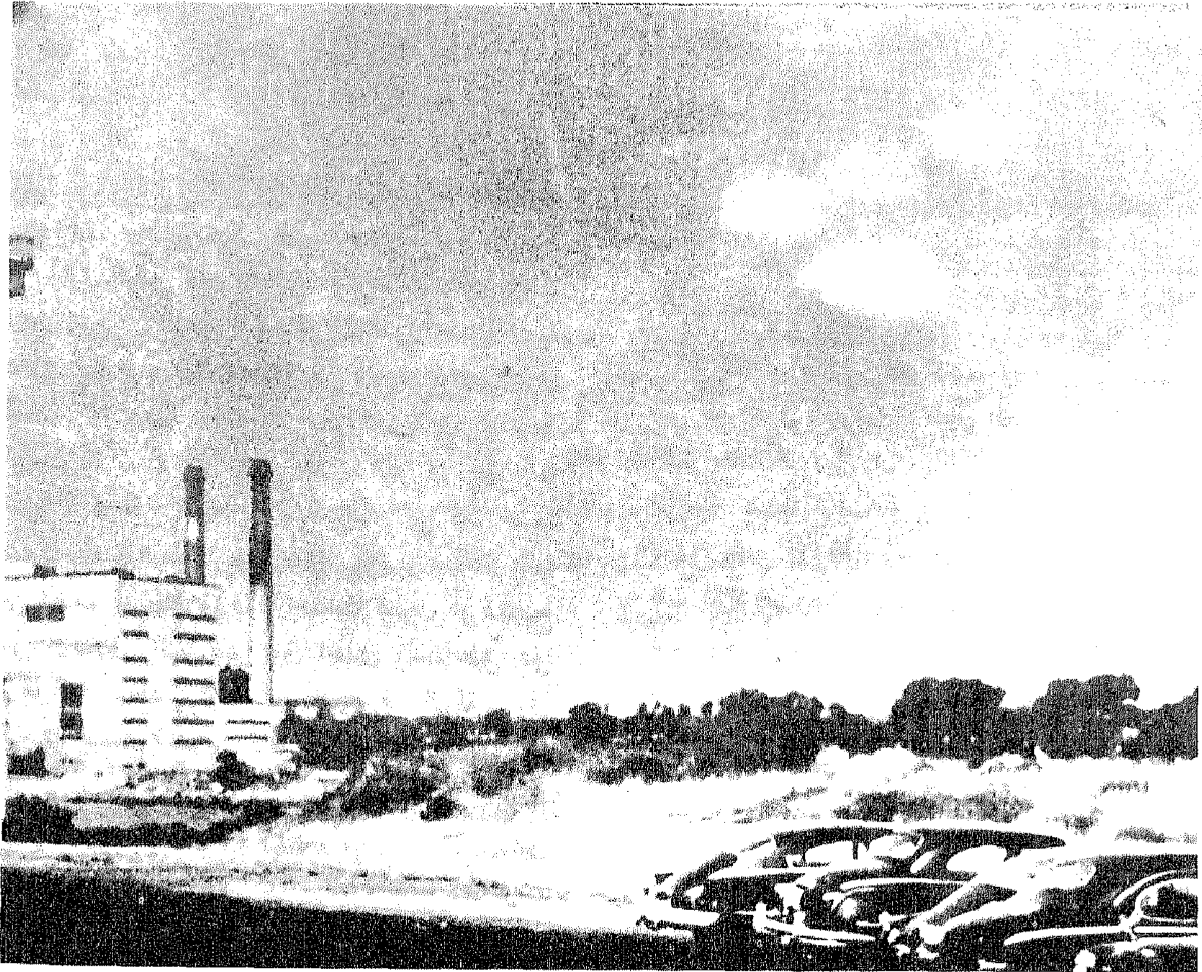
أنواع هذه الأطباق وأشكالها

يتبين لنا مما تقدم، ان هذه الأطباق ليست من نوع واحد، فمنها ما يكون على شكل كرة قاتمة، أو طائرة بلا أجنحة. ومنها ما يتخذ شكل قرص أو صحن يدور حول نفسه، أما منفرداً أو مع كتلة من أمثاله. وتحلق هذه الأطباق ليلاً ونهاراً متخذة ممراً متعرجاً بشكل فجائي، مما يدل على انها ليست كباقي الأجسام المعروفة في عالم الطيران الحديث. والغريب في أمر هذه الأطباق الطائرة صمتها التام، وكذلك سرعتها الفائقة، التي حملت الكثيرين على اعتبارها مركبات تنطلق من الفضاء إلى الأرض. ذلك لأن ما هو معروف لدينا بالنسبة إلى ما توصل إليه الانسان في حقل الفضاء انه لا يمكن لأية مركبة تنطلق في الجو بسرعة عدة آلاف من الأميال في الساعة دون أن تذوب بتأثير الحرارة الناجمة عن الاحتكاك، ودون أن تحدث صوتاً أو حركة.

وهناك طبق طائر مستطيل الشكل، شاهده بعض سكان الهند، في اكتوبر عام ١٩٥٤ فوق مدينة تبعد نحو ٣٢٠ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من كلكتا، تاركاً وراءه سيلاً طويلاً من الشرر الناري. وقد دام المشهد نحو ١٥ دقيقة، اختفى بعدها الطبق الطائر.

وبالاضافة إلى الأشكال الآنفة الذكر، حلقت في سماء فرنسا في صيف عام ١٩٥٤، مجموعة من

صورة تمثل أربعة من الأجسام المضيئة الشبيهة بالأطباق الطائرة التقطت أثناء تحليقها في سماء ولاية ماستشوستس ١٩٥٢.



الأطباق الطائرة كانت تدور حول نفسها إلى جانب مجموعة أخرى مؤلفة من أجسام تشبه لفائف التبغ، والتيجان، والمذنبات، والفطر المجنح. وعند وصول هذه الأطباق إلى الأرض، خرج منها بشر ذوو ألوان مختلفة، وكان أحدهم مخططاً، كحمار الوحش. وكانوا يتكلمون اللغات الانكليزية والفرنسية، واللاتينية. وعند مغادرتهم للأرض تركوا وراءهم آثاراً بين الأعشاب تشبه آثار الزحافات، وخدوشاً واضحة على بعض قضبان السكك الحديدية.

دور العلماء في تفسير هذه الظاهرة

كانت هذه الروايات الغريبة المختلفة الصادرة، سبباً كافياً لاقتحام العلماء هذا المضمار، لتقرير مقدار الصحة التي ترافق هذه الظاهرة، والأسباب التي تؤدي إلى حدوثها. وبالرغم من أن البعض قد نعتوا الرواة بصفة السخافة، وهذا فيه شيء من الصحة، فان هناك دلائل تشير ان هذه الظاهرة ليست كلها من باب الوهم والخيال. فقد قال الدكتور دونالد منزل Donald Menzel أستاذ فيزياء الفلك في جامعة هارفرد الأمريكية، ان في هذه الظاهرة من الحقيقة بقدر ما في ظاهرة قوس قزح منها، وانه قد شاهد هذه الأطباق، ولا يرى شيئاً من الغرابة في هذا الأمر. ولكنه أراد أن يبين ان مشاهدة هذه الظاهرة شيء، واعتبار الصحون الطائرة مراكب جوية يسيرها سكان الكواكب السيارة شيء آخر، هو وليد الخيال، وما تبقى في ذهن الأنسان ما هو إلا نتيجة الأساطير التي يسمعها.

ولا شك في أن قسماً كبيراً من هذه الروايات لا يعدو عن كونه مجرد وهم وخيال.. بيد أن بعضها ناتج عن مناطيد جوية، وطائرات، أو قصاصة من الورق عبثت بها الرياح، وحملتها إلى أعالي الجو، فكانت تعكس نور الشمس وتظهر براقة، كجسم متلألئ يسير في طبقات الجو العليا. وكان بعض الذين شاهدوا هذه الظاهرة متأكدين من رؤيتهم لها، مما يحول دون التهرب من إيجاد تفسيرات لها على ضوء ما هو معروف من نواميس الطبيعة وظواهرها المختلفة.

ولما كان اعتبار هذه الأطباق الطائرة مراكب مادية من صنع سكان الكواكب السيارة أمراً يجانف الحقيقة والواقع، فانه يسهل تفسير خواصها الغريبة.. فهناك أشياء غير مادية لا تخضع للنواميس التي تتحكم بالأجسام المادية، وهي تشبه الأوصاف التي أطلقها



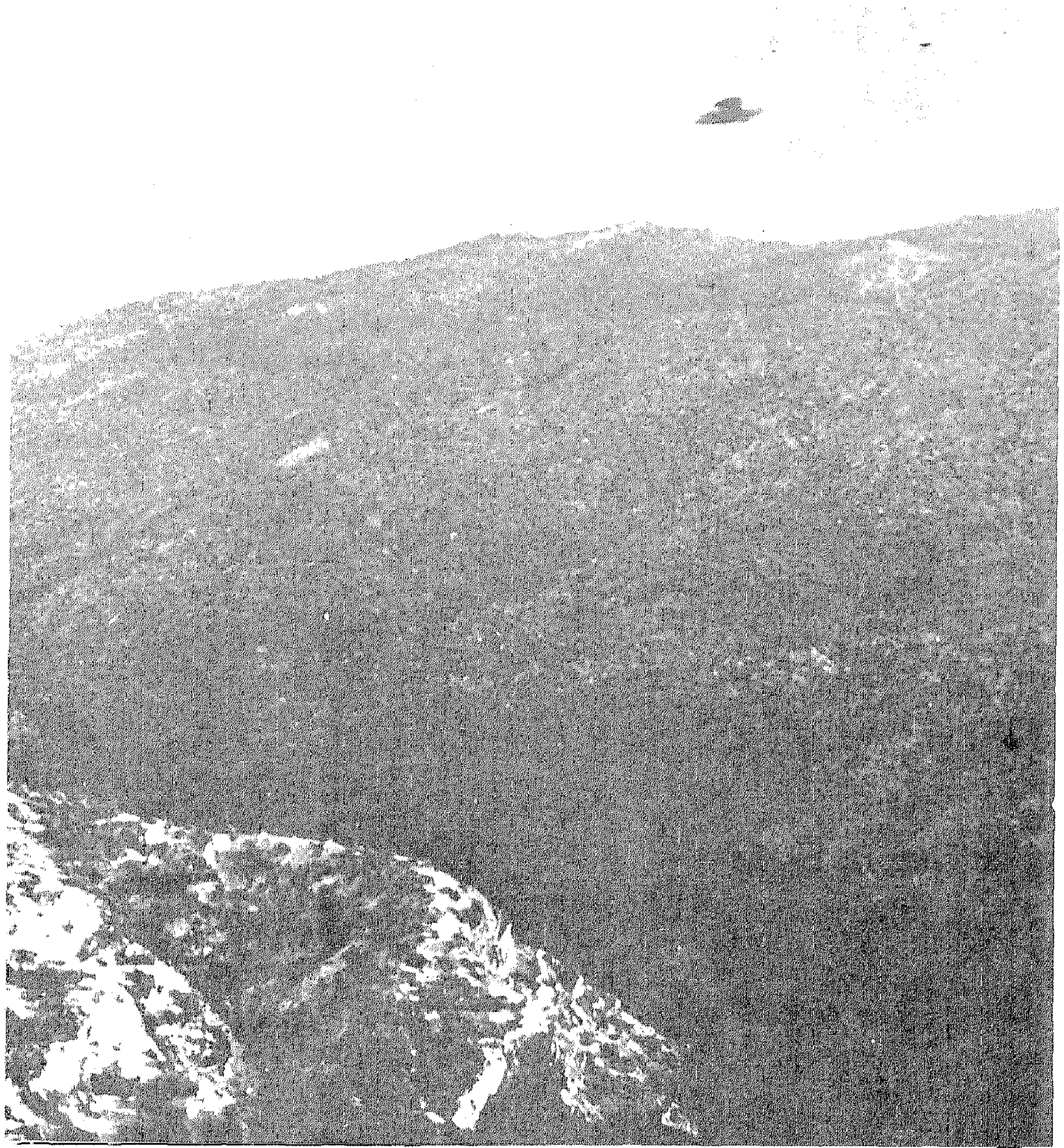
صورة لاحد الأطباق الطائرة التي ظهرت في سماء كاليفورنيا.

الناس على الأطباق الطائرة، وتسير بسرعة فائقة وبصمت مطبق، متبعة طريقاً متعرجة منها: بقعة النور. وعلى سبيل المثال فإنه بالامكان توجيه حزمة من الضوء بواسطة النور الكشاف نحو طبقات السحب العالية وجعلها تظهر وكأنها تسير بسرعة عدة آلاف من الأميال في الساعة، متبعة بذلك طريقاً متعرجة دون أن تحدث صوتاً ومغيرة اتجاهها بصورة فجائية.

الاستعانة بالرّادار والسّراب

بالرغم من أن الأفراد الذين شاهدوا الأطباق الطائرة أناس موثوق بهم وبأهليتهم، فانه لم يكن بالامكان تفسير رؤيتهم هذه على أساس كونها بقعاً ضوئية، لكن هذه الفكرة أوحت إلى الدكتور «منزل» بأن يوجه أفكاره نحو مصدر آخر غير مادي ليثبت لبعض المشاهدين انه في الامكان رؤية أجسام مادية تندفع في الجو بسرعة تفوق ما هو معروف لدينا على سطح الأرض. ففي أثناء الحرب العالمية الثانية، التحق الدكتور «منزل» باللجنة المختصة بالأبحاث الرادارية، وكان من ضمن الأعمال التي أنيطت به درس تأثير تطورات الهواء على الأمواج الرادارية، لأن طبقة من الهواء الحار كثيراً ما تجعل هذه الأمواج تضل سبيلها وتشذ عن خط سيرها محدثة بذلك أشباحاً مضللة على لوحة الرادار. وكثيراً ما كانت الطائرات تلقي قنابلها في المحيط بصورة عفوية بسبب هذه الأشباح المضللة. وقد استنتج «منزل» من هذه الدراسات، ان هذا الشذوذ في سير خطوط الأمواج الرادارية يحتمل أن يحدث أشباحاً ضوئية تشبه إلى حد بعيد الأطباق الطائرة.

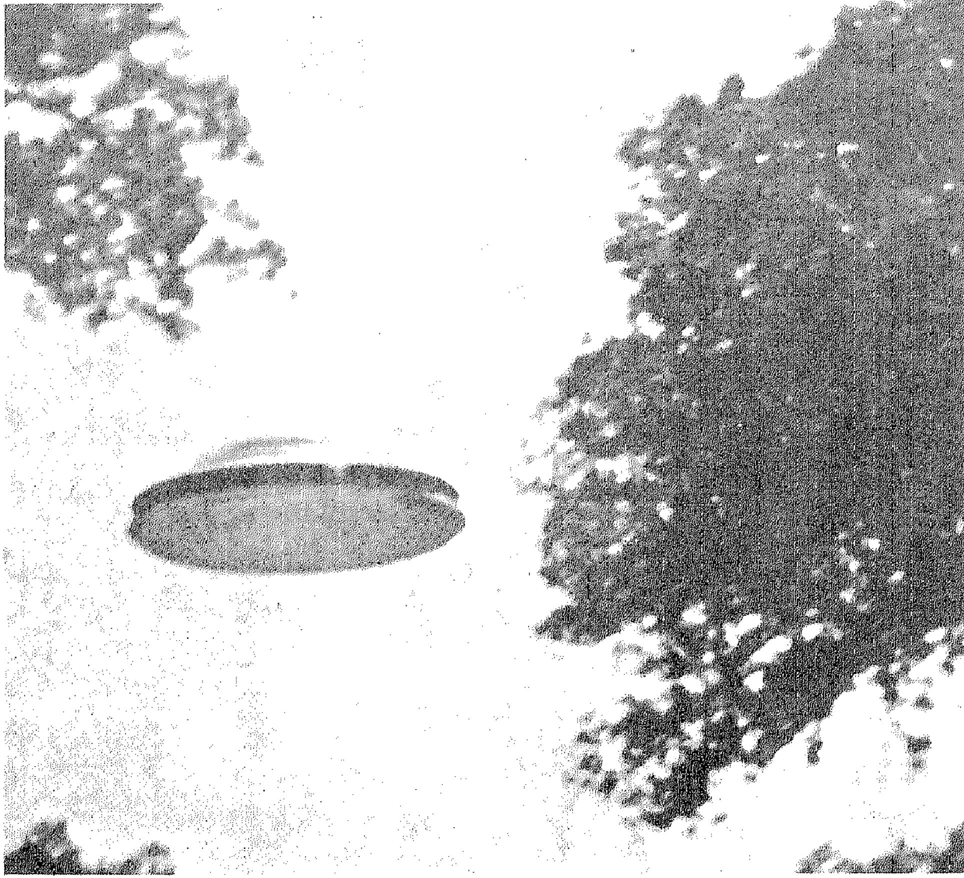
ولنا في السراب دليل آخر على ان الأشباح الضوئية هي أمر عادي يكثر وقوعه في مناسبات



صورة طبق آخر في سماء كاليفورنيا سنة ١٩٥٢.

عديدة، ويرافق ظاهرة السراب أمور طريفة، كالبحيرات الوهمية في الصحراء وأشباح أشجار النخيل فيها، فيصعب على الانسان أن يكذب نفسه عندما يعتبرها بحيرات حقيقية. وتبدو الظاهرة نفسها في الطرقات أحياناً، فيشاهد المسافرون ماء في الطريق على مسافة بعيدة سرعان ما يتبين لهم بأن هذا الماء ليس سوى مجرد منظر ناجم عن انكسار أشعة الشمس.

ويذهب الدكتور «منزل» إلى القول، بأن حالات نادرة من ظاهرة السراب تكفل شرح أسباب، أو تفسير حدوث ظاهرة الأطباق الطائرة، مستنداً بذلك إلى ظاهرة شاهدها بنفسه عندما كان يجتاز بقعة من الأرض في ولاية نيومكسيكو، إذ كان الجو صافياً



ما المقصود من نشر صور تجسّد الأطباق الطائرة وكأنها حقيقة واقعية ؟

والهواء بارداً والقمر بدراً، فشاهد قرب القمر جسمين لامعين، ظنهما لأول وهلة نجمين لكنه تذكر ان هذين النجمين لا يظهران في ذلك الفصل، ففتح نافذة السيارة ليتمكن من رؤيتهما بدون حاجز، فوجد أنهما قد تحولا إلى قرصين متنافرين كل منهما بحجم ربع القمر، يسيران مع القمر بالنسبة للأجرام المجاورة وعندما طلب من السائق أن يقف بعد مسيرة خمسة أميال، لم يبق للقرصين أي أثر. وهناك ظاهرة تحدث في ولاية تكساس، تتألف من بقع براقة على شكل الرقم «٧»، تخيلها البعض مركبات تنطلق من الفضاء إلى كوكب الأرض، وهي ليست سوى صور لسلسلة من الأنوار البعيدة، أو صورة مكررة لنور واحد مردها إلى ظاهرة السراب المعروفة.

العلماء يدحضون فكرة وجود الأطباق الطائرة

قامت هيئة من علماء جامعة «كولورادو» الأميركية، يرأسها الفيزيائي «أدوارد كوندن» بدراسات لظاهرة الأطباق الطائرة. وقد جاءت هذه الدراسات على شكل تقرير شامل وضعته الهيئة المذكورة بعد تمحيص الأمور مدة تقرب من السنتين، وقد بلغت نفقات ذلك المشروع ٥٠٠٠٠٠ دولار. وبعد اجراء تدقيق مسهب من قبل مجمع العلوم الوطني، تبين انه لا صحة لما أشيع عن نزول بعض سكان الكواكب السيارة، أو عن وجود مركبات فضائية تنطلق من اجرام أخرى غير الأرض نحوها.

وبالرغم من أن تدقيقاً جرى في معظم الأحداث التي تفيد برؤية الأطباق الطائرة ولم يسفر عن ثبوت صحتها، إلا ان هناك فئة من أنصار الأطباق الطائرة، تنحي باللائمة على الهيئة العلمية التي قامت بالدراسات الآنفة الذكر، وتنسب إليها التقصير في تقصي الحقيقة، ومن هؤلاء الأنصار «لجنة تحري الظواهر الهوائية» في واشنطن..

صوَر من التاريخ

اعداد: (قسم الأبحاث والدراسات)

مِن خلفيّات

ثورة المليون شهيد



الصور مأخوذة من مجلة «[illegible]» الفرنسية الأسبوعية، العدد [illegible] — ١٢ — ١٩٥٨

منذ صيف ١٨٣٠ ، تاريخ احتلال قوات الاستدمار الفرنسي للجزائر العاصمة ، وحتى صيف ١٩٦٢ ، تاريخ الاستقلال السياسي الناجز للشعب الجزائري وفشل محاولات السلطة الفرنسية المستدمرة في ضم البلاد إلى ممتلكاتها في ما وراء البحار ، قاوم الجزائريون بكل ما توفر لديهم من امكانات وطاقات ، من غير أن **تخدعهم الوعود أو أن يستسلموا للعملاء والمتعاونين أو يرضخوا للأمر الواقع إثر الانتكاسات والهزائم المؤقتة.**

ومنذ انتفاضة الأمير عبد القادر الجزائري (١٨٣٠) التي دامت حوالي ١٧ عاماً تعلّم الجزائريون درساً تاريخياً ثميناً : لا مساومة مع الاحتلال مهما تكن امكانات التصدي له ضئيلة.

هذا الدرس هو الذي مكن الشعب من الانتصار في أروع وأقصر حرب تحرير في التاريخ العربي الحديث (١٩٥٤ - ١٩٦١) كلّفت البلاد حوالي المليون ونصف المليون شهيد.

تفجرت الثورة المسلحة في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ وسط ذهول الـ ٤٠٠ ألف جندي وضابط فرنسي. لم **تأخذ السلطات** الفرنسية **الإنفجارات** الأولى للثورة على محمل الجد إعتبرتها مجرد تمرد قبلي كتحركات الإحتجاج السابقة.

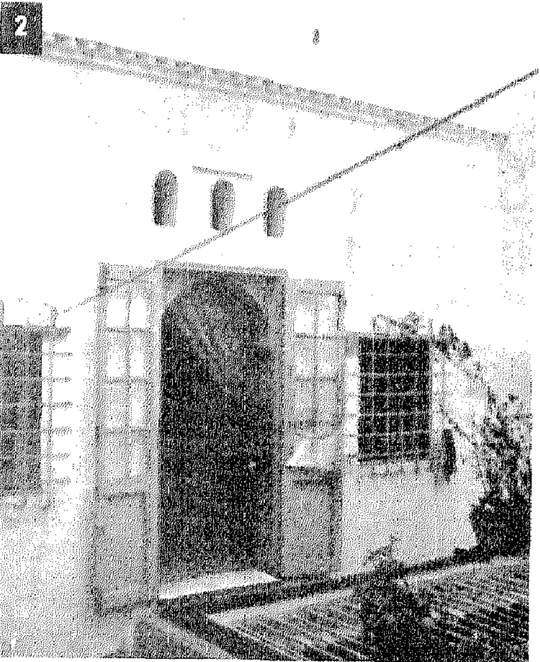
لم تمض أسابيع قليلة الا وأدركت قوات الاحتلال ان المسألة جدية وخطيرة ، وهي التي اعتبرت ان الـ ١٢٤ عاماً الماضية من احتلالها للجزائر كادت تنسي الشعب جذوره وهويته العربية الإسلامية.

٦ سنوات من «عمليات تثبيت النظام والأمن» في الجزائر العاصمة وضواحيها لم تنجح في **أخماد** شعلة الانتفاضة الشعبية العارمة :

● شوارع الكاسباه الداخلية حيث انتظم العمل السري وانطلق العنف الثوري ، تحول إلى معقل للثوار والمجاهدين وإلى جحيم للمحتلين الفرنسيين واعوانهم : كانت كل نافذة من نوافذ البيوت الحجرية والطينية منارة للثوار ومقبرة للغزاة.

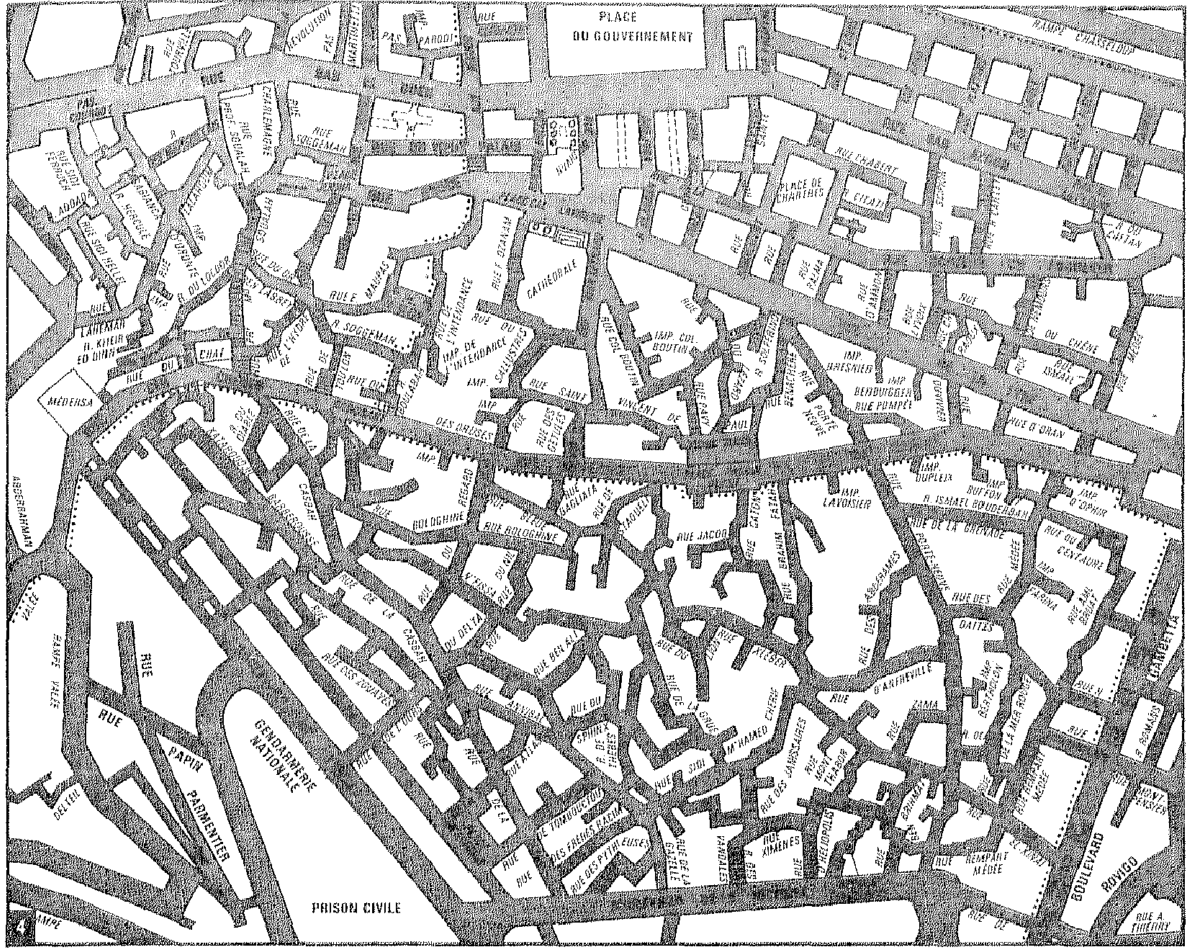
تحولت البيوت الصغيرة إلى سراديب ودهاليز. فأصبح للباب بابان وللشباك شباكان وللسقف سقفان وللأرض طبقتان.





جانبان من منزل «فتحية» ، عمة جميلة **بوحيرد** ، حيث كانت تصنع القنابل وحيث كانت تجتمع فرق «حاملات القنابل»

● كل الكبت الشعبي الجامح انفجر في ليلة واحدة (١٩٥٤/١١/١) وامتدت اثاره تدريجياً إلى أنحاء البلاد حتى عمت المدن (أواخر ١٩٥٥) ووصلت إلى وسط العاصمة (اذار/مارس ١٩٥٦). كان شعار المعركة : الجميع يداً واحدة وكل شيء في خدمة الثورة. النساء والشيوخ والأطفال كانوا أفضل



خريطة شوارع الكاسباه التي دوخت الجنود الفرنسيين.



قنابل محلية الصنع : معلبات وتيرموس.

[illegible] للشباب والرجال المجاهدين في عمليات الاستطلاع ونقل المتفجرات وتوزيع المنشورات السرية التي كانت تعطي دفعاً جباراً للعمل المسلح المنظم. القنابل المحرقة والمدمرة كانت تصنع من كل ما يتوفر في المنازل : علب التيرموس وعلب الحليب المجفف وكل أنواع المعلبات ، إلى درجة ان كل صنف معلب يزداد مبيعه في سرعة بمجرد أن تثبت علبته الحديدية فعاليتها في إهارب الارهابيين والمحتلين.

● في السجن كان المعتقلون أسعد الناس لانهم كانوا يواجهون قوات الاحتلال وجهاً لوجه وهم عزل من كل شيء إلا من إيمانهم بالنصر الأكيد. كانت اتصالاتهم اليومية مؤمنة في صورة أكيدة بواسطة أنواع مبتكرة من الحيل تتطلب مجلدات لتفصيلها وعرضها بالكامل. اقسى ما كانوا يتمنوه حصلوا عليه بعد اضرابات واعتصامات عديدة ، وهو العلم الجزائري. من الصعب أن يحس الإنسان بقيمة



أربع مجاهدات خلدهن التاريخ ، من اليسار : سامية الاخضري وجميلة بوحيرد وحسيبة بنت بوالي وزهرة دريف .

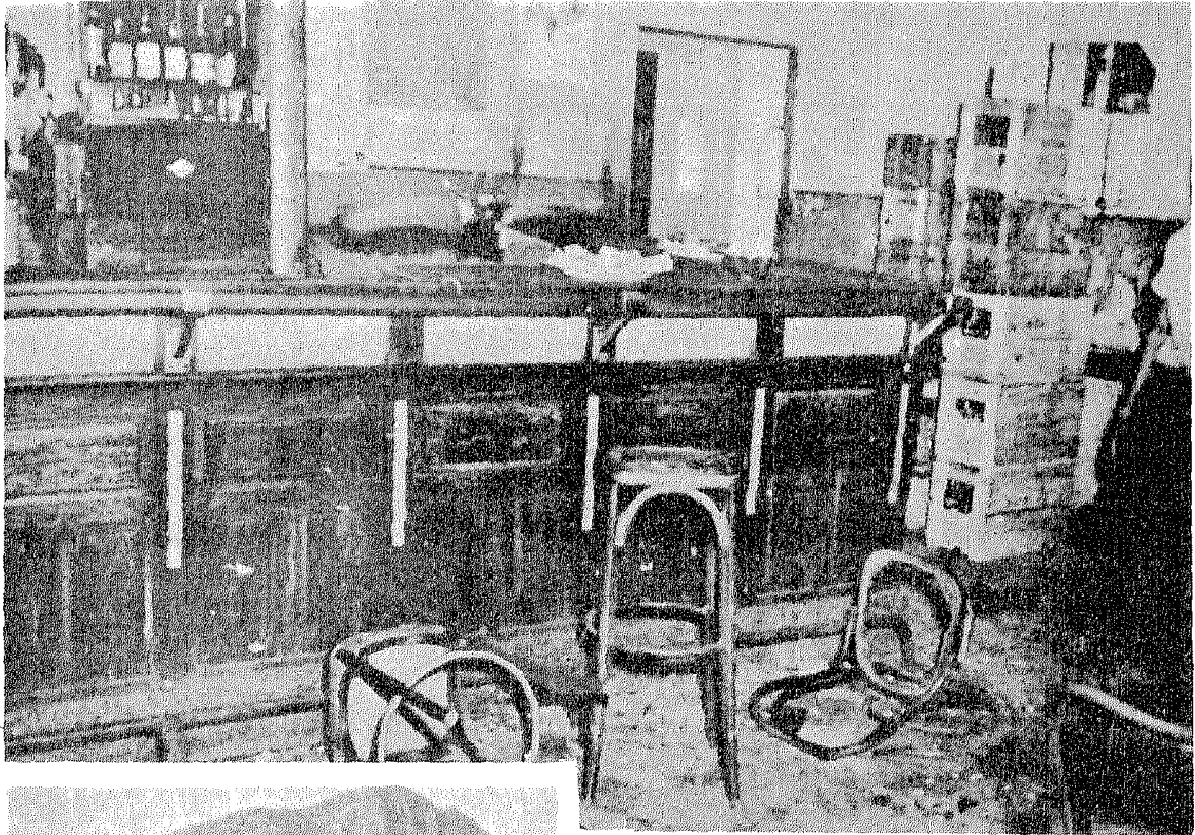
الاحتفاظ بعلم بلاده وهو خارج السجن . وكان كلما تصاعد النضال المسلح في الخارج تصاعدت مطالب المعتقلين في الداخل إلى حدّ انهم استطاعوا انتزاع حقهم في الاحتفاظ بالترانزستور ، وهو مطلب قلما حصل عليه سجناء سياسيون في العالم حتى اليوم .

● في الريف كانت عمليات المقاومة تتلاحق على نطاق واسع ولا شك ان الجنود الفرنسيين الذين خدموا في هذه المناطق خلال تلك الفترة يتذكرون جيداً مدى الارهاق الكبير الذي لحق بهم من جراء «معركة خطوط السكك الحديدية» . والمهم في الموضوع ان عمليات نسف خطوط السكك الحديدية لم تكن تتم في شكل عشوائي أبداً . التوقيت مهم وموضع النسف مهم ، والأهم ليس عدد العمليات كمياً ولكن نوعيتها . وقليلة هي الثورات التي اشتهرت بمثل هذه المعارك كما اشتهرت بها الثورة الجزائرية المسلحة .

هكذا بدأت تلوح بشائر الفرج الكبير للشعب



المعتقلون السياسيون بعد انتزاعهم مطلب الاحتفاظ بالعلم الوطني وبراديو الترانزستور .

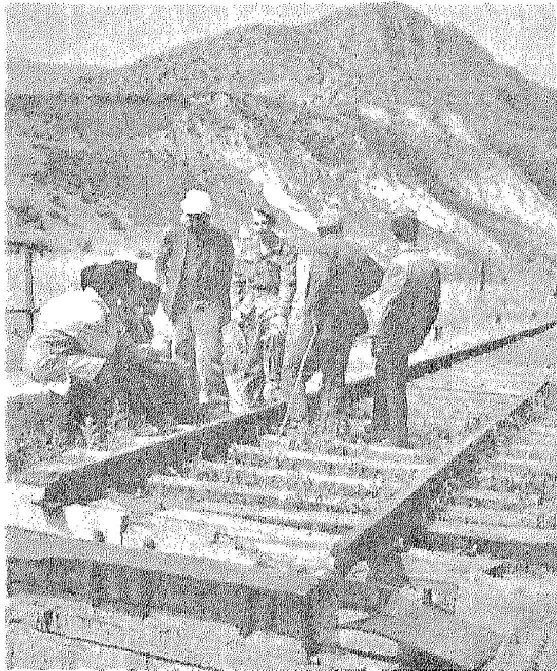


لاحقت المتفجرات الجنود الفرنسيين حتى في أماكن لهوهم .

الجزائري الذي استحق في جدارة كل مساعدة أتته من الشعوب العربية الأخرى وحكوماتها الوطنية . ولم تمض ثلاث سنوات على بدء انتفاضته المسلحة حتى استطاع خوض «معركة الجزائر» (١٩٥٧) التي كانت ، بشهادة المؤرخين قبل غيرهم ، أروع مرحلة من مراحل الكفاح المسلح في الجزائر .

وعلى أثر هذه المعركة التي امتدت طوال العام ١٩٥٧ ، بعكس ما تذكر المصادر التاريخية الفرنسية التي تشير إلى انها دامت حوالي الشهرين فقط ، تحولت المعاركة والانتفاضات وكافة أشكال المقاومة الأخرى إلى حرب تحرير شعبية في كل معنى الكلمة وشملت الريف الجزائري وكل المدن الكبرى .

وكان المجاهدون والمجاهدات ، على اثر معركة ١٩٥٧ ، ينتظرون فجر الانتصار يومياً ، بإيمان كبير لا يتزعزع . ولم يطل انتظارهم : فمنذ أوائل ١٩٦١ شعرت السلطة الفرنسية المركزية بضرورة وضع حد للشرارة الجزائرية التي بدأت تمتد خارج الحدود . فاضطرت إلى اجراء مفاوضات رسمية علنية مع الثوار في مدينة «ايفيان» (أيار/مايو ١٩٦١ - اذار/مارس



من «معركة خطوط السكك الحديدة» التي أرهقت المحتلين .

١٩٦٢) مهدت لاستقلال الجزائر السياسي في تموز/يوليو ١٩٦٢ .

وكان النصر الكبير الذي ما زال يستمد منه ثوار فلسطين وغيرهم من ثوار العالم . الدروس تلو الدروس . ■



مراجعة كتاب

روبرت سليتر

رابين .. سيرة حياة

اعداد وعرض :
عايدة نعمان

يقول مؤلف الكتاب وهو كاتب وصحفي أميركي كان مراسلاً للنيوزويك في القدس انه رغم تلازم اسم رابين بولادة إسرائيل وتطورها ورغم انغماسه في قضايا إسرائيل الداخلية والكثير في القضايا الدولية فقد بقيت شخصيته لغزاً مثيراً للجدل. لذا اعتمد على لقاءات ومقابلات شخصية مع رابين ومع أفراد عائلته وزملائه وأصدقائه حتى وأعدائه لكشف بعض ملامح شخصيته الحيية وغير المنفتحة على الآخرين. ولكن رغم الاستعمال المكثف للمراجع الأولية حول حياة رابين والكثير من الوثائق لإعطاء الكتاب الصفة الموضوعية يبقى الكتاب تعبيراً ضمنياً عن اعجاب مؤلفه برابين بإنجازاته لدولة إسرائيل.

اسحاق رابين أول رئيس للوزارة الاسرائيلية مولود في اسرائيل وليس في بلاد الشتات اليهودي. ينحدر والده من أصل روسي ومن بيئة بالغة الفقر والتخلف. هاجر والده إلى الولايات المتحدة طلباً للعيش وللحرية. أما امه روزا. وهي الأكثر والأعمق أثراً في حياة رابين، فقد هاجرت مع والدها الحاخام من روسيا وإلى فلسطين مباشرة. ومن المفارقات الغريبة أن جد رابين لوالدته الحاخام اسحاق كوهين كان من الد اعداء الصهيونية واثق الإيمان أن على اليهود انتظار المسيح المخلص بدل استعمال العنف لتحقيق وعد التوراة. وقد شاركت روزا والدة رابين اباها أول الأمر في مناوأة الصهيونية ثم اعتنقتها والتزمت النضال لها طوال حياتها.

ولد رابين في مارس ١٩٢٢ في الفترة التي كانت امه قد أصبحت منغمسة في دعم الأهداف الصهيونية حتى انها أصبحت في الثلاثينات عضوة القيادة العليا للهاجانا. أما والده فكان في تلك الفترة ذا ميول اشتراكية ملتزمة بالقضايا العمالية. أحب منذ صغره التخصص بالأمور الزراعية ولا سيما بالهندسة المائية **يقول في أول شبابه: «ان هدفي في الحياة هو خدمة بلادي واني أؤمن أن أفضل وسيلة لخدمتها هو ان أعد نفسي لأصبح مزارعاً»، لذا ألتحق بأحدى الكيبوتزات بعد تخرّجه من كلية زراعية ليكتشفه فيما بعد إيغال آلون ويكتشف ان باستطاعته تحويل رابين من مزارع إلى عسكري فذ، ومما يذكر ان أولى مهمات رابين العسكرية كانت في الجنوب اللبناني عام ١٩٤١، وبقيادة موشي دايان، هذه المهمة التي أهلته فيما بعد ليصبح قائداً للبالماخ وهو الجناح العسكري الضارب للهاجانا.**

كان رابين يقرأ كثيراً عن الحرب العالمية الثانية ولم تكن تهمه المواقع الحربية أو التحركات العسكرية التقليدية وانما كان يركّز على المقاومات السرية حيث اكتسب منها تكتيك القيام بالهجمات المباغتة والهجوم



رابين (الثاني إلى اليسار) مع قادة البالما العسكريين سنة ١٩٤٨ ويبدو إيغال آلون (الخامس إلى اليسار).

من الجهة غير المتوقعة والضربات القوية والقصيرة النفس.

في محادثات رودس التي تبعت الحرب العربية الإسرائيلية لعام ١٩٤٨ كتب رابين إلى آلون «لولاي ولولا إيغال يادين لقام المندوبون الإسرائيليون بتنازلات كثيرة فقط للتوصل إلى اتفاق ما مع المصريين» وطلب من آلون استبداله بمفاوض آخر لأنه «تعب من السياسة والدبلوماسية».

في أواسط الستينات كان رابين يخالف الكثيرين من زعماء إسرائيل في نظرتهم إلى التسليح المضخم للجيش المصري. كان يرى في ذلك نذير حرب قادمة يتفوق فيها العرب على إسرائيل. ولكن ما كان يطمئنه إلى حد ما هو ماردده لجريدة يديعوت احرونوت في ١٤ أيار ١٩٦٧ إذ قال «ما لم يكن هناك تنسيق سياسي بين العرب ينبغي على المرء الاّ يخشى من تنسيق عسكري معادٍ لإسرائيل». ولكن خشيته المبيتة كانت من أي تنسيق مصري سوري.

في الأيام السابقة لحرب الأيام الستة اصيب رابين بإنهيار عصبي عزاه اطباؤه لشدة الاعياء والارهاق. ولكن يخيل لقارئ سيرته ان انهياره تأتّى من خشيته أن يخسر الحرب إذ استدعى وايزمان وقال له: «لقد ارتكبت الكثير من الاخطاء بحق إسرائيل وبما أن هذه الحرب لا تحتمل المزيد من الأخطاء خاصة على صعيد العمليات الجويه. لذا اطلب منك تولّي قيادة الأركان وأنا سوف اتنحى» في اليوم التالي زاره الجنرال في الاحتياط افراهام يوف وهو في الوقت ذاته صهر رابين وحثه على العودة إلى العمل وتوجيه ضربة مباغتة ضد عبد الناصر. ويبدو أن رابين اقتنع بنظرية صهره وفي اليوم التالي غادر الفراش والتحق بمكتبه.

في السنوات التي تلت حرب حزيران عمل رابين كسفير لإسرائيل في الولايات المتحدة وهو منصب كثيراً ما حلم به. ولكن نجاحه كدبلوماسي كان مثار الشك ويبدو ان كيسنجر كان كثير الانتقاد له على تلك الفترة. ولكن رابين استغل وجوده في واشنطن ليوسع دائرة العلاقات الإسرائيلية الاميركية وليضغط من أجل المزيد من التسليح والتمويل.

وحين وقعت الحرب الإسرائيلية العربية

سنة ١٩٧٣ كانت خيبة رابين كبيرة ليس فقط من نتائجها العسكرية ولكن لسقوط مقولته التي جاهد لتعزيزها في الدوائر الاميركية وهي أن وجود إسرائيل قوية عسكرياً كافٍ لوحده ليمنع وقوع الحرب في الشرق الأوسط . وحين امدت أميركا إسرائيل بجسر جوي لتمنع المزيد من الانهيار العسكري كانت خشية رابين في أن تطلب أميركا ثمناً لانقاذ إسرائيل تنازلات اقليمية لإحلال سلام دائم في الشرق الأوسط .

تميزت حياة رابين السياسية بالصراعات الصامتة أحياناً والعدائية أحياناً أخرى بينه وبين مختلف القيادات السياسية والعسكرية ، انما هذه الصراعات الحادة تذوي حدتها حالما تتعرض إسرائيل لأي خطر حقيقي وتصبح أكثر بروزاً أثناء فترات الهدوء السياسي والعسكري . أما تنحي رابين الأخير عن مسرح السياسة فإنه يثير التساؤل حول الدوافع الحقيقية له . هل حقاً أن رابين تنحى تضامناً مع زوجته التي اتهمت انها تملك حساباً في احد البنوك الأميركية أو ان تلك الحادثة كانت مخرجاً له من المسرح السياسي لأنه لم يكن يريد أن يتحمل مسؤولية أية تنازلات إسرائيلية في الوقت الذي يدرك فيه ان أية محادثات للسلام لا بد أن تطرح بل تحتم تنازلات إسرائيلية إذ ما قيض لها النجاح .؟؟

إنها مجرد تساؤلات ربما تمكن قارئ سيرة رابين من الإجابة عليها ! !





«دعوة لأصحاب رسائل الماجستير والدكتوراه»

يسر مجلة «تاريخ العرب والعالم» أن تدعو أصحاب رسائل الدكتوراه والماجستير في التاريخ في الجامعات العربية للتعريف برسائلهم على صفحاتها وذلك في مقالة تتراوح ما بين الألف كلمة والألف والخمسمائة كلمة وتشمل على لمحة موجزة عن الموضوع المعالج ، مع الاشارة إلى مكان وزمان تقديمها وإسم الأستاذ المشرف عليها .

وإذ تفتح المجلة هذا الباب أمام أصحاب الرسائل في علم التاريخ ، تتوخى أن تحقق بعضاً من الأهداف والتي أهمها :

- أولاً – التعريف بانجازات الباحثين والطلاب العرب في ميدان علم التاريخ .
- ثانياً – التّعرف على توجهات الجامعات العربية في نوعية الموضوعات المطروحة ومناهج البحث المتبعة .
- ثالثاً – توفير جانب من البيبليوغرافيا التاريخية في موضوعات الرسائل التي قدمت ونوقشت في الجامعات العربية .

شخصيات وراء الأحداث

أنديرا غاندي

ايمان نويهض



أثبتت السيدة أنديرا غاندي التي عادت إلى واجهة السلطة في الهند بأكثرية تزيد عن عن ثلثي مقاعد البرلمان الهندي (٥٤٠)، أثبتت ايمانها العميق بالديمقراطية وبشعبها، الذي خذلها في آذار ١٩٧٧ عندما منيت بهزيمة ساحقة في الانتخابات البرلمانية.

فمن هي هذه السيدة التي ارتبط اسمها بالهند الحديثة وحازت على وسام الأمومة من الولايات المتحدة ووسام إيزابيلا من إيطاليا وجائزة هاولاند التذكارية من جامعة بيل واعتبرت أكبر شخصية تنال اعجاب العالم؟



ابنة جواهر لآل نهرو رئيس وزراء الهند لمدة ١٧ سنة. ولدت بالطبع في بيت سياسي حارب البريطانيين في الهند وطالب دوماً باستقلالها. ولدت أنديرا غاندي في ١٩ ت ١٩١٧/٢ في منطقة الأهاباد وتأثرت بجو والديها كثيراً كما تأثرت دراستها التي لم تكن منتظمة.

درست أنديرا غاندي في بونا وسانتنيكيتان في البنغال بالرغم من اعتقال والديها وقد درست أيضاً



السيدة غاندي، رئيسة الوزراء، وحولها راقصات في ثيابهن الفولكلورية.



السيدة انديرا غاندي ووالدها جواهر لآل نهرو.

على رسائل والدها من السجن والتي نشرت فيما بعد. تابعت أنديرا غاندي دراستها في كلية سومرفيل (أوكسفورد).

التزمت بحركة الاستقلال منذ طفولتها وأصبحت عضوة في حزب المؤتمر الهندي سنة ١٩٣٨.. وتزوجت سنة ١٩٤٢ من فروز غاندي (الذي لا يمتّ بقرابة إلى المهاتاما غاندي) وهو صحافي وعضو في حزب المؤتمر.

اعتقلت انديرا غاندي وزوجها لمدة أكثر من سنة بسبب انخراطهما في حركة «اتركوا الهند» الاستقلالية والمعادية للبريطانيين.

انتمت انديرا غاندي إلى العديد من الجمعيات والحركات الاجتماعية خاصة تلك التي عملت على تحسين وضع النساء والأطفال الهنود. وسنة ١٩٥٩ انتخبت رئيسة لحزب المؤتمر لمدة سنة. وكانت قد أصبحت شخصية دولية ومرموقة بعد مرافقتها لوالدها جواهر لآل نهرو في كثير من زياراته.

توفي زوجها سنة ١٩٦٠ بعد انفصالهما لعدة سنوات تاركاً لها ولدين فقط.

لعبت أنديرا غاندي أيضاً دوراً داخل بلادها خلال حرب الحدود الصينية – الهندية سنة ١٩٦٢. ودخلت الحكومة كوزيرة للاعلام بعد وفاة والدها سنة ١٩٦٤. ثم تبوأت رئاسة حزب المؤتمر واللجنة البرلمانية لحزب المؤتمر ورئاسة الحكومة بعد وفاة رئيس الحكومة لآل بهادور شاصتري وذلك سنة ١٩٦٦.

اتخذت حكومة أنديرا غاندي اتجاهاً يسارياً إلى حد ما واستمرت هي على رئاسة الحكومة حتى آذار ١٩٧٧ عندما واجهت أنديرا غاندي وحزب المؤتمر أكبر هزيمة لهما في وجه المعارضة المتمثلة في حزب جاناتا وذلك بعد إجراءات قاسية اتخذتها انديرا غاندي في سنتي ١٩٧٥ و ١٩٧٦ ضد حرية الصحافة والاضراب واعلانها حالة الطوارئ وزج الكثيرين من المعارضين في السجن.

وواجهت أنديرا غاندي اتهامات كثيرة بسوء إستخدام السلطة وبالرغم من عودتها إلى البرلمان الهندي عبر انتخابات فرعية في ت ١٩٧٨/٢ (كممثلة عن حزب المؤتمر المنشق بقيادتها من جديد) ولكن المحكمة العليا ولجنة برلمانية خاصة قررت طردها من البرلمان في ١٩ ك ١ وأدخلت السجن لمدة أسبوع ثم أفْرج عنها تحت الضغط الشعبي لجماهيرها.

وجاءت الانتخابات الأخيرة، لتثبت لأنديرا غاندي، مرة أخرى، دهاءها السياسي، وشعبيتها الجارفة، عندما استطاعت أن تفوز على جميع الأحزاب والشخصيات السياسية مجتمعة بأكثرية تزيد على الثلاثين!.

■

الشطرنج عند العرب

بقلم محمد مراد سكو

ليس من السهل إيفاء دراسة "الشطرنج عند العرب" حقّه في مقال موجز، وقد أوردنا في العدد السابق تاريخ الشطرنج عند العرب وأشهر من لعبه... وتوقفنا على أهم الكتب التي كتبها العرب فيه، وهذه تتمته :



ونورد فيما يلي أشهر الكتب التي ألفها العرب في الشطرنج في التاريخ القديم :

١ - كتاب الشطرنج من تأليف العدلي (٨٤٧ - ٨٦٢م)، وهو شطرنجي عاصر المتوكل العباسي، قال ابن النديم عنه انه أول كتاب عمل في الشطرنج.

٢ - كتاب الشطرنج من تأليف الصولي (٩٠٢ - ٩٠٨م).

٣ - تضحية بيوت الشطرنج من تأليف المسيس (القرن العاشر).

٤ - اللطيف في الشطرنج من تأليف الرازي الشطرنجي (٨٤٧ - ٨٦٢م).

٥ - كتاب في الشطرنج العلية من تأليف الطيب توفي سنة ٨٩٨م.

٦ - كتاب منصوبة الشطرنج من تأليف أبو الفرج محمد بن عبد الله اللجلاج (وهو من خراسان).

٧ - منتخبات من كتابي الشطرنج للصولي والعدلي، اختيار أبي زكريا بن ابراهيم الحكيم.

٨ - كتاب في الشطرنج ومنصوباته وملحه، لمؤلف مجهول. المخطوطة محفوظة بالمتحف البريطاني وقد جاء في آخر المخطوطة : تم الكتاب بعون الله ومنته ولطفه بتاريخ اليوم السادس عشر من جمادى الآخرة من سنة خمس وخمسين وستماية هجرية.

٩ - الشطرنج المصور للحكيم المضفر لأبي زكريا يحيى ابراهيم الأصبحي المعروف بالخزوج القرن السابع الهجري.

١٠ - كتاب استواء النهج في تحريم اللعب بالشطرنج لأبي بكر محمد بن علي الفخار الجذامي الأندلسي الفقيه المالكي المتوفي سنة ٧٢٣هـ. وذكر اسم الكتاب هذا تحت عنوان كتاب تحريم الشطرنج.

١١ - كتاب إيقاظ المصيب فيما في الشطرنج من المناصيب للشيخ تاج الدين علي بن محمد بن عبد العزيز الشافعي الموصلي المتوفي سنة ٧٦٢هـ.

١٢ - تحريم النرد والشطرنج والملاهي لابن بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري الفقيه المحدث الاخباري المتوفي سنة ٣٦٠هـ.

١٣ - كتاب لعب الشطرنج الهندي لأبي الفرج محمد بن عبيد الله بن سعد الشطرنجي المعروف

باللجلاج المتوفي سنة نيف وثمانين وثلاثمائة هجرية.

١٤ - رسالة في بيان لعب الشطرنج لأبي الفرج اللجلاج.

١٥ - مجموع في منصوبات الشطرنج لأبي اسحق ابراهيم بن يعقوب محمد بن يعقوب الرازي المعروف بابن الأقليدسي (القرن الرابع الهجري).

١٦ - كتاب النرد والشطرنج لابن عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ المتوفي سنة ٣٢٢هـ.

١٧ - كتاب الشطرنج لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي المتوفي سنة ٣٢٢هـ.

١٨ - كتاب الشطرنج لأبي العباس أحمد بن محمد السرخسي المتوفي سنة ٢٨٦هـ.

١٩ - كتاب في منصوبات الشطرنج لأبي اسحق بن محمد بن صالح البغدادي الشطرنجي المعروف بابن الأقليدس المتوفي قريباً سنة ٣٣٠هـ.

٢٠ - كتاب نموذج القتال في لعب الشطرنج لأبي العباس أحمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة المتوفي سنة ٧٧٦هـ.

٢١ - جزء من الشطرنج والنرد لكمال الدين محمد بن عيسى الدميري مؤلف «حياة الحيوان» والمتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ.

٢٢ - رسالة في حكم اللعب بالنرد والشطرنج لمصلح الدين مصطفى بن زكريا بن الرغشمي الفرماني المتوفي سنة ٨٠٩هـ.

٢٣ - كتاب النصيحة للحر والعبد باجتذاب الشطرنج والنرد لزين الدين عبد الرحمن بن خليل الدمشقي المتوفي سنة ٨٦٩هـ.

٢٤ - عمدة المحتج في علم الشطرنج، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي الملقب شمس الدين المتوفي بالقاهرة سنة ٩٠٢هـ.

بعض الطرائف

تحدث الصفدي في الغيث المنسجم:

«رأيت غير مرة أيضاً بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعماية شخصاً يعرف بالنظام العجمي، وهو يلعب الشطرنج غائباً في مجلس الصاحب شمس الدين، وأول ما رأيته لعب مع الشيخ أمين الدين سليمان رئيس الأطباء، وكان طبقة عالية. فغلبه مستدبراً، ولم يشعر به حتى ضربه شاه مات بالفيل، ولم يره حتى التفت إلينا وقال مات، وحكى لي انه كان يلعب غائباً على رقعتين، وحكي لي عنه صاحبنا بدر الدين حسن القزي انه رآه يلعب على رقعتين غائباً، وقدامه رقعة يلعب فيها حاضراً، وغلب في الثلاث والعهدة في ذلك عليه. وكان الصاحب شمس الدين يدعه في وسط الدست ويقول له: عد لنا قطعك وقطع غريمك، فيسردها جميعاً كأنه يراها بين يديه.

وأنشأ فيه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مقامة بديعة افتتحها بقوله:

لله في الشطرنج فكرة لاعب
ان غاب أو حضر اجتنيت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى
هاتيك صامتة وهذه ناطقة»

حدث الثعالبي في تتمة اليتيمة قال:

«وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيص الشاعر، وهو ممن لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة، قال: لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب، رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، فقد صنع لي وأحسن بي إذ كفاني رؤية الثقلاء والبغضاء».

قال الصفدي في كتابه نكت الهميان في نكت العميان: وأما أنا فرأيت في الديار المصرية انساناً يعرف بعلاء الدين ابن قيران أعمى، وهو عاليه في الشطرنج، يلعب ويتحدث، وينشد الشعر، ويتوجه إلى بيت الخلاء ويعود إلى اللعب ولا يتغير عليه نقل شيء من القطع وهذا معروف يعرفه أصحابنا في القاهرة».

كان الخليفة الأمين يلاعب مولاه كوثراً بالشطرنج والقائد طاهر إذ ذاك يحاصر بغداد وقد اشتد القتال فقال له بعض خواصه يا أمير المؤمنين ما هذا وقت اللعب، قم وأنظر في أمرك، فقال: «دعني فقد لاح لي على كوثر شاه مات» (تاريخ المسلمين

للشيخ المكني جرجس بن العَميد، ص ١٢٩ طبع سنة ١٦٢٥م).

وجاء في تاريخ الطبري (طبع المطبعة الحسينية ١٣٢٦هـ): أتى الخليفة المعتز برأس الخليفة المستعين بينما كان يلعب بالشطرنج، فقيل: هذا رأس المخلوع فقال: ضعوه هنالك ثم فرغ من لعبه ودعا به فنظر إليه ثم أمر بدفنه.

دعي النظام العجمي إلى اللعب مع علاء الدين ابن قيران الأعمى فقال: هذا أعمى (عاليه) وأنا بصير (عاليه). فان غلبته ما يشكرني أحد فانهم يقولون غلب أعمى، وان غلبني فمصيبة كبرى.

بين اللاعبين بالاستدبار في القرن الهجري الثالث من يدعى أبو القاسم التوزي وقد جاء اسمه في ديوان ابن الرومي ١٣٣٥هـ. (شرح الشيخ محمد شريف سليم)، قال في الصفحة ٢١ من الديوان مخاطباً التوزي:

تقتل الشاه حيث شئت من الرقعة طبا بالقتلة النكراء
غير ناظر بعينيك في الدست ولا مقبل على الرسلاء
بل تراها وأنت مستدبر الظهر بقلب مصور من ذكا
مارأينا سواك قرنا يولي وهو يردي فوارس الهيجاء
رب قوم رأوك ربعوا فقالوا هل تكون العيون في الاقفاء

إلى أن يقول:

غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بأنفس اللعباء
ربما هالني وحير عقلي أخذك اللاّعبين بالبأساء
ورضاهم هناك بالنصف والربع وأدنى رضاك في الأرباء
واحتراس الدهاة منك واعصامك بالاقوياء والضعفاء

والمعلوم ان أبن الرومي نفسه كان يلعب الشطرنج بدون اجادة رغم اجتهاده في تحسين لعبه ولما فشل في هذا التحسين صار يهجو اللعبة بعد مدحه اياها فيقول:

تفرست في الشطرنج حتى عرفتها
فان صح رأيي فهي بالوعة العقل

وقال ابن المعتز:

يا عائب الشطرنج من جهله
وليس في الشطرنج من باس
في فهمها علم وفي لعبها
تشغل عن الغيبة للناس
وتشغل الهائم عن حزنه
وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها
يزداد في الشدة والباس
وأهلها في حسن آدابهم
من خير أصحاب وجلاس

ولعل أحسن ما نختتم به هذا المقال ما ينصح به الصولي اللاعبين، فيقول:

«ان تتجنب لعب الطمع ولا يحملك اللجاج إذا غلبت على معاودة اللعب. وتتجنب الشح وتحذر عاقبته فانه ربما أدى إلى ذهاب أكثر ما تشح به، وربما كان في بعض البذل الظفر والغلبة، فحق لاعب الشطرنج أن يؤدي كل شيء منها في وقته. لا الشح ولا التسمح ولا الاقدام ولا الاحجام ولا المناجزة والمعاجلة ولا التربص ولا المطاولة له فيها محموده، بل كل ذلك إذا استعمل في موضعه على ما ينبغي كان فيه الصواب. انما يصل الانسان إلى ذلك بحسن ادامة النظر في عواقب ما يقدم ويؤخر والصبر على ذلك حتى ينال المقصود ان شاء الله» (نموذج القتال في نقل العوال لابن أبي حجلة المغربي التلمساني).

وقال الصولي في مكان آخر:

«تفقد دوابك ودواب خصمك عقب كل نقلة، واحرص على تبديد شمل بيادق خصمك وجمع شمل بيادقك ولا تدخل بدابة من دوابك إلى بيت تعود منه عوداً على بدء بلا فائدة».

ومن أقواله أيضاً:

«ان حصرت شاه الخصم وتحققت غلبه باطعامه بعض دوابك فلا تبخل عليه بها لتصل إلى مقصدك» (كلمة اطعام تعني تضحية).

ومن أقواله: «ان الشاه يجل عن القيمة وهو منها بمنزلة الرئيس. إذا كان رخ رسيلك محبوساً ففرسك خير منه لا تأخذ رخاً محبوساً بفرس مطلق» (الرسيل يعني به الخصم).

نصائح لو تبعها اللاعبون ما غلبوا أبداً.

الختام:

نقل العرب أثناء فتوحاتهم كثيراً من علومهم وفنونهم ومن جملة ذلك الشطرنج، ويدلنا على ذلك

بعض الكلمات التي يستعملها الأوروبيون مثل شاه مات، فيل الذي أصبح (   ) الخ... كما أطلقت كلمة شاه على اللعبة نفسها في بعض اللغات الأجنبية وهي أهم قطعة في الشطرنج. وقد كان للعرب الفضل الأكبر في انتشار هذه اللعبة في أوروبا. ولعل أبرز دليل على ذلك ان الكتاب الأول عن الشطرنج في أوروبا ظهر في اسبانيا في القرن التاسع وكان مؤلفه يدعى يحيى. ونكتفي بهذا المقدار اليوم على أن نعود لتفاصيل أخرى فيما بعد. ■



العمل وطول العمر

● من أهم ما يبحث عنه العلماء والحكماء الأسباب المؤدية إلى طول الحياة بل هي أهم بحوثهم وقد خاض هذا العباب الفلاسفة والاطباء من قديم الزمان وارتأوا لذلك آراء متنوعة متضاربة. وقد اهتمت بعض الجرائد الطبية في أميركا مؤخراً بالنظر في ذلك فتوصلت إلى نتائج ذكرتها وأشارت باتخاذها. ومن الغريب انها أسهل الطرق وأقلها نفقة ويجمعها قولك «العمل» قال السير اندرو كلارك وهو من نخبة علماء الانكليز: «العمل قوام الحياة وخصوصاً لنحفاء الإجسام حتى المرضى فإن العمل أحسن لهم من البطالة على شرط أن يكون على قدر الطاقة وفي دائرة الامكان». قال ان «العمل» قوام الحياة ولم يقل «التعب أو المشقة» فإن تحميل الاعضاء عملا فوق طاقتها موجب لانحطاطها وتشويش وظائفها، وقد يتخذ بعضهم المقويات أو المنبهات لتساعده على زيادة العمل فلا يشعر بالتعب، ولكن ذلك ليس طبيعياً ولا يحسب من قبيل العمل المعتدل. فالعمل الذي قلنا انه قوام الحياة انما هو ما يقوم به العضو في حالته الطبيعية بغير تنبيه ولا استحثاث مع الاعتدال في كل شيء من حاجات العيش وملاذ الحياة جسدياً وعقلياً.

معاهدات سعيد كريدية

معاهدة الصلح مع ايطاليا ١٩٤٧

في عام ١٩٢٢ استلم الدوتشي بنيتو موسوليني زعيم الحزب الفاشستي الحكم في ايطاليا. وقد وضع نصب عينيه طموحات كثيرة منها تحويل البحر الابيض المتوسط الى بحيرة ايطالية واعادة أمجاد روما القديمة. عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ظن موسوليني ان الفرصة اصبحت مؤاتية لتحقيق هذا الحلم. وكانت ايطاليا قد احتلت عام ١٩٣٥ الحبشة بالاضافة الى ارتيريا والصومال الايطالي في القرن الافريقي.

بدأ موسوليني بتنفيذ حلمه باحتلال اليونان. فدخلها من ألبانيا بعد ان أخضع الأخيرة وضمها الى ممتلكاته سنة ١٩٣٩. لكنه وجد مقاومة عنيفة من جانب اليونانيين جعلته يستنجد بألمانيا النازية وقام معها باخضاع اليونان عام ١٩٤١.

وكانت ايطاليا وألمانيا واليابان قد أقامت حلفاً سمي بالمحور. وقد ساعد المحور ايطاليا بتحقيق حلمها بانشاء الامبراطورية الرومانية. فقد سيطرت المانيا وايطاليا على جنوب حوض البحر المتوسط بالاضافة الى سواحل فرنسا وايطاليا ويوغوسلافيا وألبانيا واليونان وشمال افريقيا.

لكن هجوم المانيا على الاتحاد السوفياتي وهزيمتها على أبواب موسكو ادى الى كسر شوكة المحور. وبدأت الدول الحليفة المعادية للمحور تدق ناقوس الهزيمة له. إذ قامت بريطانيا وحلفاؤها بالهجوم على شمال افريقيا من مصر اعوام ١٩٤١ و١٩٤٢.

وفي ١٠ تموز ١٩٤٣ نزل الحلفاء في جزيرة صقلية بعد ان أخضعوا تونس وما لبثوا ان احتلوا الجزيرة.

وبينما كانت المعارك تدور على أشدها في جزيرة صقلية حدث انقلاب في ايطاليا أطاح بموسوليني والفت حكومة جديدة مؤيدة للحلفاء. وبذلك تكون ايطاليا قد انتقلت من جانب الصديق لألمانيا الى جانب العدو.

وبعد صقلية نزل الحلفاء من شبه الجزيرة الايطالية. فسقطت باري وبرنديزي ونابولي ووصلوا الى قمة جبل كاسينو الذي كان حصناً منيعاً بالنسبة للألمان الذين احتلوا ايطاليا على أثر حدوث الانقلاب فيها. وفي ١٢ أيار ١٩٤٤ سقط جبل كاسينو وفتحت طريق روما. وحفاظا على معالم المدينة الأثرية أعلن هتلر روما مدينة مفتوحة ودخلها الحلفاء عام ١٩٤٤. وفي عام ١٩٤٥ احتل الحلفاء كامل التراب الايطالي وطردوا الألمان من ايطاليا.

عامل الحلفاء ايطاليا معاملة دولة محاربة في صفهم وذلك مكافأة على خلع زعيمها الفاشستي موسوليني وعلى انقلابها على حليفتيها المانيا واليابان ثم اعلانها الحرب عليهما.

وبعد اجتماعات عديدة تم وضع نصوص معاهدة الصلح مع ايطاليا التي وقعها في ١٠ شباط ١٩٤٧ بالاضافة الى ايطاليا مندوبو احدى وعشرين دولة كانت قد اعلنت الحرب عليها

وبموجب هذه المعاهدة تم ما يلي:

١ - اعطاء قسم من منطقة السفوا لفرنسا.

٢ - اعطاء مدينة فيوم وجوارها ليوغوسلافيا.

٣ - جعل مدينة تريستا والمنطقة المجاورة لها منطقة حرة تحت اشراف الامم المتحدة.

٤ - تنازل ايطاليا عن جزر الدوديكانز في بحر ايجه لليونان.

٥ - تنازل ايطاليا عن الحبشة والبانيا واعترافها باستقلالهما.

٦ - تنازل ايطاليا عن مستعمراتها السابقة في القرن الافريقي اي ارتيريا والصومال. كما اعطيت ليبيا لبريطانيا.

وبذلك اعيدت حدود ايطاليا الى ما كانت عليه عام ١٩٣٨ مع بعض تعديلات طفيفة.

وفي عام ١٩٤٦ اجري استفتاء شعبي كان من نتيجته ان اعلنت ايطاليا جمهورية بعد حكم ملكي دام ٨٥ سنة.

وهكذا تسبب موسوليني بخراب بلاده عوضاً عن إعادة امجاد الامبراطورية الرومانية.

المراجع

(١) جحا، شفيق. تاريخ العالم المعاصر.
2 Salvatorelli, Luigi. **Aconcise History of Italy.**

ميشال اسطفان

المملكة المغربيّة

الحلقة الثالثة

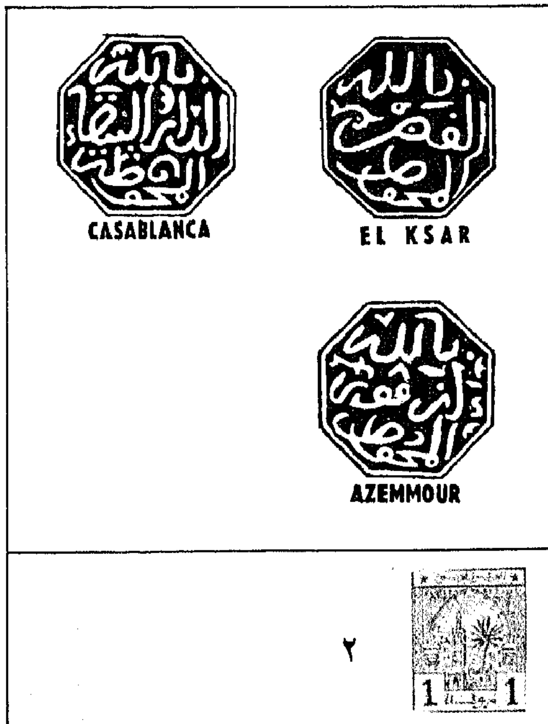
إلحاقاً بما كتبنا في العددين السابقين عن مكاتب البريد الأجنبية في المغرب، التي قدمنا بها بياناً في العدد الأول، يسرُّنا أن نستأنف فيما يلي تقديم إيضاحات عن المكاتب الأجنبية الباقية.

٧- المكتب الشريفي ١٨٩٤ - ١٩١٩:

افتتح أعماله سنة ١٨٩٢ وكان يستعمل الأختام المثمنة لبلدان مختلفة، (صورة ١)، ولكن بدون طوابع، وذلك لغاية سنة ١٩١٥، وفي طنجة لغاية ١٩١٩. وهناك أيضاً ١٣ ختماً آخر مستديراً، وكانت كلها تستعمل بالألوان التالية: البنفسجي والأسود والأزرق والأخضر والأحمر أو البرتقالي. وفي سنة ١٩١٢ صدرت مجموعة من ستة طوابع من فئة ١ و٢ و٥ و١٠ و٢٥ و٥٠ موسوناً (٤٠٠ موسوناً تساوي ريالاً واحداً)، تحمل صورة مسجد أيوسواس في طنجة، (صورة ٢)، طُبعت على ورق أبيض وكانت الحواشي ضيقة. وفي سنة ١٩١٣ صدرت المجموعة نفسها ولكن على ورق ملوَّن والحواشي عريضة. ثم صدر في السنة نفسها طابعان فقط بالتوشيح على الطوابع السابق من فئة ٠٥ م على طابع ٥٠ م، و١٠ م، على ٥٠ م بالافرنجي، قيمتها اليوم نحو ٥٠٠ جنيه استرليني، ولم يشاهدا مستعملين بالبريد.

٨- المكتب في مُلَيلة ١٨٩٣ - ١٨٩٤:

طوابع التخليص الحربي - في آخر سنة ١٨٩٣، نظمت الحكومة الاسبانية حملة عسكرية لكي تضع حداً لتحركات القبائل المحيطة بأراضي



٢

مُليلة، التي احتلتها سنة ١٤٩٧، ثم اتبعتها إلى سلطة التاج الاسباني سنة ١٥٢٥.

لم تشتمِل الحملة الاستطلاعية على أقل من سِت فصائل من المشاة، واثنتين من الفرسان، مع ما يتبع ذلك من ملاكات مُلحقة، يساند الحملة أسطول بحري مؤلف من سبع بوارج حربية. وفي ٥ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٣، أصدر قائد الحملة قراراً باعادة تنظيم مكتب البريد الحربي، وحدد الطوابع التي يجب أن تُستعمل هناك، ابتداءً من أول كانون الثاني/يناير ١٨٩٤، وكان البريد حتى ذلك التاريخ يستعمل الطوابع الاسبانية بدون توشيح.

ان نموذج الطوابع الوحيد الذي كان مقرراً منذ البدء، حلَّت محلَّهُ نماذج أخرى خاصة لكل كتيبة،

وكان يحمل كل طابع اسم الكتيبة أو المصلحة.

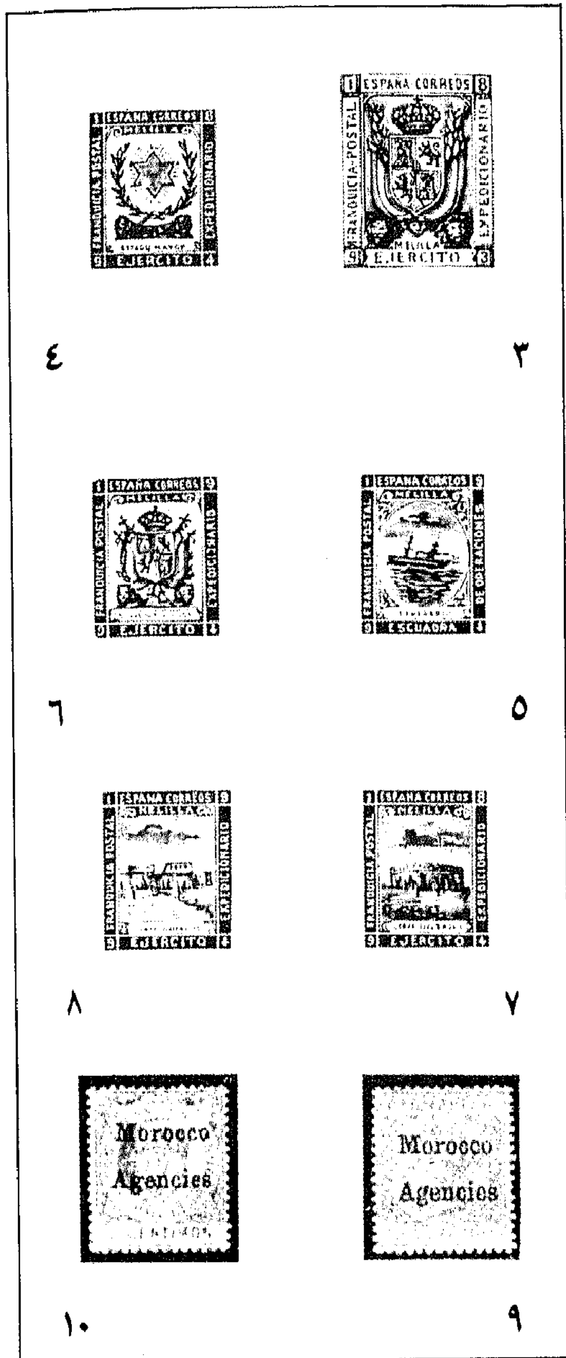
أما تفاصيل الاصدارات فهي :

في سنة ١٨٩٣ صدرت مجموعة من ستة طوابع طُبع اطارها باللون الأسود أو الأزرق، ثلاثة منها مخرّمة، وثلاثة بدون تخريم، ولا تحمل أي فئة من العملة، رُسم عليها شعار اسبانيا الرسمي، (صورة ٣).

وفي سنة ١٨٩٤ صدرت خمس مجموعات، الأولى خصصت لأركان الحرب والخدمات الخاصة، مؤلفة من ستة طوابع، بدون أي فئة، وبلون مختلف لكل طابع، (صورة ٤) والثانية خصصت للبحرية، من ستة طوابع أيضاً، رُسم عليها بارجة حربية، وكل طابع يحمل إسم الوحدة العسكرية، وجميعها بلون أزرق أو أزرق فاتح، (صورة ٥). وخصصت الثالثة للفرسان، من عشرة طوابع وبألوان بعضها متشابه والآخر مختلف، رُسم عليها الشعار العسكري الاسباني، وكل طابع يحمل اسم الوحدة العسكرية في أسفل الصورة وبدون أي فئة، (صورة ٦). وأما المجموعة الرابعة، فكانت للمشاة بالرسم ذاته، أي مثل المجموعة السابقة، وخصصت لثلاث فرق تتألف كل من الأولى والثانية من ٨ فصائل يحمل الطابع اسم كل منها، وتتألف الثالثة من ست فصائل ويحمل الطابع اسم كل منها أيضاً. وكان طابع الفرقة الأولى أحمر، والفرقة الثانية أزرق، والفرقة الثالثة بنيًّا، دون ذكر الفئة على أي من هذه الطوابع. والمجموعة الخامسة والأخيرة، خصصت للمشاة في القلاع، برسمين مختلفين، وكل منها مؤلف من خمسة طوابع بلون بنّي، وبدون فئة أيضاً، واسم القلعة يظهر على كل طابع (صورة ٧ و٨).

٩ - المكـاتب الأجنبيـة البريطـانيـة ١٨٩٨ - ١٩٥٦ :

افتتح مكتب البريد البريطاني أعماله بادارة بريد جبل طارق في بادئ الأمر من سنة ١٨٩٨ حتى سنة ١٩٠٧، واستعمل أربع مجموعات من طوابع جبل طارق، بعضها عليه صورة الملكة فكتوريا (اصدار ١٨٨٩)، وبعضها عليه صورة الملك ادوار السابع (اصدار ١٩٠٣)، (صورة ٩ و١٠)، بعد ان وشحهـا : (Morocco Agencies) وكانت



جميعها بالعملة الاسبانية الدارجة هناك بالسنتيموس والبزيتا، وبقيت حتى سنة ١٩٠٦.

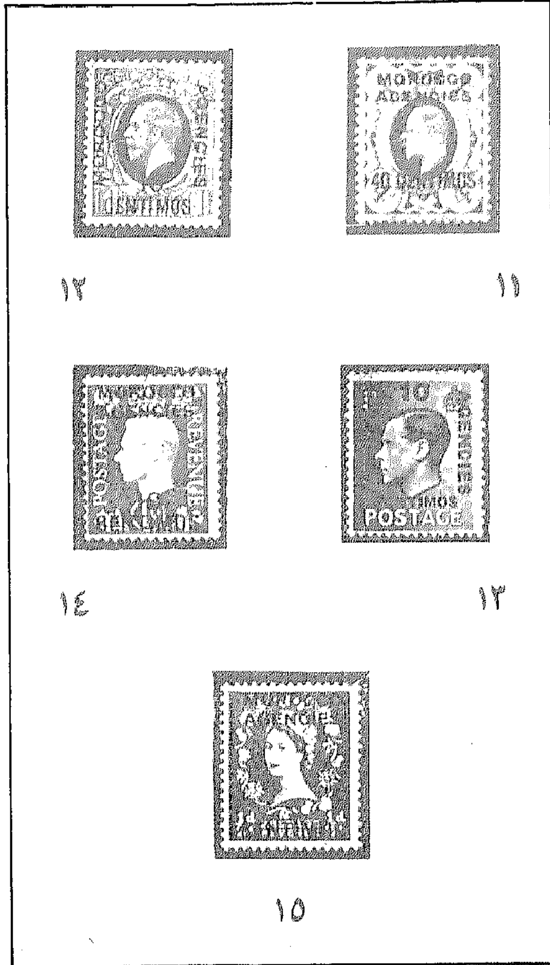
وفي سنة ١٩٠٧ الحق مكتب البريد بالإدارة البريدية البريطانية، ودام ذلك حتى سنة ١٩٥٦، واستعملت خلالها عشرة مجموعات، منها مجموعة تذكارية واحدة لمناسبة اليوبيل الفضي للملك جورج الخامس، صدرت في ٨ أيار/مايو ١٩٣٥، وهذه المجموعات هي : مجموعة واحدة للملك ادوار السابع

(١٩٠٧)، وأربع مجموعات للملك جورج الخامس (١٩١٤/٣٥)، ومجموعة واحدة للملك ادوار الثامن (١٩٣٦)، ومجموعتان للملك جورج السادس (١٩٤٩/٥١)، ومجموعتـــان للملكـــة اليزابيت (١٩٥٢/٥٦)، توشحت جميعها (Morocco Agencies بأحرف تاجيَّة، وكانت بالعملة الانكليزية، وأعدَّت لتستعمل مبدئياً لتخليص الطرود البريدية فقط، لكنها استعملت بعدئذ للبريد الجوي في جميع المكاتب البريطانية في البلاد، بما في ذلك منطقة طنجة، حتى سنة ١٩٣٧، وهذا تناول المجموعات الست الأولى بما فيها مجموعة ادوار الثامن سنة ١٩٣٦، وذلك عندما نفذت جميع الطوابع الموشحة.

ومنذ سنة ١٩٣٧ حتى ١٩٤٩ أخذت الطوابع الانكليزية محل الموشحة واستعملت بدون توشيح.

وفي سنة ١٩٤٩، ظهرت الطوابع الموشحة من جديد وكان التوشيح على المجموعات البريطانية الأربع الأخيرة، أي جورج السادس واليزابيت، واستعملت في تطوان فقط، في المكتب البريدي البريطاني الوحيد الباقي في المنطقة الاسبانية، ما عدا مكتب طنجة.

وبتاريخ ٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦ سحبت من الاستعمال جميع الطوابع الموشحة (   )، وحلت محلها الطوابع التالية خمس عشرة مجموعة من طوابع الملك ادوار السابع (صورة ١١) وجورج الخامس (صورة ١٢) وادوار الثامن (صورة ١٣) وجورج السادس (صورة ١٤) والملكة الزابيت (صورة ١٥) موشحة بثلاثـــــة أسطر: ١ - (Morocco)، ٢ - (Agencies)، ٣ - Centimos أو (Pesetas)، بالعملة الاسبانية، من ٥ إلى ٥٠ س ومن بزيتا واحدة إلى ١٢ ب، منها المجموعات التذكارية: اليوبيل الفضي (١٩٣٥)، التتويج (١٩٣٧)، ذكرى مئة عام لظهور أول طابع في العالم (١٩٤٠)، اليوبيل الفضي للزواج الملكي (١٩٤٨)، الالعاب الأولمبية (١٩٤٨)، وجميع هذه الطوابع استعملت في مكاتب البريد البريطاني في المغرب كلها، ابتداء من سنة ١٩٠٧ إلى أن انشئت المنطقة الفرنسية (١٩١٤) ومنطقة طنجة الدولية (١٩١٨)، ما عدا المنطقة الاسبانية التي بقيت هذه الطوابع مستعملة فيها إلى أن سحبت في ٣١ كانون الاول/ديسمبر ١٩٥٦.



١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

وهناك مجموعات أخرى وشحت بالعملة الفرنسية واستعملت في مكاتب البريد البريطاني أيضاً، ضمن المناطق الفرنسية فقط. التوشيح كان بثلاثة أسطر:

١ - (Morocco).
٢ - (Agencies).
٣ - (CENTIMES أو Franc)، وكانت تسع مجموعات صدرت ما بين ١٩١٧ وحزيران/يونيو ١٩٣٧، على طوابع الملك جورج الخامس، وادوار الثامن وجورج السادس فقط، منها التذكارية لليوبيل الفضي (١٩٣٥)، والتتويج (١٩٣٧)، وسحبت من الاستعمال في ٨ كانون الثاني/يناير ١٩٣٨.

١٠ - المكـــاتب الأجنبيـــة الالمانيـــة ١٨٩٩ - ١٩١٩:

افتتح أعماله في أواخر سنة ١٨٩٩ في طنجة، ثم في ازمور، والدار البيضاء، وفاس، ومراكش، ومزغان، ومكناس وموغادرو، والرباط، وصافي،

التي أصبحت فيما بعد تحت الحماية الفرنسية. وفي القصر الكبير، وأرشيلا، ولاراش، وتطوان التابعة للمنطقة الاسبانية.

أما الطوابع فكانت المانية اصدار سنة ١٨٨٩ وما بعدها، موشحة بالسنتيموس والبزتيا مع كلمة «Marocco» يضاف اليها الفئة وكلمة Centimos أو «Peseta»، وفي كل مرة بأحرف مزخرفة مختلفة عن الأخرى، صدرت ما بين سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٦، وآخر مجموعة صدرت سنة ١٩١١ وتحمل التوشيح «Marokko». كانت بمجملها سبع مجموعات فقط للبريد العادي، وعددها ٦٣ طابعاً، وأصبحت قيمة المجموعة الواحدة اليوم ما بين ٢٥ إلى ١٨٠ جنيهاً استرلينياً.

وفي ٣ آب/اغسطس ١٩١٤، اغلقت المكاتب الالمانية في المنطقة الفرنسية، وفي ١٦ حزيران/يونيو ١٩١٩ أغلقت في المنطقة الاسبانية.

١١ – المكتب في إفني ١٨٦٠ – ١٩٦٩:

أراضي إفني الواقعة على الساحل الاطلنتي جنوب المغرب، تحولت إلى اسبانيا في ٢٦ نيسان/ابريل ١٨٦٠. وقبل ظهور الطوابع البريدية، كانت المراسلات تختم بخاتم من مطّاط، يُضاف إليه توقيع الموظف الرسمي المسؤول.

وفي سنة ١٩٤١/٤٢، أصدرت اسبانيا طوابع خاصة بإفني، بالتوشيح على مجموعة من الطوابع الاسبانية السارية المفعول بسطرين: (١) «Territorio» (٢) «De IFNI»، وكانت مؤلفة من ١٥ طابعاً، قيمتها اليوم نحو ٢٠٠ جنيه استرليني.

ومنذ سنة ١٩٤٣ إلى ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٨، أصدرت ٥٥ مجموعة مختلفة، عادية وجوية وللبريد المستعجل وتذكارية لمناسبات عالمية واسبانية، جميلة المظهر للهواة والمبتدئين تمثّل طيوراً وأزهاراً وأسماكاً وحيوانات الخ.. تخلّلها خمس مجموعات عادية وجوية وتذكارية، وتوشحت بكلمة «IFNI» على أحدها و (كلام غير واضح) وبتوشيح بأحرف مزخرفة على ثلاثة منها، وبتوشيح مماثل ولكن بأحرف عادية على الخامسة. وأصبح مجموع ما صدر في هذه المدة ٢٧٣ طابعاً. وبتاريخ ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٦٩، ألحق المنطقة بالمغرب.

١٢ – المكتب في رأس جوبي ١٩١٦ – ١٩٥٠:

في ١٦ حزيران/يونيو ١٩١٦ احتلت القوات الاسبانية رأس جوبي الواقع في أقصى جنوب المغرب، فأخذت تستعمل هناك مجموعة نهر الذهب التي سُمِّيت فيما بعد بالصحراء الغربية، اصدار ١٩١٤، بعد توشيحها «Cabo JubI» مع تغيير الفئة بالسنتيموس، وكانت أربعة طوابع من فئة ٥ و ١٠ و ١٥ و ٤٠س، ارتفعت قيمتها اليوم إلى ٥٥ جنيهاً استرلينياً.

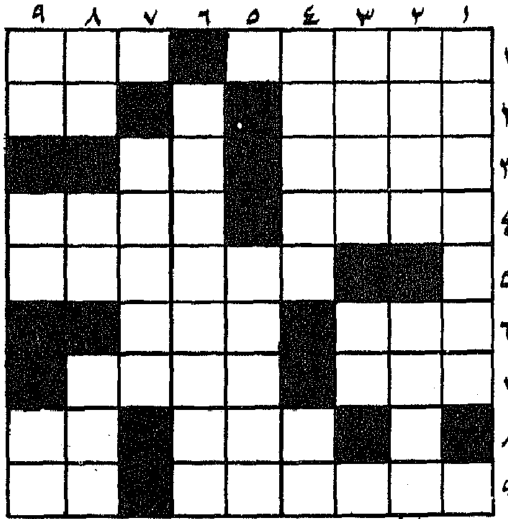
ومن سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩١٩ استعملت طوابع نهر الذهب ومراكش في المنطقة الاسبانية بدون أدنى توشيح، ثم بوشر بتوشيح طوابع اسبانيا السارية المفعول في حينه، وأصدرت سنة ١٩١٩ مجموعة من ١٣ طابعاً عادياً وطابعاً واحداً للبريد المستعجل بتوشيح «Cabo Juby» بحرف منحنٍ، وأصبحت قيمتها اليوم نحو ٦٠ جنيهاً استرلينياً.

وبالتوشيح ذاته، صدرت بتاريخ ١٩٢٢ مجموعة من ثلاثة طوابع من فئة ١ و ٢٠ س ارتفعت قيمتها اليوم إلى ١٠٠ جنيه استرليني، وأخرى من أربعة طوابع من فئة ٢ و ٥ و ١٠ و ٢٠س، قيمتها اليوم ٤٥ جنيهاً استرلينياً.

ثم توالت الإصدارات فيما بعد، موشحة بالتوشيح ذاته ولكن بأحرف صغيرة جداً ومعتدلة مختلفة في كل مرة وبخمسة أشكال، منها المجموعات العادية والجوية والتذكارية الخ، وجمعت بأكملها ١٧١ طابعاً تشكل ١٨ مجموعة، صدرت آخرها في أول كانون الثاني/يناير ١٩٤٨، ثم انضمّت المنطقة إلى الصحراء الاسبانية سنة ١٩٥٠، ثم الحقت بالمغرب سنة ١٩٥٨.

له تابع

الكلمات المتقاطعة



أفقياً :

١ – نعقد خيطاً في اصبعنا لكي لا ننسى أمراً. ضجر.
٢ – فرجة بين شيئين (معكوسة). للتأفف.
٣ – سنعبر (معكوسة) متشابهان.
٤ – جبال في أفريقيا الشمالية (معكوسة). مدينة في المغرب الأقصى كانت قديماً قاعدة المرينيين.
٥ – راهب دومينيكي من مشاهير الرسامين في القرن الخامس عشر.
٦ – نبيذ العسل. مرفأ تونسي كان اسمه قديماً هدروميتوم.
٧ – مأرب. جدّ سلالة بربرية تنسب إليه قضى على نفوذها الموحدون.
٨ – مرفأ مغربي على الاطلسي (معكوسة). حظ.
٩ – عاصمة دولة عربية. من الأقارب.

عمودياً :

١ – نهر في المغرب.
٢ – قائد الماني انتحر بايعاز من هتلر.. قبيلة بربرية في المغرب (معكوسة).
٣ – مدينة مغربية (معكوسة).. إله مصري (معكوسة).
٤ – أمتأسفة؟ (معكوسة) والد.
٥ – ملك عربي (معكوسة).
٦ – قبيلتان قديمتان من العمالقة أفنت احداهما الأخرى (معكوسة).
٧ – إنهي (معكوسة).
٨ – للنهي. جهد (معكوسة). سواد وكبر مستحسنان في العينين.
٩ – تلم (معكوسة). متشابهان. نجيع.

حل الشبكة ص ٩٣

حركة البيع والشراء

نشكر المؤسسة العامة للبريد في الجمهورية العربية السورية التي أرسلت الينا بنماذج عن الإصدارات السورية الأخيرة، فنقدم فيما يلي بيانها:

١ – طابع فئة ٧٥ قرشاً لذكرى مرور ٩٠٠ عام على وفاة المؤرخ العربي الحافظ ابن عساكر.
٢ – طابعان من فئة ١٠ و ١٥ قرشاً للسنة الدولية للطفل.
٣ – طابعان من فئة ٥٠ و ٧٥ لأول ايار ١٩٧٩.
٤ – طابع فئة ٣٥ قرشاً للذكرى ٣٣ للجلاء.
٥ – طابع فئة ٣٥ قرشاً للمؤتمر الدولي لطب الأسنان في الشرق الأوسط.
٦ – ثلاثة طوابع من فئة ٥٠ و ٧٥ و ١٠٠ قرش للذكرى الخامسة والسبعين لأول رحلة طيران بمحرك.

●

مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة



تأسس مركز دراسات الخليج العربي عام ١٩٧٤ ويعتبر من المراكز العلمية المهمة في جامعة البصرة التي بدأت اهتماماً «كبيراً» بطبيعة التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي جرت وتجري الآن في منطقة الخليج العربي، ومن أجل القيام بهذه المهمة فلقد أسس في المركز عدد من الشعب العلمية يشرف عليها أساتذة متخصصون في الدراسات الانسانية والعلمية وذلك بهدف إعداد بحوث عن منطقة الخليج العربي تتمتع بالرصانة والموضوعية العلمية بهدف الوصول إلى نتائج علمية عن طبيعة هذا الجزء المهم من المنطقة العربية وبغية تحقيق ذلك فقد اتبع المركز وسائل متعددة منها عقد الندوات العلمية «التي تعقد مرة واحدة كل عامين» وتبادل الزيارات وتشجيع البحوث المشتركة. وقد كانت آخر ندوة عقدها المركز في ٢٩ - ٣١/آذار الماضي تحت شعار «الانسان والمجتمع في الخليج العربي» وقد حضرها ممثلون عن كافة المراكز العلمية في الخليج العربي والأقطار العربية والدول الأجنبية. وقد قدمت فيها بحوث علمية بحثت فيها مشاكل التوافق بين التغيرات والواقع الذي يعيشه الانسان في المجتمع الخليجي الآن.

يضم مركز دراسات الخليج العربي خمس شعب هي :

١ - شعبة دراسات العلوم الاجتماعية : يتولى الاشراف على هذه الشعبة عضو هيئة تدريس مختص ويقوم بالتعاون مع المختصين بإجراء البحوث والدراسات التي تتعلق بتاريخ الخليج العربي السياسي والاجتماعي، وجغرافيته اضافة إلى نشاطات أخرى تحددها أهداف الخطة الخمسية.

٢ - شعبة الدراسات الاستراتيجية والسياسية : يتولى الاشراف على هذه الشعبة عضو هيئة تدريس مختص ويقوم بالتنسيق مع المختصين باجراء البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية. اضافة إلى نشاطات علمية متعددة تقوم بها هذه الشعبة.

٣ - شعبة الدراسات الاقتصادية : يتولى الاشراف على هذه الشعبة عضو هيئة تدريس مختص ويقوم بالتنسيق مع المختصين في الأقسام العلمية باجراء البحوث والدراسات الاقتصادية اضافة إلى نشاطات أخرى تقوم بها هذه الشعبة.

٤ - شعبة الدراسات اللغوية والادبية : يتولى الاشراف على هذه الشعبة عضو هيئة تدريس مختص ويقوم بالتنسيق مع الجهات المعنية من ذوي الاختصاص لاجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالأدب العربي واللغة العربية في اقطار الخليج العربي اضافة إلى نشاطات أخرى تقوم بها هذه الشعبة.

٥ - شعبة الدراسات الفارسية : يشرف على هذه الشعبة أحد المختصين باللغة الفارسية من ذوي الشهادات العليا وتقوم هذه الشعبة باجراء الدراسات والابحاث المستندة إلى ما يصدر باللغة الفارسية والمتعلقة بأقطار الخليج العربي وايران، كما تعمل على ترجمة الدراسات والمقالات الصادرة باللغة الفارسية الى اللغة العربية بالاضافة إلى اصدار نشرات دورية.

كما يضم المركز قسم المكتبة :

ويضم هذا القسم الشعب الآتية :

(أ) شعبة الخدمات المكتبية يوجد بالمركز مكتبة علمية تضم مجموعة من الكتب والوثائق والدوريات القيمة العربية والأجنبية التي تحتوي معلومات على جانب كبير من الأهمية حول اقطار الخليج العربي والجزيرة العربية وقد تم فهرسة وتصنيف محتويات المكتبة.

(ب) شعبة المتابعات الفنية : وتقسم هذه الشعبة إلى الوحدات الآتية :

١ – وحدة المايكروفيلم والافلام والخرائط.
٢ – وحدة الدوريات.

وتضم هذه الوحدة عدداً «من الدوريات التي تصدر بصفة يومية أو اسبوعية أو دورية ويتم فهرسة وتوثيق هذه الدوريات على الأسس العلمية فور وصولها للمركز اولاً بأول لغرض خدمة الباحثين وتقديم كافة المعلومات عن الدوريات الموجودة في المركز. كما هناك أيضاً في المركز:

شعبة التزويد والاستلام : تختص هذه الشعبة بشراء الكتب بصورة مباشرة من المكاتب العامة وغير مباشرة عن طريق طلبها من دار الكتب كما تقوم بمتابعة توزيع اعداد مجلة الخليج العربي طبقاً للجهات التي ترسل إليها ومتابعة قضايا تبادل المنشورات مع كافة المراكز والجامعات والمؤسسات المختلفة بالاضافة إلى متابعة التبادل والاهداءات.

كما يضم المركز كذلك شعبة النشر:

تقوم هذه الشعبة باستلام البحوث وارسالها إلى مقيمين اثنين واستحصال آرائهم بالنسبة للقيمة العلمية للبحث وصلاحيته ثم صرف مكافأة المقيمين وارسال البحث بعد تقييمه إلى الباحث لاجراء التعديلات عليه واستكمال البحوث من جميع النواحي وجمعها لاصدارها ضمن العدد المقرر نشرها فيه كما تقوم هذه الشعبة بالتنسيق والتعاون مع الشعب العلمية في المركز بالاشراف على اصدار مجلة الخليج العربي ومتابعة استكمال أبواب المجلة وارسالها إلى المطبعة والاشراف على تدقيق المسودات بعد طبعها بشكلها الأولي وتزويد الباحثين بنسخ من المجلة أو من بحوثهم بعد ان يتم طبعها كما وتقوم أيضاً «بتحرير كتب المكافآت الخاصة بالبحوث وتتبع نفس الخطوات بالنسبة لنشر الكتب بعد عرض الكتاب على مجلس الادارة لاستحصال الموافقة على نشره من الدوائر المختصة وتقوم الشعبة بتحرير محاضر جلسات مجلس إدارة مركز دراسات الخليج العربي وتنفيذ فقراته والقيام بفتح ملفات خاصة للمراسلات التي تهم المجلة وكذلك ملفات البحوث والمنشورات، والبحوث المترجمة وترتيبها حسب تسلسلها الزمني.

أمل الناصري

حل المسابقة

[illegible]

● لا بأس بصوت الشعب، لولا أنه يحتاج الى بعض الأبواق.

دبلن ابونيون

● حين يتحرّج الموقف لا يطلب الناس أمهر السياسيين بل أقواهم.

لتزاروس



بريد القراء

● فيصل مأمون مندورة – مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية.

اني من المعجبين بمجلة «تاريخ العرب والعالم» لما تحتويه من مواضيع شيقة ومفيدة، كتعريف للقارئ العربي خاصة والمسلم عامة بتاريخ وتراث العرب والعالم الإسلامي وغيره. وكذلك حازت المجلة على إعجاب الطلبة في المدرسة الثانوية حيث أعمل، لما فيها من مواضيع يتضمنها منهاج الدراسة في «تاريخ الحضارة الإسلامية».

● شكراً لتمنياتك الطيبة ونعدك بمواصلة المسيرة. بالنسبة للإشتراك فلقد أرسلنا لك رسالة خاصة بهذا الخصوص.

الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات هي شركة «توزيع» فقط ولا تستطيع مساعدتك بموضوع الكتب، نقترح عليك الاتصال بدور النشر المختلفة.

● إبراهيم عبد الباقي رحمة الله التركستاني – جدة – المملكة العربية السعودية.

إني شاكر جداً لإخراج هذه المجلة بهذا الشكل العظيم متضمنة مختلف المواضيع التاريخية العظيمة.. كما اني أشكر كل إنسان شارك في إخراج هذه المجلة بهذه الصيغة من مسؤولين وعاملين وكتّاب. بصراحة ان هذه المجلة عظيمة وجميلة لما فيها من مواضيع تاريخية قيّمة.. بحق أنها إسم على مسمى.. «تاريخ العرب والعالم».

● نشكر للأخ إبراهيم شعوره النبيل تجاه المجلة وتجاه جميع العاملين فيها راجين أن نوفق في مهمتنا الصعبة. بالنسبة للإشتراك فلقد أرسلنا لكم رسالة خاصة بهذا الخصوص.

● وليد إبراهيم الأسود – دمشق – الجمهورية العربية السورية.

بحق انني عاجز عن شكركم لما أقضيه من وقت مفيد وممتع مع مقالات مجلتكم، هذه المجلة العريقة التي لا يمكن أن تثمّن بقيمة مادية. فهي مجلة انتظرها الكثيرون وأنا واحد من هؤلاء الذين يعملون على اقتناء أي شيء تصدره هذه المجلة التاريخية العربية. كما أهدي تحياتي إلى جميع العاملين في المجلة بدون إستثناء.

● نشكر الأخ وليد على عواطفه الطيبة ونؤكد له بأننا سنستمر في جهودنا لخدمة القارئ العربي من الخليج إلى المحيط. بالنسبة لاقتراحك نشر معلومات أو موضوعات عن الأماكن الأثرية المنتشرة في العالم العربي نؤكد للأخ وليد بأن اهتمامنا بهذا الموضوع لا يقل عن اهتمامه، فلقد نشرنا «١٤ موضوعاً» عن الآثار في الوطن العربي في السنة الأولى ما عدا المواضيع التي تبحث في آثار فلسطين والأراضي العربية المحتلة (سيناء – الضفة الغربية والجولان). كما اننا بصدد نشر سلسلة «ملف الوطن العربي» في الوقت الحاضر والذي يشمل في جملة ما يشمل أهم الآثار الموجودة.

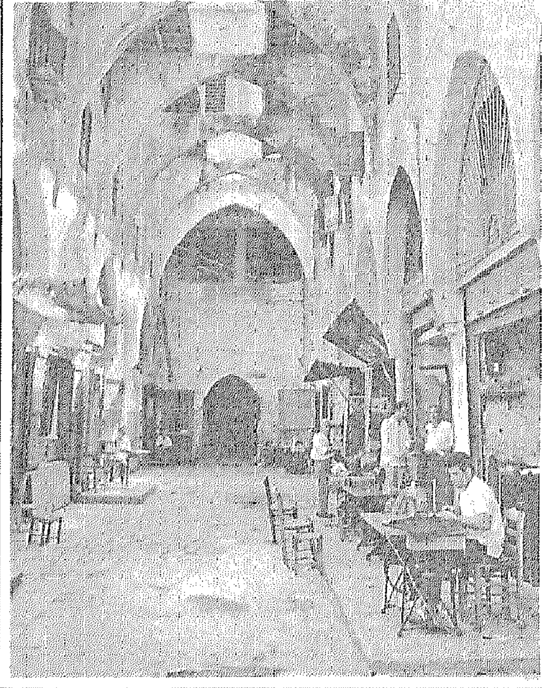
برج الميزان لم ينشر في وقته لأسباب فنية بحتة ونأسف لهذا التقصير. سنحاول نشره في أقرب

● وليد السمان – برج البراجنة – بيروت – لبنان.

أهنئكم على هذه المجلة الرائعة وأتمنى لكم التوفيق وأقترح عليكم نشر ريبورتاجات مصورة عن أشهر المنازل الأثرية في لبنان.

● اقتراحك نحيله للآنسة سامية المحمد التي وعدتنا بتنفيذ هذا الاقتراح بأسرع وقت ممكن!

المسابقة



تاريخ وأسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي

إلى القراء الاعزاء :

ترغب مجلة «تاريخ العرب والعالم» أن تفتح باباً خاصاً للقراء ، لا سيما للطلاب في الثانويات والجامعات ، تدعو فيه إلى الكتابة المختصرة في موضوع : «تاريخ واسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي» . والمجلة إذ تفتح باب هذا الموضوع تخصص مكافأة قدرها ١٠٠ ليرة لبنانية ، أو ما يعادلها للفائز الأول ، واشتراكاً سنوياً في المجلة للفائز الثاني ، على أن تتضمن المساهمة المقدمة معلومات جديدة وشيقة عن القرية أو الحي أو المعْلم وعن تاريخه واسمه وظروفه ، أو ما يحتوي من آثار عمرانية قديمة أو مظاهر حضارية ، وإذا أمكن صورة فوتوغرافية مأخوذة للحي أو القرية أو لأي مظهر عمراني أو اثري فيها ، كذلك على أن لا تتجاوز المساهمة الـ ٢٠٠ كلمة .

هذا ، وإذ تشدد المجلة على جدّة المعلومات الواردة ، تطلب من الكتاب الاعزاء ان يتقيدوا بأصول الكتابة العلمية وأن يشيروا إلى مصدر الاقتباس ، وتترك لهيئة التحرير حقها في اختيار المساهمات الصالحة للنشر ، وكذلك اختيار المساهمات الفائزة ؛ إذ من حصيلة ما يصل الينا ستختار هيئة التحرير ثلاث مساهمات للنشر في كل عدد بينها المساهمتان الأولى والثانية الفائزتان بالمكافأة .

* * *

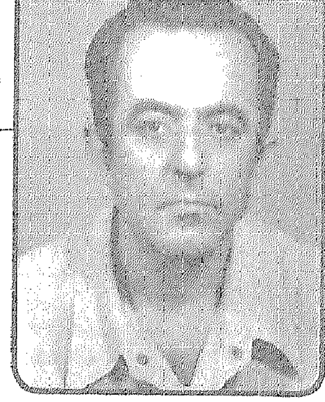
نرجو من المشترك أن يكتب اسمه وعنوانه بخط واضح في نهاية مقاله وأن يرسله الينا بالبريد على العنوان التالي :

مجلة «تاريخ العرب والعالم» بيروت ص . ب . ٥٩٠٥

«مسابقة القرى والاحياء في الوطن العربي» .

* * *

تعتبر المواد المرسلة ملكاً للمجلة ، إذا نشرت أو لم تنشر .



رأي حر

فاروق البربير

لقد قال عدد من فلاسفة التاريخ ، لا علماء التاريخ ، إن شكل الأحداث التاريخية هو تقاطع متشابك لما يدعى فنياً بتعبير الحوادث « المترابطة داخلياً » والمعلوم إن حادثين ، يكونان حادثين مترابطين داخلياً إذا كان وقوع الأول يفرض ويتطلب وقوع الآخر والعكس بالعكس. وبناء عليه أي تغير في حادث من الحادثين سيترتب عليه بالضرورة تغير في الحادث الآخر.

إذا كان هذا التفسير سليماً من الناحية الفلسفية فهل هو بالفعل صحيح من الناحية العملية ؟

* * *

في بداية الخمسينات ، أصدرت المطابع كتاباً مثيراً صدر تحت رعاية ج. س. سكواير تضمن سلسلة من الدراسات التي قام بها مؤرخون بارزون وأدباء ذائعو الصيت كما كان يمكن أن تكون عليه بعض الأحداث الهامة في التاريخ. ونعني به كتاب « لو في التاريخ - أو التاريخ مكتوباً من جديد ». ولقد كانت الفكرة من وراء الكتاب فكرة بارعة حريّة بأن تكشف للنظر الكثير من خفايا الديناميكية للعملية التاريخية لو ان أصحابها أحسنوا تنفيذها. وكان من بين تلك الدراسات ، دراسة يتنبأ فيها المؤرخ غيديلا عمّا كان خليقاً بأن يحدث لو ان العرب انتصروا في معركة الأندلس الأخيرة ، ودراسة أخرى للمؤرخ هـ. أ. ل. فيشر بعنوان « لو ان نابليون هرب إلى أميركا » ودراسة للأديب ج. ك. تشيسترون عما كان سيحدث لو ان الأمير جون النمسوي تزوج من ماري ملكة اسكتلندا ، ودراسة نيكلسون عما كان سيحدث لو نجح لورد بايرون وأصبح ملكاً على اليونان ، ودراسة لبيلوك عما كان حريًّا بالحدوث لو ان الملك لويس السادس عشر نجح في الهرب من ثوار باريس ، ودراسة للمؤرخ فان لون عمّا كان خليقاً بأن يحدث لو استمر الهولنديون في حكم نيوامستردام (إسم نيويورك الأصلي) ودراسة لوينستون تشرشل عما كان خليقاً بأن يتمخض من نتائج لو ان الجنرال لي قائد الجنوبيين قد انتصر في معركة غينسبورغ الفاصلة في الحرب الأميركية !

ليس هناك قضية محل اتفاق الجميع مثل قضية الوحدة العربية . كذلك فإنه ليست هناك قضية تثير الخلافات ، بكل أسف ، بين الجميع مثل قضية الوحدة العربية ..

إن الوحدة ليست مجرد أمل يراود المواطن العربي ولكنها أصبحت حاجة ماسة ومصيرية للمواطن ولا يمكن لشعب تجمعه أواصر اللغة والتاريخ والتقاليد ووحدة المصلحة والمصير ان يبقى أقاليم متفرقة ضعيفة .

إن الوحدة قوة للعرب ما في ذلك من شك ، واسرائيل والدول الكبرى جميعها ، بدون استثناء ، لا تخشى شيئاً سوى تحقيق الوحدة .

ويروي انتوني ناتينيغ في هذا المجال في كتابه «شاهدت بعيني» ص - ٩٣ «بأن زعماء وزارة الخارجية الاسرائيلية قالوا لي : ان حكومتهم ستلجأ إلى كل وسيلة ممكنة من أجل إبقاء جيرانها العرب ممزقين» .

إذا كان هذا السرد سليماً ومنطقياً فلماذا يبقى العرب ممزقين وضعفاء ؟ !

وماذا «لو» استطاعوا تحطيم قاعدة المؤرخين الفلاسفة التي تقول بأن لكل فعل ردة فعل .. واستطاعوا توحيد أقاليمهم في دولة عربية واحدة قوية !

«لو» فعلوا هذا ... لتغير حتماً مجرى التاريخ ..



"العذراء بين الصخور" من أعمال ليونار دافنشي (راجع ص: ٢٠)

...دانا یکی رزمگاه — ...سپ افکند بر دو رو...
بقلب اندرون ساخته جای شاه — بدست چپش پیل جنگجو
هشیوار دستور بر دست شاه — و زو برتر اسپان جنگی بپای
برزم و برزمش نمایند راه — مبارز که آید ببالای راه
چپ و راست صف را برآراسته سوار — چو بوزرجمهر آن سپه را براند
پیاده سلش ان... — همه انجمن در شگ...

...نهاده همگت — بماند اندران مرد هشیار گشت
شگفت آمدش زان مرد جادو بماند — دلش را باندیشه اندر نشاند
کدام از بخت شطرنج هر کو شنید — نه از کار دانا ز...

...ازآمدش رای اوی — ز یک دیگر گسستی جای اوی
جهان گشت کسری به بوزرجمهر — که گفتی بدو بخت بنمود چهر
یکی جام فرمود پس شهریار — که گردند بر کوه...

...دستار و اسپی... — بدو داد و کردش بسی آفرین
بشد مرد دانا بآرام خویش — یکی تخت پرکار بنهاد پیش
بشطرنج و اندیشه هندوان — که گردون بفرود...

...دو بیش ابناز کرد — بافسون و اندیشه بنهاد نرد
دو صد مرد را بود کردن ز عاج — هم از عاج هم رنگ ساج
یکی رزمگه ساخت شطرنج وار — دو رویه بیارا...

...جمشید هشته — همه رزم و پیکار آیین گستر
بگسترد لشکر کجا چارسو — دو شاه گرانمای...

اندر ساختن بوزرجمهر نرد را

...شنده دو هم — یکی از دگر برنکرد ز ستم
بفرمان ایشان سپاه ار دو روی — سندی بیاراسته

...ابکنر ز دو... — ز لشکر بر ... ایشکن
همی این بدان آن بدین بر گذشت — کی رزم کرد و کی...

...بابر که بودی شکن — شده بری دو شاه و سپاه انجمن
سپه کرد دو بهر گشته شاه — گرازان دو شاه اندران رزمگاه
ازان پس شه بر نشست — نمانند سپاه...

...فرمان بغلت شاه — بگسترد و بنمود یک یک بشاه
بدین سان که گفتیم آراسته نرد — بر شاه شد و هنرها ذکر کرد
همی گفت کای مرد روشن روان — جوان بادی و...

...شمار پانصد و هزار — بیارد شمار درم بار
دل شاه ایران ازان خرم ماند — خرد را باندیشه اندر نشاند
زگنج شهنشاه کرده یاد — نشنکار و از...

...ازان اشتران ساج — دل شاه ایران کار نرد آمد
زبازی که هر دو رهش در روم — ز هشتاد و ... آباد بوم
یکی نامه بنبشت نزدیک رای — برارد دانش و راه...

...دام بر نورد — ز نرد آن ساختن زد بو...
فرستاده رای را پیش خواند — ز دانش فراوان سخنها براند
رسیدند فرستاده رای نزد — ابا هنر و سپاه...

...شطرنج و ستام سیاه — شنیدیم و جستیم هر گونه راه
دگر گفت با موبد شاه هند — ز دریای قنوج تا مرز سند
ز دانای هند و زرانان خواهیم — بدانش روان...

بردن بوزرجمهر نرد را بهندوستان

...ده موبدان راه — گمان بازی انداز دمانش بجا
کنون ما بدان موبد هوشمند — سخن قنوج برد تا...

...ده دار فرستاد بیچ — فرستم بهر رای هندی گنج
نهادم بر جای شطرنج نرد — ببین تا ببازی که آید نبرد
برهمن فراوان بود پاک رای — که از ناز بغر...

...را ای بار هیمای — بگو شنعه بازی بماند بجای
شتروار باید که هم زر نگار — بپیمان کند رای قنوج بار
کشتاد همراه با بارها — برین است پیما...

...هستند شد — بر فرازد شاه بوزرجمهر
ابا باژ و با نامه و تخت نرد — دلش بر دمادر بساط و نرد
خواهند ازایران بنزدیک رای — برهمن نشاد...